القدس في شعر القرن السادس للهجرة

الدكتور
ناظم رشيد
كلية الآداب – جامعة الموصل

تمهيد

القدس : او بيت المقدس ، مهوى افئدة المسلمين ، وقبلتهم الاولى ، ومسرى الرسول الاعظم محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم – رددته الالسن ، ولهجت به ، في مشرق الارض ومغربها على مرّ العصور ، وكر السنين . ولله درُّ القائل[1] :

أهيمُ بقاعِ القدسِ ما هبّتِ الصَّبا
فتلك رباعُ الأنس في زمنِ الصِّبا
وما زلتُ في شوقي إليها مواصلاً
سلامي على تلك المعاهدِ والرُّبى

وقد ورد ذكر الارض المقدسة في القرآن الكريم ، واريد بها بيت المقدس – على راي بعض المفسّرين – في قوله تعالى[2] : (يا قومِ ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم) ، كما ورد ذكر المسجد الاقصى الذي يقع فيها في قوله تعالى[3] (سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجدِ الحرامِ الى المسجدِ الأقصى) . وجاء ذكر البيت المقدس في اكثر من حديث شريف ، من ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم[4] – : « لا تشدُّ الرحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد البيت المقدس »

فتح المسلمون (القدس) سنة ١٧ للهجرة في خلافة ابي حفص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وكانوا مسامحين ، لا يمنعون الناس من دخولها ، ورؤية مزاراتها ، مهما كانت اديانهم ، واختلفت اجناسهم ، وتنوّعت الوانهم ، وتعددت مشاربهم .

وفي سنة ٦٦ للهجرة بدأ الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بعمارة المسجد الأقصى وبناء قبة الصخرة . يقول ابو اليمن مجير الدين الحنبلي[5] : « جمع – اي عبدالملك – الصنّاع لعمله ، وارصدَ للعمارة مالاً كثيراً ، يقال : إنه خراج مصر سبع سنين ... ووكّلَ على صرف

(١) معجم البلدان ٥ : ١٧١ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٢١ . وانظر الكشاف للزمخشري ١ : ٦٠٢ .
(٣) سورة الاسراء ، الآية ١ .
(٤) صحيح مسلم ٢ : ٩٧٦ ، وانظر الاحاديث التي اوردها ابن الجوزي في كتابه (فضائل القدس) ص ٨٨ – ٩٠ .
(٥) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١ : ٢٧٢ .

المال في عمارة المسجد والقبّة وما يحتاج إليه ابا المقدام رجاء بن حياة بن جود الكندي ، وكان من العلماء الأعلام ، ومن جلساء عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، وضمّ إليه رجلا يدعى يزيد بن سلام ... وفرغ البناء ... فكتب رجاء ويزيد الى عبدالملك بدمشق : قد اتمّ الله ما امر به امير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ولم يبقَ لمتكلم فيه كلام ، وقد بقي مما امر به امير المؤمنين من النفقة عليه ـ بعد ان فرغ البناء واحكم ـ مئة الف دينار ، فيصرفها امير المؤمنين فيما احب .

فكتب إليهما امير المؤمنين : قد امرتُ بها لكما جائزة لما وليتما من عمارة البيت الشريف المبارك .

فكتبا إليه : نحن اولى ان نزيده من حلي نسائنا فضلا عن اموالنا ، فاصرفها في احب الأشياء إليك .

فكتب إليهما بأن تسبك، وتفرغ على القبة. فسبكت ، وافرغت عليها ، فما كان احد يقدر ان يتأملها مما عليها من الذهب » .

هكذا فتح بيت المقدس ، وعمّر من بعدُ ، وبقي تحت إشراف المسلمين ورعايتهم .

وما كادت تحل سنة ٤٩٢ للهجرة حتى دخل الصليبيون الزاحفون من الغرب مدينة (القدس)، وجاسوا خلالها بجيوش لجبة ، وعدّة ضخمة ، ولبثوا فيها ما يقرب من مئة عام .

انقذ المجاهد الكبير صلاح الدين الأيوبي مدينة (القدس) سنة ٥٨٣ للهجرة من الصليبيين ، وحرّر قاطنيها من قيود الاحتلال، واعاد مفاتيحها الى اصحابها الشرعيين ، ومالكيها الحقيقين .

وكان لخروج (القدس) من ايدي المسلمين ، ثم عودتها إليهم ، اثر بالغ في تحريك قرائح الشعراء ، وتفجير عواطفهم ، واحتدام احاسيسهم ، وإلهاب مشاعرهم . وقد حفظت لنا المصادر جزءاً كبيراً من شعرهم . وستكون دراستنا في هذا البحث على الوجه الآتي :

١ ـ دور الشعر قبل تحرير القدس : ويبدأ من استيلاء الصليبيين على القدس في سنة ٤٩٢ للهجرة الى سنة ٥٨٣ للهجرة ، وهي السنة التي انقذها صلاح الدين الايوبي ؛ وحرّرها من المحتلين .

٢ ـ دور الشعر بعد تحرير القدس : ويبدأ من سنة ٥٨٣ للهجرة الى سنة ٥٨٩ للهجرة ، وهي السنة التي مضى فيها صلاح الدين الأيوبي الى ربه .

٣ ـ الملامح الفنية للشعر : سنوضح فيها ـ وباختصار ـ اهم السمات الفنية التي اتسم بها الشعر الذي قيل في القدس .

دور الشعر قبل تحرير القدس :

هبّت سنة ٤٧٨ للهجرة جموع غفيرة ـ بعد ان تجمّعت في اوربا من كلّ فج عميق ـ للإغارة على ديار العرب ، فبدأت بشمال الأندلس ، وسيطرت على طليطلة ، ولم تستطع التوغل الى الجنوب لمقاومة المسلمين الشديدة آنذاك ، فاتجهت نحو جزيرة صقلية واخضعتها لحكمها سنة ٤٨٤ للهجرة . فلما حلّت سنة ٤٩٠ للهجرة خرجت وبأعداد اكثف الى الشرق طمعاً في خيراتها ، واملاً في إقامة إمارات لهم فيها ، خاصة في (القدس) والساحل الشامي ، وكانت الدولة العباسية وقتئذ ضعيفة تعاني من تفرّق الكلمة ، وتشتت الشمل ، وتناحر الطوائف ، وتنازع المذاهب ... فسقطت مدن الشام بأيديهم ، كتساقط اوراق الخريف ، الواحدة تلو الاخرى ، وفتكوا بسكانها دونما رحمة او شفقة ، وشرّدوا الآلاف ، وجعلوهم يهيمون في الأرض ، يطاردهم النوى ، ويلاحقهم الشقاء . واذلوا من بقي منهم بعد ان سلبوا اموالهم ، وانتهكوا حرماتهم ، ونهبوا مزارعهم ، واباحوا كنوز علمهم التي ورثوها عن آبائهم ، ودنّسوا بسنابك خيولهم مواقع عباداتهم .

ولما اطلت سنة ٤٩٢ للهجرة ، وقعت الفاجعة الكبرى ، والنكبة العظمى ، اذ استباح المغيرون من الغرب مدينة (القدس) بقسوة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً ، ونترك الحديث لابن الأثير ليروي لنا طرفاً من افعالهم . يقول(٦) : « وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفاً ، منهم جماعة كثيرة من ائمة المسلمين ، وعلمائهم ، وعبّادهم ، وزهّادهم ،

---

(٦) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٢٨٣ . وانظر فضائل القدس لابن الجوزي ص ١٢٥ .

ممن فارق الأوطان ، وجاور بذلك المكان الشريف ، واخذوا من عند الصخرة نيفاً واربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، واخذوا تنوراً من الفضة وزنه اربعون رطلا ، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلا، وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء » .

لقد كانت هذه الهجمة بداية المأساة التي استلهم الشعراء منها قصائدهم التي اودعوها آهاتهم وحسراتهم من جهة ، ونقمتهم وغضبهم وثورتهم من جهة اخرى .

وكانت اولى القصائد التي استلهمت المأساة ، واستوحت احداثها ، قصيدة الابيوردي (ت ٥٠٧) ، ومطلعها(٧) :

مزجنا دماءً بالدموعِ السواجمِ
فلم يبقَ منا عرضةٌ للمراجمِ

اطلق الشاعر صيحته المدوية من اعماق قلبه المكتوي بنار الحزن والأسى على ما حلّ بالقدس الشريف ، وما اصاب من سكن في حماها . ونراه يشحذ العزائم ، ويستنهض الهمم ، ويثير الحفائض ، ويحذر المسلمين من وقائع ادهى وأعظم ، ومصائب انكى واجسم ، إنْ هم استكانوا الى الدعة والراحة ، وجنحوا الى السلم ، وخلدوا الى السكينة ، واستظلوا بظل العيش الرغيد ، دون الالتفات الى هبوات الغرب :

فأيها بني الإسلامِ ، إنّ وراءكم
وقائعَ يلحقنَ الذُرا بالمناسمِ (٨)
أتهويمةٌ في ظلّ أمنٍ وغبطةٍ
وعيشٍ كنوّارِ الخميلةِ ناعمِ (٩)

وكيف تنامُ العينُ ملءَ جفونِها
على هبَوَاتٍ أيقظتْ كلَّ نائمِ

وكشف الشاعر عن صورة دامية ، ذات الوان مؤثرة ومثيرة ليجلب انتباه الناس الى الخطر الذي ينتظرهم، والبلاء الذي سيداهمهم، والمذلّة التي ستنتابهم إن هم لم يهبوا بعددهم وعددهم الى انقاذ (القدس) من الفئة الباغية ، ولات ساعة مندم :

وتلكَ حروبٌ من يغبْ عن غمارِها
ليسلمَ ، يقرعْ بعدَها سِنَّ نادمِ

استنفار الى الجهاد ، تحريض على اقتحام غمار هذه الحروب الإجماعية ، وعدم التخلّف عنها طلباً للسلامة ، لأن الحرب الإجماعية تقاوم بمثلها ، وإلاّ غلبت الامة ، ونزل البلاء في كلّ من نكص عن القتال .

ويطيل الشاعر من حديث الظلم ، والتهييب من الظالم ، والميل الى السكون ، ومغبّة ذلك . ويكرر دعوته الى القيام بغارة شعواء ، تعاضدها العزيمة والثبات ، ويساندها الإيمان بالحقّ ، وتؤازرها الكرامة والعزّة ، غارة تعطي الأعداء درساً ، وتجعلهم يعظون على اصابعهم ندماً ، ويقولون ليتنا لم نأت الى هذه الديار ، ولم نفعل تلك الأفعال التي تأباها الإنسانية .

دعوناكمُ ، والحربُ ترنو مُلحّةً
إلينا بألحاظِ النسورِ القشاعمِ
تراقبُ فينا غارةً عربيةً
تطيلُ عليها الرومُ عضَّ الأباهمِ

إن هذه القصيدة القيت في بغداد على جمع غفير من الناس حينما وفدت إليها نخبة مختارة من علماء الشام وخطبائها ، اعقبتها قصائد اخرى ـ كما ذكر المؤرخون ـ لم تصل إلينا ، ما خلا قصيدة اخرى لم نقف على اسم قائلها ، منها هذه الابيات التي يخاطب الشاعر فيها ذوي البصائر من المسلمين الساكتين عن نداء الاستغاثة(١٠) :

---

(٧) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ٩ : ١٠٨ ، الكامل لابن الأثير ١٠ : ٢٨١ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٥١ ، وتنسب القصيدة الى القاضي زين الدين أبي سعيد الهروي ، وقد راجعنا ديوان الأبيوردي المطبوع فلم نجدها به .

(٨) أيها : لغة في هيهات بمعنى بعد . الذرا : المرتفعات . المناسم : جمع منسم ، وهو خف البعير .

(٩) التهويمة : هزة الرأس من النعاس . النوار : زهرة الشجر .

(١٠) النجوم الزاهرة ٥ : ١٥٢ .

أتُسبى المسلماتُ بكلِّ ثغرٍ

وعيشُ المسلمينَ إذنْ يطيبُ؟!

أمَا للهِ ، والإسلامُ حقٌ

يدافعُ عنه شبّانٌ وشيبُ ؟

فقلْ لذوي البصائرِ حيثُ كانوا :

أجيبوا اللهَ ويحكمُ أجيبوا

لم تستطع خلافة الإمام المستنصر بالله (ت ٥١٢) أن تسيِّرَ الجيوش الى الشام ، وتدفع الناس في نفير عام لتخليص (القدس) من الصليبيين ، وسكت اهلُ الشام ، وخضعوا للأمر الواقع ما داموا لا يستطيعون تحديهم ، والوقوف بوجههم . يقول ابن تغري بردي : « إن القاضي ورفقته عادوا من بغداد الى الشام بغير نجدة ، ولا قوّة إلاّ بالله(١١) » .

وقد آلم ابن الخياط الدمشقي (ت ٥١٧) نبأ قعود المسلمين عن نصرة المقاتلين في محنتهم ونظم قصيدة تنمُّ على تأثر عميق ، وانفعال شديد ، وهو ــ على ما يبدو ــ متأثر بقصيدة الابيوردي التي سبق ذكرها ، قال فيها(١٢) :

أنوماً على مثلِ هذهِ الصفاةِ

وهزلاً ، وقد أصبحَ الأمرُ جدّا

وكيف تنامونَ عن أعينٍ

وتَرْتُمْ ، فاسهرتموهنَّ حِقدا

ومنها :

فكم من فتاةٍ بهم أصبحتْ

تدقُّ من الخوفِ نحراً وخدّا

وأمٍّ عواتقَ ما إنْ عَرَفْـ

نَ حَرّاً ولا ذقنَ بالليلِ بَرْدا

تكادُ عليهنَّ من خيفةٍ

تذوبُ وتتلفُ حزناً ووجدا

فحاموا على دينكمْ والحريمِ

محاماةَ من لايرى الموتَ فَقْدا

إنه انكر على المسلمين النوم الهانيء ، وشهاب الحرب يلمع ، والخصم لا يهجع . وصوَّر الحالة النفسية آنذاك اصدق تصوير وادقه ، فالفتيات يلطمن خدودهنَّ على ما دهاهنَّ ، ويضربن على صدورهنَّ من خوف ما سيداهمهنَّ ، والأمهات اصابهنَّ الذهول من الواقع الذي اصبحن فيه ، فحرمن من راحة البال ، واطمئنان النفس ، لانهنَّ يخشين على اولادهنَّ من السلب والهتك والهوان .

وحرَّض الشاعر في قصيدته على النهوض والاستبسال لمواجهة الأعداء ، وقطف رؤوسهم ، وحصدها من الأراضي التي دقّوا فيها اوتاد خيامهم ، واقاموا عليها مستعمراتهم :

فدونكم ثلفروا عاجلاً

لكم جاعلاً سائر الأرض مهدا

فقد أينعتْ أرؤسٌ للفرنجِ

فلا تغفلوها قِطافاً وحَصْدا

فلا بدَّ من حدِّهم أنْ يُفلَّ

ولا بدَّ مِن ركنهم أنْ يُهدّا

ولما استوى عماد الدين زنكي على دست الحكم في الشام سنة ٥٢٢ للهجرة ، وضع نصب عينيه تحرير (القدس) والأراضي المسلوبة . وهبَّ الشعراء يباركون هذا الهدف ، ويبثون دعوة الجهاد والكفاح بين العامة والخاصة ، مستغلين كلَّ مناسبة ينتصر جيشه فيها على جيش الإفرنج ، مضمنين قصائدهم ذكر (القدس) ومكانتها ، وضرورة تحريرها .

واول صوت نسمعه في هذا المجال ، هو صوت الشاعر أحمد بن منير الطرابلسي (ت٥٤٨) الذي هنا عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ للهجرة بقصيدة طويلة حينما فتح « الرها » واسترجعها من جوسلين ، وهو ــ كما يقول ابوشامة

(١١) النجوم الزاهرة ٥ : ١٥٢ ، والقاضي هو زين الدين أبو سعيد الهروي رئيس الوفد .

(١٢) ديوان ابن الخياط ص ١٨٢ .

المقدسي(١٣) — عاتي الفرنج وشيطانهم ، والمقدَّم على رجالهم وفرسانهم . جاء في القصيدة(١٤) :

وغداً يُلقى على القدسِ لهـا
كلكلٌ يدرسُها درسَ الدَّرين(١٥)
همةٌ تمسي ، وتُضحي عزمةً
ليس حصنٌ — إنْ تحطهُ — بحصينْ
قلْ لقومٍ غرَّهم إمهالهُ
ستذوقونَ شذاهُ بعدَ حينْ

لقد كان عماد الدين بطلا مقداما ، وفارسا شجاعا ، استردَّ من الإفرنج اقوى الحصون وامنعها ، وكان ابن منير الطرابلسي متفائلاً من ان (القدس) ستسترجع على يده ، لذلك اشار في ابياته الى ذلك ، وهدَّد القوم الذين غرَّهم إبطاؤه بأنهم سيذوقون من كأس المنية ، وإن غداً لناظره لقريب .

وانتهز الشاعر محمد بن نصر القيسراني (ت ٥٤٨) هذه المناسبة ايضا ، ونظم قصيدة في مدح جمال الدين محمد بن علي (ت ٥٥٩) وزير عماد الدين زنكي الذي شارك في فتح الرها ، واظهر بطولة فائقة ، أكد فيها ضرورة الجهاد ، والمسير الى القدس الشريف ، فقال(١٦) :

أمَا آنْ أن يزهقَ الباطلُ
وأنْ ينجزَ المدَّةَ الماطلُ
فإنْ يكُ فتحُ الرها لُجَّةً
فساحلُها القدسُ والساحلُ
فهل علمتْ علمَ تلكَ الديارِ
بأنَّ المقيمَ بها راحلُ

ساور الصليبيين الخوف ، وملأ قلوبهم الرعب ، وهزَّت فرائصهم الرهبةَ ، وأرعدت

(١٣) الروضتين ١ : ٣٦ ، وانظر مفرج الكروب ١ : ١٢٢ ، التاريخ الباهر ص ١٠٢ .
(١٤) الروضتين ١ : ٤٠ .
(١٥) الدرين يبس الحشيش ، او حطام المرعى اذا تناثر وسقط على الأرض .
(١٦) الروضتين ١ : ٤٩ .

ابدانهم المهابة حينما تهاوت حصونهم الشامخة التي كانوا يظنونها مانعتهم من زحف عماد الدين زنكي . ولما امتدت يد الخيانة والغدر اليه ، واغتالته ، وهو نائم في فراشه سنة ٥٤١ للهجرة، فرح الصليبيون بذلك وهللوا ، ولم يدركوا أن عقبة نور الدين محموداً اشد باساً واصلب عوداً ؛ وان ضرباته ستوجعهم ، وتلهب ظهورهم، وتقلق مضاجعهم .

تابع الابنُ جهاد الاب ، وحمل راية التضحية والفداء عالياً ، وقرَّر ان يقتلع شأفة الصليبيين ؛ ويزيحهم عن الشام ، ويحرِّر (القدس) مهما كلَّفه الثمن ، وصنع منبراً نفيساً لينصب في المسجد الأقصى يوم الفتح المرتقب .

التف الشعراء حول نور الدين محمود ، يباركون خطواته ، ويثمنون بطولاته ، ويطلقون من اعماق قلوبهم زغاريد البهجة والفرح بانتصاراته ، ويحرضونه على تحقيق الأمنية الكبرى التي تراود نفوس المسلمين جميعاً ؛ وتداعب احلامهم ، الا وهي فتح (القدس) وانقاذه من سلطان الصليبيين .

وكانت اولى جولات نور الدين محمود مع الصليبيين على حصن « حارم » سنة ٥٤٤ للهجرة ، ثم حصن « آنب » ، هزَّمهم فيها شرَّ هزيمة ، تاركين اشلاء قتلاهم متناثرة في ساحة الوغى ، منهم رايموند صاحب انطاكية . قال ابو شامة المقدسي(١٧) : « ووقعة آنب هذه كانت عظيمة، وقد أكثر الشعراء القول فيها » . وتعدُّ قصيدة ابن القيسراني الحماسية من اكثر القصائد التي استلهمت الفرحة ، فرحة النصر، وعبَّرت عن الغبطة التي ملأت القلوب الملهفة لضرب العدو المغتصب ، وطرده من بلاد الشام، وهي على غرار قصيدة ابي تمام البائية المشهورة، ومطلع قصيدة ابن القيسراني(١٨) :

هذي العزائمُ، لاما تَدَّعي القُضُبُ
وذي المكارمُ ، لاما قالتِ الكُتُبُ

وتبسط الشاعر في تحليل صورة المعركة الحامية ، ووصف الجنود البواسل على خيولهم

(١٧) الروضتين ١ : ٥٨ .
(١٨) مفرج الكروب ١ : ١٢١ ، الروضتين ١ : ٥٨ ، التاريخ الباهر ص ٩٩ .

المغيرة ، والآلات التي استخدموها في ضرب العدو وقهره ، والمعنويات العالية التي تحلّى بها المجاهدون الصابرون ، والمقاتلون الصامدون . واختتم قصيدته بأبيات يدعو فيها للنهوض الى المسجد الاقصى الذي يرتقب مجيء المنقذين له بفارغ الصبر :

فانهضْ الى المسجدِ الأقصى بذي لجبٍ
يوليكَ أقصى المنى ، فالقدسُ مرتقبُ
وائذنْ لموجكَ في تطهيرِ ساحله
فإنّما أنتَ بحرٌ لُجُّهُ لجبُ

وانتهز الشعراء بعد هذا كلُّ فتح احرزه نور الدين ، وكلُّ نصر ظفر به ، وعدّوه فرصة للتذكير بمقام (القدس) واهميته ، وما يجب على المسلمين وقادتهم ان يفعلوه في المستقبل لاستعادة عزّتهم وكرامتهم اللتين فقدوهما في سالف وغابر ايامهم .

وها هو ذا الشاعر ابن القيسراني يستغل حادثة اسر جوسلين القائد المشهور سنة ٥٤٦ للهجرة ، وينظم قصيدة يمدح فيها نور الدين محموداً ، ويبارك له جهاده وجلاده للخصم الباغي ، ويطلب منه ان ييمم وجهه شطر البيت المقدس ليملأ جوانبه نوراً وضياءً ، ويطهّرَ ارضه من دماء الطارئين عليه ، يقول(١٩) :

فسرْ واملأ الدنيا ضياءً وبهجةً
فبالأفقِ الداجي الى ذا السنا فقرُ
كأنّي بهذا العزمِ ، لا فلَّ حدُّهُ
وأقصاهُ بالأقصى وقد قُضي الأمرُ
وقد أصبحَ البيتُ المقدّسُ طاهراً
وليس سوى جاري الدماءِ له طهرُ

واستعدّ نور الدين محمود لخوض معركة جديدة مع الصليبيين . وفي اوائل سنة ٥٤٧ للهجرة ، اقتاد جيشه ، وسار به نحو حصني « انطرسوس » و « يحمور » ، والعزيمة تشدّ من أزره ، والايمان بالنصر يملأ قلبه ، وهجم على الأعداء ، وحاربهم بضراوة ، وضربهم ضربة افقدتهم صوابهم ، وجعلتهم يرفعون راية الاستسلام . فكان ذلك مدعاة للفخر والاعتزاز ، واقبل الشعراء عليه ، والبشر يطفح على وجوههم والفرحة تغمر لوبهم ، وهنؤوه بقصائد حماسية ، خاصة ابن منير الطرابلسي الذي خصّص اغلب شعره لهذا الغرض ، وانشده قصيدة ، وكانتها لوحة متكاملة عن المعركة الضارية التي خاضها نور الدين محمود بفرسانه الشجعان ، وجنوده الميامين ، واستغل الموقف ، فالتمس منه ان يواصل النضال ، ويتابع الزحف نحو مدينة (القدس) ويحررها من الذين نهبوها ، وأباحوا ساحتها ، في غفلة من الزمن ، فقال(٢٠) :

ألقِ العصا فيمن أطاعَ ومن عَصَى
منهم ، ودمّر أرضهم تدميرا
وتريكَ لامعة التريك بساحةِ الـ
أقصى مطهرةً له تطهيرا

وكانت انباء انتصارات نور الدين محمود ، وضرباته السديدة ، قد تجاوزت الشام الى الآفاق ، وانعقدت آمال الغيورين على (القدس) به ، وتمنوا ان يكونوا في صفوف جيشه لينالوا شرف المشاركة في الجهاد الأكبر والزحف المقدس . وكان الوزير المصري ابو الغارات طلائع ابن رزّيك (ت ٥٥٦) من اكثرهم رغبة في هذا الجهاد ، فله جولات موفقة في حرب الصليبيين من الجهة المصرية . وفي ديوان شعره العديد من القصائد التي بعث بها الى صديقه الشاعر المشهور اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤) الذي كان ملازما لنور الدين محمود في حلّه وترحاله ، يطلب فيها ان يقنع نور الدين محموداً في التحالف معه ، وتشكيل جبهتين من الشمال والجنوب لضرب الصليبيين ، وانقاذ (القدس) من ايديهم انقاذاً ابدياً ، حتى إنه ارسل بعثةً رسميةً الى دمشق مع هدايا قيمة وسبعين الف دينار لتنفق في الحرب المقدسة. وها هو ذا يخاطب الشاميين لنصرة دين الله ، والنهوض بعزيمة وثبات لخوض معركة الشرف والفداء ، فيقول(٢١) :

---

(١٩) مفرج الكروب ١ : ١٢٥ ، الروضتين ١ : ٧٢ ، التاريخ الباهر ص ١٠٢ .

(٢٠) الروضتين ١ : ٨٧ .

(٢١) ديوان طلائع بن رزيك ص ٥٢ ، الكامل لابن الأثير ١١ : ١٢٤

تعالوا ، لعلَّ اللهَ ينصرُ دينَهُ
اذا ما نَصَرْنا الدينَ نحنُ وأنتمُ
وننهضُ نحوَ القادمين بعزمةٍ
بأمثالِها تحوى البلادُ وتُقسمُ

والح طلائع بن رُزِّيك في هذا الطلب ، واصرَّ عليه ، وتابع الكتابة إلى اسامة بن منقذ ، وحَمَّلَهُ امانة التبليغ . يقول في قصيدة طويلة[٢٢] :

فانهضِ الآنَ مسرعاً فبأمشا
لكَ ما زال يُدْرَكُ المطلوبُ
والقِ عنّا رسالةً عند نورال
دين ما في إلقائها ما يريبُ
قلْ له ، دامَ ملكُه ، وعليه
من لباسِ الإقبالِ بُرْدٌ قشيبُ
أيُّها العادلُ الذي هو للديـ
نِ شبابٌ ، وللحروب شبيبٌ[٢٣]
والذي لم يزلْ قديماً عن الإسـ
لامِ بالعزمِ منه تُجلى الكروبُ
وغدا منه للفرنجِ إذا لا
قوه يومٌ من الزمانِ عصيبُ
إنْ يَرُمْ نزفَ حِقدهم فلأشطا
نِ قناه في كلِّ قلبٍ قليبُ
غيرُنا مَنْ يقولُ ما ليس يُمضيـ
ـهِ بفعلٍ ، وغيرُكَ المكذوبُ
قد كتبنا إليك ، فاوضحْ لنا الآ
نَ بماذا عن الكتابِ تجيبُ

انه نداء من الاعماق ، نداء لحسم الداء الذي طال امده في قلب الوطن العربي ، وبلغت جراحاته المدى ، ونفد الصبر عليه ، لذلك نراه يعاتب نورالدين محمودا في قصيدة اخرى على مهادنة الصليبيين ، ومد يد الصلح اليهم ، ويحذره من مغبة ذلك ، لان الغدر من ديدنهم ، ونقض العهود والمواثيق من صفاتهم ، فيقول[٢٤]:

وحسمُ أصولِ الداءِ أولى لعاقلٍ
لبيبٍ ،اذا استولى على المدنفِ الخلطُ
فدعْ عنكَ ميلاً للفرنجِ وهدنةً
بها أبداً يخطي سواهم ، ولم يُخطوا
تأمَّلْ فكم شرطٍ شرطتَ عليهمْ
قديماً ،وكم غدرٍ به نُقِضَ الشرطُ
وشمِّرْ ، فإنّا قد أعنّا بكلِّ ما
سألتَ ،وجَهَّزْنا الجيوشَ ولن يُبطوا

ويكرر حسم الداء من جسم الوطن العربي واستئصاله ، ويدعو الى عدم الفتور في اقتلاعه من جذوره ، وطرده الى غير رجعة ، ويغريه بنوال الجزاء العظيم الذي وعد الله به المجاهدين والقائمين على نصرة دينه ، يقول[٢٥] :

قلْ له ، لا عداهُ رأيٌ ، ولا زا
لَ لديهِ لكلِّ خيرٍ طريقُ :
أنتَ في حسمِ داءِ طاغيةِ الإفـ
ـرنجِ ذاكَ المرجوُّ والمرموقُ
فاغتنمْ بالجهادِ أجركَ كي تلـ
ـقى رفيقاً له ، ونعمَ الرفيقُ

ان ديوان طلائع بن رزيك سجل حافل لمواقف البطولة والشجاعة ، والتضحية والفداء ، والبذل والعطاء ، والنخوة والاباء ، والصدق والوفاء ، من اجل قضية المسلمين العادلة ، الا وهي استرداد الوطن السليب ، وان حديثه

---

(٢٢) ديوان طلائع بن رزيك ص ٦١ .

(٢٣) يريد شبيب بن يزيد الشيباني احد كبار الثائرين على بني أمية ، وكان بطلا في الحرب . توفي سنة ٧٧هـ .

(٢٤) ديوان طلائع بن رزيك ص ٦٩ .

(٢٥) المصدر السابق ص ٨٢ .

ساعة الموت عن المه ، لانه لم يطهر فلسطين من المغير ، ليدل على ما كان لهذا المبتغى من اثر في نفسه[٢٦] .

وجدير بالذكر ان الشاعر اسامة بن منقذ ، وهو رائد من رواد الفتوة والفروسية في عصر الحروب الصليبية ، وقائد محنك من قواد المسلمين ، قد اكثر في شعره من الفخر والحماسة ووصف الوقائع الحربية ، دون الالتفات — كما فعل الشعراء الآخرون — الى ذكر البيت المقدس، وما يجب فعله لانقاذه . ويبدو لنا انه لم يفعل ذلك لئلا ينشغل المسلمون به دون غيره ؛ فان مبداه طرد الصليبيين من الشام جميعا ، وتحرير عموم تراب الوطن من شرورهم[٢٧] .

ويأتي عمادالدين الاصفهاني (ت ٥٩٧) في قمة المناهضين ، المتلهفين لاخراج الافرنج من الشام ، واخذ الثأر للشهداء الذين سقطوا صرعى في الحروب التي دارت رحاها على الارض المقدسة وما يحيط بها . فلا نكاد نجد له قصيدة في مدح نورالدين محمود ، او خلفه صلاح الدين الايوبي ، او احد قواد الحروب وامرائها ، الا وفيها استثارة ودعوة للمسير الى البيت المقدس وفك اغلاله وكسر قيوده . فهو يستنهض نورالدين محمودا سنة ٥٦٣ للهجرة حينما استعاد مدينة « منبج » من حاكمها المعروف بابن حسان الذي ساءت سيرته ، وكثرت الشكاية منه ، ويعجله لغزو الخصم في عقر داره ، واجتثاثه من اصوله التي ثبتها بالنار والحديد ، ويدعوه ان يعرج على « طرابلس » و « نابلس » ، وهما من المدن الرئيسية التي عض الصليبيون عليها بنواجذهم ، واهانوا عزتها وكرامتها ببطشهم ، فيقول[٢٨] :

أبشرْ فبيتُ القدسِ يتلو منبجاً
ولمنبجٍ لسواهُ كالأنموذجِ
ما أعجزتكَ الشهبُ في أبراجها
طلباً ، فكيف خوارجٌ في أبرجٍ ؟

(٢٦) انظر ديوان طلائع بن رزيك ص ٨٥ ، ١٠٨ .
(٢٧) انظر مقدمة ديوان اسامة بن منقذ ص ٦ ، واسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية ص ١٩ — ٧٦ .
(٢٨) الروضتين ١ : ١٥٠ .

فانهضْ الى البيتِ المقدسِ غازياً
وعلى طرابلسٍ ونابلسٍ عُجِ
قد سِرْتَ في الإسلامِ أحسنَ سيرةٍ
مأثورةٍ وسلكتَ أوضحَ منهجِ

واستغل الشاعر — في السنة نفسها — اقدام اسدالدين شيركوه بن شاذي (ت ٥٦٤) عم صلاح الدين الايوبي ، بايعاز من نورالدين محمود ، على فتح مصر ، وهنأه بقصيدة مطلعها[٢٩] :

بالجـدِّ ما أدركتَ لا اللعبِ
كم راحةٍ جُنيتْ مِنْ دوحةِ التعبِ

وهي قصيدة حماسية ، تناول الشاعر فيها الجهود التي بذلها في توحيد مصر والشام ، واهمية ذلك التوحيد في حصار الصليبيين وضربهم ، ورجا ان يكون سبيل خير لفتح البيت القدس :

فتحتَ مصرَ ، وأرجو أن تصيرَ بها
ميسراً فتح بيت القدس عن كثبِ

وفي خاتمة القصيدة حذره من الركون الى نشوة النصر ، واهمال الخصم يسرح ويمرح ، وشبهه بالافعى التي اصيب ذنبها دون راسها ، فهي تلدغ ما دامت تسعى على الارض :

لا تقطعنْ ذنبَ الأفعى وترسلَها
فالحزمُ عندي قطعُ الرأسِ كالذنبِ[٣٠]

ووجه ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١) قصيدة الى نورالدين محمود هناه فيها بالظفر العظيم الذي احرزه جيشه بقيادة شيركوه في الاستيلاء على مصر وضمها الى الشام ، وعد هذا العمل قوة للمسلمين ونصرا

(٢٩) سنا البرق الشامي ١ : ٧٩ ، الروضتين ١ : ١٥٩ ، شفاء القلوب ص ٤٢ .
(٣٠) أصل البيت لابي اذينة ابن عم الاسود بن المنذر بن النعمان (تاريخ أبي الفداء ١ : ١٧٤) .
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها
ان كنت شهما فاتبع راسها الذنبا

لهم ، ومجالا رحبا للهجوم على مغتصبي (القدس) والانقضاض عليهم . يقول[21] :

وإنْ بذلتَ لفتحِ القدسِ مُحتسباً
للأجرِ ، جوزيتَ أجراً غيرَ محتسبِ
والأجرُ في ذاكَ عندَ اللهِ مرتقبٌ
فيما يثيبُ عليه خير مرتقبِ
ولست تُعذرُ في تركِ الجهادِ وقد
أصبحتَ تملكُ مِن مصرَ الى حلبِ
فأحزمُ الناسِ من قوّى عزيمتَهُ
حتى ينالَ بها العالي مِن الرتبِ
فالجَدُّ والجِدُّ مقرونان في قرنٍ
والحزمُ فيالعزمِ والإدراكُ فيالطلبِ

انه يشد من ازر نورالدين محمود ، ويقوي عزيمته ، ويبعث فيه روح النضال والكفاح لادراك الطلب وتقيق الامنية التي عقد العزم عليها منذ تسلمه مقاليد الحكم في الشام ، وتوليه قيادة الجيوش التي نذرت نفسها في سبيل احقاق الحق وازهاق الباطل وتثبيت اقدام المسلمين في الديار التي ذهبت ضحية الخور والضعف .

وقد شاء القدر ان يقضي نورالدين محمود نحبه سنة ٥٦٩ للهجرة دون الوصول الى الهدف المنشود . ولكن الله عوض عنه رجلا آخر حمل رسالة الدفاع عن الحق وتحرير البقاع المغتصبة خاصة (القدس) بكل امانة ، الا وهو البطل المقدام صلاحالدين يوسف بن ايوب .

وكانت ريح الفتن قد عصفت بعد وفاة نورالدين محمود ، وكادت تؤدي الى ضياع ذلك الجهد العظيم الذي بذل في دحر الصليبيين وجلائهم من مدن عديدة كانت تحت أمرتهم . ولكن حنكة صلاحالدين الايوبي وكياسته استطاعت ان تراب الصدع ، وتعيد الصف الاسلامي الى تماسكه وترابطه ، ليقف بقدمين ثابتتين امام الطواريء التي ستتجسد في مسيرة حرب التحرير .

(21) الخريدة ـ قسم شعراء الشام ـ ١ : ٢٧٧ .

بدأ صلاحالدين ـ اول ما بدا ـ بتصفية جيوب الخصوم ، وتوحيد ما يحيط بفلسطين ، وتقوية الجيش عددا وعدة . وقد اخذ منه ذلك وقتا تجاوز خمسة عشر عاما . ولم يهمل الشعراء خلال هذه المدة تذكيره بمقام (القدس) وتحفيزه على تحريرها ، وان كان وكده الجهاد والتحرير ، يقول قاضية ابن شداد (ت ٦٣٢) : « كان حبه للجهاد ، والشغف به ، قد استولى على قلبه ، وسائر جوانحه ، استيلاء عظيما ، بحيث ما كان له حديث الا فيه ، ولا نظر الا في آلته . ولا كان له اهتمام الا برجاله ، ولا ميل الا الى من يذكره ويحث عليه . ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله اهله واولاده ووطنه وسكنه وسائر ملاذه . وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهبَ بها الرياح يمنة ويسرة »[22] .

ومن اكثر الشعراء الذين شغلت قضية (القدس) بالهم ، وسيطرت على جوارحهم ، كاتب صلاح الدين وامين سره العماد الاصفهاني . يقول في قصيدته الاولى التي هناه فيها باقامة دولته[23] :

ولا تهملوا البيتَ المقدَّس ، واعزموا
على فتحهِ غازينَ ،وافترعوا البِكرا

وكان راي عمارة اليمني (ت ٥٦٩) أن يبدا بتحرير (القدس) قبل غيرها من المدن الشامية المحتلة ؛ لانها المفتاح الكبير لفتح باب الشام . فقال لصلاح الدين الايوبي[24] .

وهيَّجتَ للبيتِ المقدَّسِ لوعةً
يطولُ بها منه إليكَ التشوّقُ
هو البيتُ ، إنْ تفتحه ، واللهُ فاعلٌ
فما بعده بابٌ مِن الشامِ مغلقُ

ويبدو ان صلاح الدين الايوبي ـ وهو قائد حرب مُجرّب ـ كان يرى بتر الاجنحة في باديء الأمر اولى من طعن القلب والإجهاز عليه . فحرّر المدن الشامية التي كانت حزاماً واقياً للقدس ، وادخل الاطمئنان الى قلوب ساكنيها ، وبشرهم

(٢٢) النوادر السلطانية ص ٢١ .
(٢٣) الروضتين ١ : ١٧٩ .
(٢٤) الروضتين ١ : ١٩٣ .

بمواصلة الزحف والنضال ، وحرب التحرير ، وعدم التهاون مع العدو حتى يتمَّ جلاءهم .

وانتهز الشعراء مواقف صلاح الدين المشرفة ، واستقبلوه بقصائدهم الحماسية . فحينما فتح حمص وبعلبك ، نهض عماد الدين الاصفهاني ، وانشد بين يديه ، وعلى مسمع من قواده وجنوده قصيدة مطلعها(٢٥) :

بفتوحِ عصركَ يفخرُ الإسلامُ
وبنورِ نصرِكَ تشرقُ الأيامُ

وطلب منه أن يكلل هذا النصر بفتح (القدس) كي يزهو الاسلام ، ويتالق نوره الذي خبا لحقبة من الزمن في ظل القهر والاستعباد :

فتملَّ فتحكَ ،وافتحِ القدسَ الذي
بحصولهِ لفتوحكَ الإتمامُ
دُمْ للعلى حتى يدومَ نظامُها
واسلمْ ، يعزَّ بنصرِكَ الإسلامُ

ويكرر هذا الطلب في مدحة اخرى حينما يعود صلاح الدين الايوبي الى القاهرة ، ويحثه على المسير الى (القدس) ، وإطلاق سهامه في صدور الذين سلبوها ظلماً وعدواناً ، واعمال سيوفه في رقابهم ، وسفك دمائهم(٢٦) :

فسِرْ وافتحِ القدسَ ، واسفكْ بهِ
دماءً متى تُجرها تنظفِ

ويستنهضه في قصيدة ثالثة ليشفي غليل المسلمين الذين طال شوقهم الى حبيبتهم المدينة المقدسة؛ ويتمنى نجاتها وخلاصها من الصليبيين بـ « فتح الفتوح » ، ويقول له : إن كان ذلك عسيراً عليك ، فسر إليها ، وتوكّل على الله ، فهو حسبك(٢٧) :

نهوضاً الى القدسِ يشفَى الغليل
بفتحِ الفتوحِ ، وماذا عسيرْ ؟

(٢٥) مفرج الكروب ٢ : ٣٠ .
(٢٦) مفرج الكروب ٢ : ٥٧ .
(٢٧) الروضتين ١ : ١٤٠ .

سلِ اللهَ تسهيلَ صعبِ الخطوبِ
فهو على كلِّ شيءٍ قديرُ

وهكذا يلهج العماد الاصفهاني بذكر البيت المقدَّس في القصائد التي يلقيها امام صلاح الدين الايوبي ، وينبهه بضرورة تحريره ؛ وفك اسره من القيود التي طال به الزمن .

وكان بهاء الدين ابو الحسن علي بن رستم الساعاتي (ت ٦٠٤) من الغيورين على فلسطين يتنسَّم اخبارها ، ويتتبَّع حركات الجيوش المحاربة وتنقلاتها ؛ ويتطلَّع لليوم الذي تتحرر فيه (القدس) وتنجلي الكآبة التي هيمنت على النفوس ورانت على الافئدة . فنراه يبعث الى صلاح الدين الايوبي قصيدة يهنئه بفتح « طبرية » وطرد الصليبيين منها ، وهي من المواقع الحصينة التي اتخذوها درعاً لوقاية القدس ، مطلعها(٢٨) :

جلَتْ عزماتكَ الفتحَ المبينا
فقد قرَّتْ عيونُ المؤمنينا

إن فتح « طبرية » فرحة كبيرة للمسلمين ، ونكسة رهيبة للصليبيين . سرَّ قلوباً ، وأبكى عيوناً . طمأن نفوساً ، وأقلق مضاجعاً .

فيا للهِ كم سرَّتْ قلوباً ؟!
ويا للهِ كم أبكتْ عيونا ؟!

ويشير الشاعر الى ابتهاج مدينة (القدس) بهذا الفتح المبين ؛ وتفاؤلها بيوم الخلاص ، بعد أن راى جهود صلاح الدين الأيوبي الجبارة في المسيرة التحررية التي بداها منذ ان قاد الجيوش الجرارة برباطة جاش وقوة عزيمة وادار الرحى الكبيرة التي طحنتهم ومزَّقتهم شرَّ ممزق .

تهزُّ معاطف القدس ابتهاجاً
وترضي عنك مكة والحجونا
فلو أن الجهادَ يطيقُ نطقاً
لنادتكَ : ادخلوها آمنينا

(٢٨) ديوان ابن الساعاتي ٢ : ٤٠٦ .

فقلبُ القدسِ مسرورٌ ولولا
سطاكَ لكان مكتئباً حزينا
أدرتَ على الفرنجِ ــ وقد تلاقتْ
جموعُهم عليكَ ــ رحى طحونا

إن استخلاص (القدس) من أكبر الأماني واعزها عند المسلمين آنذاك ، وكان الشعراء لسان حالهم ، والمعبر الصادق عن دخائل نفوسهم ؛ لذلك ما فتئوا يحرضون صلاح الدين الأيوبي ويستنهضونه ؛ بل ويحرّضون رجال الأسرة الأيوبية ممن قاد الجيوش ، وحمل الوية الكفاح والنضال ، كما نرى ذلك في قصيدة العماد الأصفهاني السينية التي مدح بها في سنة ٥٨١ للهجرة الفارس الشاعر تقي الدين عمر صاحب حماة (ت ٥٨٧) ، وهي في مئة واربعين بيتاً ، مطلعها(٣٩) :

عفاالله عنكم، عن ذوي الشوق نفسوا
فقد تلفتْ منا قلوبٌ وأنفسُ

وتوسع الشاعر في بيان مكانه الممدوح ؛ واسرته ، وجهاده في سبيل نصره دين الله ، وتثبيت مكانة المسلمين التي تزعزعت بعد توغل الصليبيين في ديارهم . واشار الى البيت المقدس الذي لا يفتح ــ حسب قوله ــ إلاّ بمفاتيح الأيوبيين ، فقال :

ولا يفتحُ البيتَ المقدَّسَ غيرُكم
وبيتكُمُ مِن كلِّ عابٍ مقدَّسِ

وكان للشعراء العراقيين دور بارز في الحروب التي دارت على ارض الشام ، فقد آزر بضعة وعشرون شاعراً الدولة الأيوبية ، ووقفوا بجانب ملوكها وروادها في كفاحهم ضد الغزاة المعتدين(٤٠) . وانتجع عدد منهم بلاد الشام ، ورابطوا مع اخوانهم على خطوط النار ، وذادوا بسيوفهم والسنتهم عن الحق العربي ، مثل الأمير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان العراقي ،

(٣٩) الروضتين ٢ : ٧١ .
(٤٠) انظر اسماءهم ، ومواضع تراجمهم في كتاب (الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد) ص ١٢٦ ــ ١٢٩ .

الذي مدح صلاح الدين الايوبي بعد قصائد ، من ذلك قصيدة مطلعها(٤١) :

هنيئاً صلاحَ الدينِ بالفتحِ والنصرِ
ونيلِ الأماني الغرِّ والفتكةِ البكرِ

وحثَّ الشاعرُ الممدوحَ على إزاحة الإفرنج من البقاع التي احتلوها ، ودعاه الى ان يملك الأرض ، ويقيم دولة كبرى تتحدى كلَّ طامع وغادر :

فلا ترضَ منهم بعدها بذلَ طاعةٍ
فما خُلقوا إلاّ على شيمةِ الغدرِ
فسرْ واملكِ الأرضَ التي لو تركتها
لأغضتْ عيونُ المجدِ منها على أمرِ

وثمة شعراء عراقيون لم يرتحلوا الى بلاد الشام ، ولم يشاركوا في الحروب ، وإنما كانوا يبعثون قصائدهم الى الممدوحين ، يحثونهم فيها على الجهاد وانتزاع الاراضي من الغاصبين منهم سبط ابن التعاويذي (ت ٥٨٣) الذي مدح صلاح الدين الأيوبي وهناه بعدة قصائد دون ان يراه ويلتقي به ، من ذلك قوله في قصيدة طويلة(٤٢) :

فاصبحْ بلادَ الرومِ منكَ بغارةٍ
للنصرِ فيها رائدٌ لا يكذبُ
وانكحْ صوارمكَ الثغورَ يزورُها
في كلِّ يومٍ من جيوشكَ مِقْنَبُ
حتى يُرى للمشرفيَّةِ مَطْعَمٌ
بالفتكِ من تلكَ الدماءِ ومشربُ
فالعدلُ ليس بناجعٍ أو تنثني
وغِرارُ نصلكَ بالنجيعِ مُخضَّبُ

وهكذا كان الشعراء ــ في الشرق والغرب ــ يحثون على القتال والنزاع لتحرير ديار الشام ، خاصة (البيت المقدَّس) من الإفرنج . فلا تكاد

(٤١) الروضتين ٢ : ١٢ .
(٤٢) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ٢٥ .

نجد قصيدة في المدح او التهنئة إلا وفيها ابيات تحرض وتستنهض على المسير نحو قبلة المسلمين الاولى ، وانزال شعار الصليبيين منها ، ورفع شعار الإسلام ، واعادة صوت « الله اكبر » الى مآذنها .

ويحدثنا المؤرخون عن اثر هذا الشعر في نفوس القادة ، خاصة صلاح الدين الأيوبي ، الذي كان يتذوق الشعر ، ويكثر من إنشاده . من ذلك ما يرويه قاضي القضاة مجير الدين الحنبلي ، فيقول(٤٢) : « حكي ان السلطان صلاح الدين لما كثرت فتوحاته في السواحل ، وارجع فيهم بسهامه وسطوته ، وكان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس ، لكثرة ما فيه من الأبطال والعدة ... وكان في بيت المقدس شاب ماسور من اهل دمشق ، كتب هذه الأبيات ، وارسل بها الى الملك صلاح الدين على لسان القدس : فقال :

يا أيها الملكُ الذي
لمعالمِ الإفرنجِ نكّسْ
جاءت إليكَ ظلامةٌ
تسعى من البيتِ المقدسْ
كلُّ المساجدِ طُهّرتْ
وأنا — على شرفي — منجّسْ

فكانت هذه الابيات هي الداعية له الى فتح بيت المقدس » . إن هذا — وإن كان لا يخلو من المبالغة والتهويل — يدل على اهمية دور الشعر في دفع القادة آنذاك الى سوح المعركة ، ومحاربة الخصم ومقارعته ، وإنهاء احتلاله للأرض التي سطا عليها زمناً طويلا ، وجنى ثمارها ظلماً وعدواناً .

دور الشعر بعد تحرير القدس :

مضى على احتلال (القدس) تسعون سنة ، وهي تعاني القهر والاستعباد، والظلم والاستبداد، وتنتظر مجيء الرجال الغيورين لتخليصها وتحريرها . وطال هذا الانتظار الى ان برز صلاح الدين في حلبة الصراع ، وميدان القراع ،فاستطاع ان يضرب الصليبيين بعنف ، ويردي الكثيرين منهم ، وينتزع من أيديهم القلاع والحصون . ولما حانت سنة ٥٨٣ للهجرة ، وقف على مشارف (القدس) بجيوشه الباسلة ، ونادى فيهم بصوت عال(٤٤) : « هذا اليوم الذي كنت انتظره ، وقد جمع الله لنا العساكر ، وانا رجل قد كبرت ، ولا أدري متى اجلي ، فاغتنموا هذا اليوم ، وقاتلوا لله تعالى ، لا من اجلي » . وحينما سمع الإفرنج تصميم صلاح الدين الأيوبي على محاربتهم ، وتأكيد جلائهم ، خرجوا إليه في موضع يقال له (حِطّين) . وكان عددهم خمسة واربعين الفاً ، وزاده بعضهم الى ثلاثة وستين الفاً ، بين فارس وراجل . اما عدد المسلمين فكان اثني عشر الف مقاتل . واصطدم الطرفان ، وتضارب الجمعان ، واحتدم القتال ، واشتد الجلاد بضراوة ، انكسر الأعداء شرّ كسرة ، وقتل منهم الآلاف ، وانهزم الباقون لا يلوون على شيء . وقد احدث هذا النصر رنة فرح تردّدَ صداها في انحاء العالم الإسلامي .وكتب العماد الأصفهاني على لسان صلاح الدين الأيوبي « في ذلك اليوم سبعين كتاب بشارة ، كل كتاب بمعنى بديع(٤٥) » .

ووقف الشعراء يمدحون صلاح الدين الأيوبي ، ويفتخرون به ، ويثمنون جهوده . منهم وزيره في الشام العماد الأصفهاني ، يقول مخاطباً القائد المنتصر(٤٦) :

ونعمَ مجالُ الخيلِ حِطينُ لم تكنْ
معاركُها للجردِ ضرساً ولا دهسا
غداةَ أسودُ الحربِ معتقلو القنا
أساودُ تبغي من نحورِ العِدا نهسا
كسرتهمُ إذ صحَّ عزمكَ فيهمُ
ونكستهمْ إذ صارَ سهمهمُ نكسا
بواقعةٍ رَجّتْ بها الأرضُ جيشَهم
دماراً كما بسّتْ جبالهم بسّا

(٤٢) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١ : ٢١٨ .

(٤٤) الروضتين ٢ : ٨٤ .
(٤٥) الروضتين ٢ : ٩٦ .
(٤٦) الروضتين ٢ : ٨٢ .

بطونُ ذئابِ الأرضِ صارت قبورهم
ولم ترض أرضٌ أن تكون لهم رمسا
وطارت على نارِ المواضي فراشُهم
صلاءً فزادتْ مِن خمورهم قبسا
وقد خشعتْ أصواتُ أبطالها فما
يعي السمع إلاّ من صليلِ الظُّبا همسا
تقادُ بدأماءِ الدماءِ ملوكهم
أسارى كسفنِ اليم نطكتْ بها القلسا
سبايا بلادِ اللهِ مملوءةٌ بها
وقد شريت بخساً ،وقد عرضت نخسا
يطافُ بها الأسواق لا راغب بها
لكثرتها ، كم كثرةٍ توجبُ الوكسا

والقصيدة طويلة ، وهي ـ وإن بدا عليها التصنّع والتكلّف ـ تعطينا صورة للفرسان المغيرين على العدو المتخاذل ، والقتلى المتناثرة اشلاؤهم في ساحة الوغى ، والأسارى وهم يساقون للبيع بأبخس الأثمان .

لقد عمّت الفرحة بهذا النصر الباهر ، وهنّا المسلمون بعضهم بعضاً كما قال فتيان الشاغوري(٤٧) :

لم تخلُ سمعاً من هناءٍ مهنيءٍ
للمسلمينَ ،ومِنْ سماعِ مُبَشِّرِ

لم يتكيء صلاح الدين الايوبي على هذا الفوز ، ويخلد الى الراحة ، ويعط فرصة للأفرنج كي يستفيقوا من سكرتهم ، ويعيدوا نشاطهم ، ويجمعوا شتات شملهم ، ويستنجدوا بممويليهم ـ مادياً ومعنوياً ـ في اوربا ، بل مضى الى بيت المقدس وفتحه دونما عناء او مقاومة كبيرة ، واسر ملكهم ، ودخل المسجد الاقصى ، وصلّى فيه ، وشكر الله على نصره ، ونصب المنبر الذي هياه نور الدين محمود لمثل هذا اليوم .

(٤٧) ديوان فتيان الشاغوري ص ١٤٧ .

واقبل الشعراء على صلاح الدين الأيوبي من كلّ مكان ، واخذوا يتبارون في نظم آيات المدح له ، حتى صار انشودتهم ، وتسابقوا في الدخول عليه ، والمثول بين يديه . قال ابن العديم(٤٨) : « ولم يجتمع بباب أحدٍ من الملوك بعد سيف الدولة بن حمدان ما اجتمع ببابه ـ رحمه الله ـ وزاد على سيف الدولة في الحباء والفضل والعطاء » . وأول شاعر دخل عليه ، وهناه بالنصر المبين ، قائده وابن اخيه تقي الدين عمر (ت ٥٨٧) وانشده قصيدة مطلعها(٤٩) :

دَعْ مهجةَ المشتاقِ مَعْ أهوائِها
يـا لائمي ما أنتَ مِنْ نصحائها

ومنها :

جاءَتكَ أرضُ القدسِ تخطبُ ناكحاً
يا كفأها ، ما العُذْرُ مِنْ عُذرائها
زُفّتْ إليكَ عروسَ خِدْرٍ تجتلَى
ما بينَ أعبُدِها وبينَ إمائها
إيهٍ صلاحَ الدينِ خُذْها غادةً
بكراً ، ملوكُ الأرضِ مِنْ رقبائها
كم خاطبٍ لجمالها قد ردَّهُ
عن نيلها أنْ ليس مِنْ أكفائها

من احب الأماني لدى الرجال الشريف ـ بالحدود التي قيّدة الشرع بها ـ ان ينال الزوجة الجميلة العفيفة التي يقضي حياته معها . فهي أثمن شيء عنده ، يحرص عليها ، ويحافظ على شرفها وعزّتها ،ويمنع عنها عوادي الدهر وغوائله؛ لذلك شبه تقي الدين عمر (القدس) بالفتاة اللطيفة التي تطمع بالرجل الذي يليق بها ، ويكون من وزنها ، فلم تجد كفئاً لها غير صلاح الدين الايوبي ، فزفّت إليه مجلوةً بين خدمها وإمائها لتعيش تحت ظله هانئة مسرورة ، وقد لا حظنا هذه الصورة عند اكثر من شاعر ، فهي عند ابن الساعاتي(٥٠) :

(٤٨) زبدة الحلب من تاريخ حلب ٣ : ١٢٥ .
(٤٩) الخريدة ـ بداية شعراء الشام ـ ص ٨٥ ، مفرج الكروب ٢ : ٢٣٦ ، كنز الدرر ٧ : ٩١ .
(٥٠) ديوان ابن الساعاتي ٢ : ١١٨ .

رشيقةُ القدِّ لا تسمو إليه يدٌ

أسيلةُ الخدِّ لا تدنو من القبلِ

كم مقلةٍ سهرتْ وجداً بمقلتها

لم تكتحلْ بكرًى شوقاً الى الكحلِ

بكرُ المعاقلِ فاخْطبها مكابرةً

بكلِّ ألمى أصمِّ الكعبِ معتدلِ

فما سواكَ لها بعلٌ وقد عطلتْ

فحلِّها بتلافيها من العطلِ

اليس هذا وصفاً لفتاة حسناء قدّمه الشاعر لصلاح الدين الأيوبي ؟ بلى ، فهي ممشوقة القد ، اسيلة الخد ، ممنعة رزان ، تبارى الرجال لخطبتها ، وتسابقوا ليحظوا بها ، تولعوا بها ، وسهرت عيونهم شوقاً الى رؤية جمالها . وقال الشاعر لصلاح الدين الايوبي : انت كفء لها ، وخليق بها ، فتقدم إليها ، وحلِّ جيدها العاطل .

واقبل شعراء الشام على صلاح الدين الايوبي زرافات ووحدانا ، منشدين افراح الظفر ، ومرددين اهازيج النصر . منهم ابو محمد فتيان ابن علي الأسدي الشاغوري (ت ٦١٥) الذي تفتق لسانه بعدة قصائد(٥١) ، حكى فيها ملحمة البطولة والشجاعة ، والتضحية والفداء . منها هذه الصورة لجنود العدو القتلى ، وكانهم تماثيل من كافور ، ردعن بعنبر ، وقد داستها سنابك خيول صلاح الدين الايوبي ، وبغاث الطير تتهاوى عليها مقتلعة العيون الزرق التي تشبه فصوص الجوهر النفيس(٥٢) :

صرعى كأنَّهم تماثيلٌ من ال

كافورِ ، من دمهم رُدِعْنَ بعنبرِ

فالخيلُ لا تمشي بها إلاَّ على

هامٍ منضَّدَةٍ وشَعْرٍ أشقرِ

نهبتْ عُفاةُ الطيرِ من حَدَقٍ بها

زُرقٍ فصوصاً من نفيسِ الجوهرِ

(٥١) ديوان فتيان الشاغوري ص ٦٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ٢١٥

(٥٢) ديوان فتيان الشاغوري ص ١٤٥ .

وينمته في قصيدة اخرى تجاوزت مئة بيت بربِّ الملاحم التي لم يؤرخ العلماء مثلها في قديم الاعصر والأزمان ، وينمي الساحل الشامي الذي طرد منه صلاح الدين الايوبي الصليبيين ورماهم في البحر ليعودوا الى اوطانهم التي جاؤوا منها ب « الطراز الأخضر » ؛ وينوه بجهوده الجبارة التي بذلها في سبيل انقاذ القدس(٥٣) :

ربُّ الملاحمِ ، لم يؤرخ مثلها ال

علماءُ قِدماً في قديمِ الأعصرِ

خُلعتْ عليه خلعةُ الملكِ التي

زيدتْ بهاءً بالطرازِ الأخضرِ

واستنقذ البيتَ المقدَّسَ عَنْوَةً

من كلِّ ذي نجسٍ بكلِّ مُطَهَّرِ

وأريتهم لما التقى الجمعان بال

بيت المقدَّسِ هولَ يومِ المحشرِ

ورددتَ دينَ اللهِ بعدَ قطوبهِ

بالمسجدِ الأقصى بوجهٍ مُسفرِ

وأعدتَ ما أبداهُ قلبكَ فاتحاً

عمر ، فأنتَ شريكه في المتجرِ

حتى جمعتَ لمعشرِ الإسلام بيـ

ـنَ الصخرةِ العظمى وبينَ المشعرِ

فلصخرةِ البيتِ المقدَّسِ كفؤها ال

حجرُ المفضلُ عند أفضلِ معشرِ

واهتز رشيد الدين عبدالرحمن بن بدر النابلسي (ت ٦١٩) بهذا النصر ، وجادت قريحته بقصيدة عبَّر فيها عن نبضات قلوب المسلمين ؛ مطلعها(٥٤) :

هذا الذي كانت الآمالُ تنتظرُ

فليوفِ لله أقوامٌ بما نذروا

(٥٣) ديوان فتيان الشاغوري ص ١٤٠ .

(٥٤) الروضتين ٢ : ١١٨ .

لقد قرّت العيون ، واطمأنت الجنوب في المضاجع ، بعد أن مرّت على المسلمين قرابة مئة سنة ، تحملوا فيها قسوة المحتلين وبغيهم ، وسياط فرسان الصليبيين وجورهم .

الآن قرّتْ جنوبٌ في مضاجعِها
ونامَ مَنْ لم يزلْ حلفاً له السهرُ

ويا لعظيم البهجة بعد ان تحرّرت (القدس) من قيود الافرنج ، ورفرفت اعلام المسلمين عليها ، وجلجل صوت « الله اكبر » في كلّ جانب منها :

يابهجةَ القدسِ إذ أضحى به علمُ الـ
إسلامِ من بعد طيٍ وهو منتشرُ
اللهُ أكبرُ ، صوتٌ تقشعرُ له
شمُ الذُرا ، وتكادُ الأرضُ تنفطرُ

وخشي الشاعر ان تقوم للإفرنج قائمة جديدة بعد ان خرجوا من (القدس) وتمركزوا في بعض اجزاء الساحل الشامي ، فنراه يطلب من صلاح الدين الأيوبي ان يستأنف القتال ، ويلاحق الاعداء، ويلهب ظهورهم بسياطه ، لكي لا يبقى لهم امل في العودة ثانية الى المواقع التي تخلوا عنها بعد احتلالهم لها حين من الزمن :

يا مالكَ الأرضِ مهدّها فما أحدٌ
سواكَ من قائمٍ للمهدِ ينتظرُ
ما اخضرَ هذاالطرازُ الساحليُ ثرىً
إلاّ لتعلو به أعلامُكَ الصفرُ

ولم يكتف عماد الدين الاصفهاني ، الذي مدح صلاح الدين ، وبارك خطواته(٥٥) بتحرير ديار الشام والسيطرة عليها ، بل طلب منه أن يمدّ سيادته على الشرق عامة ، ويقيم دولة كبيرة تتحدى كلّ من يريد ان يمسها بسوء ، أو ينال منها بأذى(٥٦) :

وإنّ بلادَ الشرقِ مظلمةٌ ، فخذْ
خراسانَ والنهرينِ والتركَ والفرسا

(٥٥) انظر الروضتين ٢ : ١٠١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .
(٥٦) الروضتين ٢ : ١٠٢ .

وشارك الشعراء المصريون بفرحة النصر والجلاء ، وزفوا التهاني الى صلاح الدين الأيوبي ، منهم نقيب الأشراف النسابة محمد بن اسعد بن علي المعروف بالجواني (ت ٥٨٨) ، ومطلع قصيدته(٥٧) :

أترى مناماً ما بعينيَ أبصرُ ؟
القدسُ يفتحُ ،والفرنجةُ تكسَرُ !!

لقد اخذه العجب ، وانذهل من خبر الفتح ، وانكسار الإفرنج وهزيمتهم ، وسأل نفسه : اهو حقيقة ام حلم تراءى له ؟ وتمالك اعصابه ، وتيقّنَ من صحة النبأ ، وتباهى بهذا الإنجاز الكبير ، وافتخر به ، وعدّه ظفراً عظيماً ما بعده من ظفر . ووضع صلاح الدين الأيوبي في مقام عمر الفاروق ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ في صدق النية ، وقوّة العزيمة ، وصلابة الإيمان :

فتَحَ الشامُ ،وطهّرَ القدسُ الذي
هو في القيامةِ للأنامِ المحشرُ(٥٨)
يا يوسفَ الصديقُ أنتَ لفتحها
فاروقُها عمرُ الإمامُ الأطهرُ
ولأنتَ عثمانُ المشرّفُ بعدَهُ
ولأنتَ في نصرِ النبوّةِ حيدرُ

وشارك بهاء الدين ابن الساعاتي الشاعر المصري في هذه الفرحة ، ونظم قصيدة تساءل فيها عن العجز الذي اصاب الألسن ، وقد شاهدت الأعين الفتح الكبير ، ودوّت أنباؤه الآفاق ، وطرقت أخباره الآذان . وتمنّى ان ينهض الفاتح الأول عمر ابن الخطاب كي يرى ما صنعه الخلف الصالح ، ومقدار التضحية التي قدّمها لاسترجاع ما سلبه الإفرنج . إنّ صدى الفتح ـ في نظر الشاعر ـ تردّدَ في كلّ مكان ، حتى في الكعبة الشريفة بمكة ، ومثوى الرسول الكريم في يثرب . وقدّم لنا صورة

(٥٧) مفرج الكروب ١ : ٢٣٢ .
(٥٨) من الطريف ان يعرض الشاعر لهذه القصة الشعبية التي تقول : ان القدس هو المكان الذي سيحشر فيه الناس يوم القيامة (دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص ٩٤) .

بديعة ، إذ جعل للدين ـ بعد انتصار الجيوش الإسلامية ـ ثغراً مفتراً تتهاوى عليه السنة الأغماد لثماً وتقبيلا . يقول(٥٩) :

أعياً ، وقد عاينتم الآيةَ العظمى ؟
لأيةِ حالٍ تدخرُ النثرَ والنظما
وقدساغَ فتحُ القدسِ في كلِّ منطقٍ
وشاعَ إلى أن أسمعَ الأسلَ الصُّما
فليت فتى الخطابِ شاهدَ فتحَها
فيشهدَ أنَّ السيفَ من يوسفَ أصمى
حبا مكّة الحسنى ، وثنّى بيثربٍ
وأسمعَ ذيّاكَ الضريحَ وما ضمّا
وما كان إلاّ الداءَ أعيا دواؤه
وغيرُ الحسامِ العضبِ لايحسنُ الحسما
وأصبحَ ثغرُ الدين جذلانَ باسماً
وألسنةُ الأغمادِ توسعهُ لثما

ونرى شاعراً ثالثاً من مصر ، وهو القاضي السعيد ابن سناء الملك (ت ٦٠٨) يتوجه تهنئة الى صلاح الدين الأيوبي ، مرصّعة بصورة طريفة ، إذ يشبه فتح (القدس) ودخولها بوليمة عرس وطرب ، يرقص السيف فيها ويغني ، وتشاركها عرائس مدن الشام ايضا ، وتتهادى أشجار النخيل الباسقة التي تحمل ثمار الغد المشرق ، والأمل المنشود(٦٠) :

صُنِعَتْ فيهم وليمةُ عرسٍ
رقصَ المشرفيُّ فيها وغنّى
وتهادَتْ عرائسُ المدنِ نخلاً
وثمارُ الآمالِ منهنَّ تجتنى
لا تخصُّ الشامُ فيكَ التهاني
كلُّ صقعٍ ، وكلُّ قطرٍ يُهنّى

(٥٩) ديوان ابن الساعاتي ٢ : ٤٠٧ .
(٦٠) ديوان ابن سناء الملك ص ٣٤٢ ، مفرج الكروب ٢ : ٢٣٤ .

وشاعر رابع يدعى الحسن بن علي الجويني (ت ٥٨٦) البغدادي الأصل ، المصري الدار ، يسكر بخمرة الفرح ، وينظم قصيدة ، يشارك فيها إخوانه الشعراء الذين ابتهجوا بفتح (القدس) مطلعها(٦١) :

جندُ السماءِ لهذا الملكِ أعوانُ
من شكَّ فيهم فهذا الفتحُ برهانُ

وعدُّ الشاعر هذا الفتح من فتوح الأنبياء الذين بعثهم الله لإصلاح العباد ، وإزالة الفساد ، ذلك الفتح الذي أضحت فيه ملوك الإفرنج صيداً في شباك صلاح الدين الأيوبي المحكمة :

هذي الفتوحُ ، فتوحُ الأنبياءِ وما
لها سوى الشكرِ بالأفعالِ أثمانُ
أضحتْ ملوكُ الفرنجِ الصيدِ في يده
صيداً وما ضعفوا يوماً وما هانوا

لقد مرّت ـ كما ذكر الشاعر ـ تسعون سنة على الاحتلال الصليبي ، ودعوات الخلاص والنجاة تنطلق من الحناجر ، وقد بلغ صداها المدى دون جدوى ، وحينما برز صلاح الدين الأيوبي على مسرح الأحداث ، استجاب للنداء ، ولبّى دعوة البذل والفداء ، وخرج لمجابهة الأعداء ، وكان حليفه النجاح . وبالغ الشاعر في قيمة هذا الفتح واهميته ، وجعله في مصاف الفتوحات الاسلامية الأولى في عصر النبوّة ، ولولا تأخر زمنه ، لنزلت فيه آيات محكمات :

تسعونَ عاماً بلادُ اللهِ تصرخُ والإ
سلامُ أنصارُه صمٌّ وعميانُ
فالآنَ لبّى صلاحُ الدين دعوتَهم
بأمرِ مَنْ هو للمعوانِ معوانُ
للناصرِ ادخرَتْ هذي الفتوحُ وما
سمتْ لها همُ الأملاكِ مذ كانوا
لو أنَّ ذا الفتحَ في عصرِ النبيِّ لقد
تنزّلتْ فيهِ آياتٌ وقرآنُ

(٦١) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب ص ٢١٤ .

وهزّت نشوة النصر مشاعر شاعرين اندلسيين هما : الرحّالة المشهور ابن جبير (ت ٦١٤) ، وحكيم الزمان ابو الفضل عبدالمنعم بن عمر الجلياني (ت ٦٠٢) . اما الأول فقد نظم قصيدة مطلعها(٦٢) :

أطلّتْ علـى أفقِـكَ الزاهـرِ
سعـودٌ مـن الفلـكِ الـدائرِ

تناول الشاعر الخطوات الجبّارة التي خطاها صلاح الدين الايوبي في تحرير ارض المسلمين ، خاصّة (القدس) من قبضة الصليبيين ، والضربات القاصمة التي جعلتهم يولّون الأدبار . واشاد بصبره وجلده على مقارعتهم ، وسهره على مرضاة الله ، ونبذه ملذات الدنيا واطايب الحياة :

وجاهـدتَ مجتهـداً صـابراً
فللـهِ أجـركَ مِـن صـابرِ
تبيـتُ الملـوكُ علـى فُرْشِـها
وترفـلُ في الـزَّرَدِ السـابري
وتؤثـرُ جاهـدَ عيشِ الجهادِ
علـى طيـبِ عيشـهم الناضرِ
وتسـهرُ ليلـكَ في حـقٍّ مـن
سـيرضيكَ في جفنكَ السـاهرِ
فتحـتَ المقـدسَ مِـن أرضـهِ
فعـادتْ الى وصفِـها الطـاهرِ
وأعليـتَ فيـه منـارَ الهـدى
وأحييـتَ مِـن رسـمهِ الـدائرِ

ولا نجد في قصيدة ابن جبير – على ضعف مبناها – جدّة ، او ابداعا ، يناسبان جلال الموقف ، وعظمة المناسبة ، وضخامة الفرحة ، وإنمّا هي معان عامة ، وصور سطحية جمعها الشاعر في إطار الوزن والقافية .

اما حكيم الزمان الجلياني ، فهو احد أصحاب صلاح الدين الايوبي ، وقد رافقه في حروبه ، والف فيه كتابا بعنوان « منادح الممادح ، وروض المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب » . وله ديوان « المبشرات والقدسيات » . قال ابن ابي اصيبعة عنه(٦٣) : « هو نظم ، وتدبيج ، وكلام مطلق ، يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين ابي المظفر يوسف بن ايوب فاتح مدينة بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة » . وقد وصلت الينا مجموعة من قدسياته(٦٤) ، منها القدسية المعروفة بـ « الفتحية الناصرية » ، واولها(٦٥) :

في باطنِ الغيبِ ما لا تدركُ الفكرُ
فذو البصيرةِ في الأحـداثِ يعتبرُ

وصف الشاعر في هذه القدسية حال الإفرنج بعد وقوعهم في قبضة الأسد صلاح الدين الايوبي ، وعدم استطاعتهم الإفلات منها :

أهوى إليهم صلاحُ الدينِ مفترساً
وهو الغضـنفرُ أعدى ظفره الظفرُ
أملى عليهم ، فصاروا وسـطَ كفته
كسربِ طيرٍ حواها القانصُ الذكرُ

واظهر صفات هذا البطل المغوار ، واخلاقه العالية ، وسلوكه مع اتباعه وخصومه . ثم تطرق الى الفتح الذي احرزه ، ومكانته في نفوس المسلمين ، وقرنه بفتوح القادسية زمن الخليفة عمر بن الخطاب رض الله عنه ، وشبّه انتصار الحقّ بالعرس ، وازهاق الباطل بالمأتم :

أما رأيتـمْ فتـوحَ القادسـيةِ في
أكنافِ لوبيةٍ تجلى ، وذا عمرُ(٦٦)
والحقُّ يعرسُ ، والطغيانُ ينتحبُ
والكفرُ يطمسُ ، والإيمانُ مزدهرُ

---

(٦٢) الروضتين ٢ : ١٠٦ ، ابن جبير شاعراً ص ٥٠٢ .

(٦٣) عيون الانباء ٢ : ٢٦٥ .
(٦٤) انظر الروضتين ٢ : ١٠٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٥١ وعيون الانباء ٢ : ٢٥٩ – ٢٦٢ .
(٦٥) الروضتين ٢ : ١١٦ .
(٦٦) لوبية : موضع في فلسطين قرب طبرية .

وقد نسي الرواة ـ حسبما ذكر الشاعر ـ ملاحم ذي القرنين ، وانشغلوا بملاحم صلاح الدين الأيوبي :

أنسى ملاحمَ ذي القرنين واعترفتْ
له الرواةُ بما لم ينمه أثرُ

ونلاحظ الشاعر في قدسيته يحرّض صلاح الدين ويحثّه على تحرير الشام كاملا ، وطرد الإفرنج من الثغور التي بقيت تحت حكمهم ، كما نلاحظه يجاري العماد الأصفهاني ومحمود بن الحسن بن نبهان العراقي في دعوتهما لإقامة دولة كبرى قوية الأركان ثابتة البنيان ، لها القدرة على غزو بلاد الروم والفرس :

تغزو أساطيلُنا منها صقلية
فتذعرُ الرومُ والصقلابُ والخزرُ
من ذا يقولُ : لعلَّ القدسَ منفتحٌ
إليكَ ، بل سفرٌ يعقوب له السفرُ
أبو المظفّرِ ينويها ، فخذْ سفناً
من باب عكا الى طرسوسَ تنتشرُ
يسبي فرنجةَ من أقطارها ، وله
مع المجوس حروبٌ قدحُها سعرُ
وبعض أبنائه بالقدس منتدبٌ
وبعضُهم رومةُ الكبرى له وطرُ
براية تخرقُ الأرضَ الكبيرةَ في
جمع ،تقولُ له الأجسامُ : لاوَزَرُ

ويكرر هذه الدعوة في قدسية اخرى ، ويطلب من صلاح الدين الايوبي ان يملك البسيطة ، ويوحد اجزاءها ، وينشر عليها راية الإسلام ، ويعيد مجد البطولات في عصر النبوّة(٦٧) :

يا فاتحَ المسجدِ الأقصى عليَّ بهم
وقانصَ الجيشِ لا يُحصى بقفرته
أبشرْ بملكٍ كظهرِ الشمسِ مطلع
على البسيطةِ فتّاح بنشرته
حتى يكونَ لهذا الدينِ ملحمةٌ
تحكي النبوّةَ في أيامِ فترته

لقد بعث خروج الإفرنج من (القدس) بعد مكوثهم فيها مدة طويلة ، حزناً شديداً ، وألماً مريراً في نفوس الاوربيين ، فهبوا يحثون ملوكهم للعودة الى الشرق ثانية ، واحتلال (القدس) ، فاستجاب ملك الالمان للدعوة ، وخرج في سنة ٥٨٥ للهجرة . وقام الشعراء من جديد بواجبهم المقدّس ، واخذوا يستثيرون الناس للتأهّب الى حروب شديدة ، والوقوف بحزم مع قوادهم ضد الهجمات التي ينوي العدو ان يشنّها ، منهم ابو الفضل عبدالمنعم الجلياني الذي خاطب صلاح الدين الايوبي بقوله(٦٨) :

يا منقذَ القدسِ من أيدي جبابرة
قد أقسموا بذراع الربِّ تدخلهُ
استصرخوا الأهلَ ، والعدوى تمزقهم
واستكثروا المالَ ، والهيجا تنقلهُ
هم الفراشُ ، لهيبُ الحربِ تصرعُه
وكلّما لجَّ صدماً جلَّ مقتلهُ
سيفٌ أمامَ فلسطين يرى أمما
خلفَ البحارِ لقد أمهاهُ صيقلهُ
وانما اسمُ صلاح الدين يذكرُ في
جيشِ العدوِّ فيسبيهم تخيلهُ

ويبعث رشيد الدين عبدالرحمن بن بدر النابلسي الويل والثبور للإفرنج الذين يريدون الإغارة على (القدس) ثانية ؛ لانهم لم يعتبروا من ضربات صلاح الدين الأيوبي التي بدّدت شملهم ، وفرّطت عقدهم ، وتركتهم بين قتيل واسير وهارب . ويكيل الثناء لصلاح الدين ، ويشبهه بالأسد الهصور في غابة(٦٩) :

---

(٦٧) الروضتين ٢ : ١٠٢ .

(٦٨) الروضتين ٢ : ١٥١ .
(٦٩) الروضتين ٢ : ١٩٤ .

ويحَ الفرنجةِ ، بل ويلَ أمهم، أوما
فيهم لبيبٌ على العلاتِ يعتبرُ ؟
فكم نثرتهمُ ضرباً إذا انتظموا!
وكم نظمتهمُ طعناً إذا انتشروا
فكم سقيتهمُ ذلاً فلا عجبٌ
إنْ عربدوا سفهاً فالقومُ قد سكروا!
إنْ يسوكَ فلا بدع لجهلهم
تسعى الى الأسدِ في غاباتها الحمر
زاروا نموراً ولا تُغني وقاحتهم
إذا أسودكَ في أبطالهم زأروا
فحامِ عن حوطةِ البيتِ المقدس لا
خوفٌ - وحاشاكَ من خوفٍ - ولا ضرر
هو الشريفُ وقد ناداكَ معتصماً
فما على مجدهِ من بعدِها حذرُ

لقد كانت (القدس) انشودة الشعراء زمن صلاح الدين الأيوبي ، يتغنون بها على قيثاراتهم الفرحة ، وحينما قضى نحبه في سنة ٥٨٩ للهجرة، عادوا الى حزنهم ، وانشدوا قصائدهم(٧٠) ، يبكونه فيها ، ويأسفون على فقده ، ويذكرون الم (القدس) عليه ؛ لانها تحررت على يديه ، واطمأنت من عادية الصليبيين مدة من الزمن . وكانت قصيدة العماد الاصفهاني ، التي تقع في مئتين واثنين وثلاثين بيتاً ، خير معبرٍ عن ذلك ، منها(٧١) :

وكمادةِ البيتِ المقدّسِ يحزنْ الـ
بيتُ الحرامُ عليه ، بل عرفاته
مَنْ للثغورِ ، وقد عداها حفظُه ؟
مَنْ للجهادِ ، ولم تعدْ عاداته ؟
بكتِ الصوارمُ ،والصواهلُ قدخلتْ
من سلّها وركوبها غزواته

(٧٠) الروضتين ٢ : ٢١٥ - ٢١٧ ، ٢٢٤ .
(٧١) الروضتين ٢ : ٢١٦ .

يا وحشةَ الإسلامِ يومَ تمكنتْ
في كلِّ قلبٍ مؤمنٍ روعاته
ملأتْ مهابته البلادَ ، فإنّه
أسدٌ ، وإنَّ بلادَه غاباته

الملامح الفنية للشعر الذي قيل في القدس :

كان لاحتلال الصليبيين (القدس) في القرن السادس للهجرة ثم تحريرها ، دور كبير وفعّال في إثارة عواطف الشعراء ، وإلهاب مشاعرهم ، وإلهامهم مادة غزيرة ، وانتاجاً ادبياً وفيراً ، عبّروا به عن خوالجهم واحاسيسهم تجاه الأحداث التي جرت في ذلك العصر ووقائعه خير تعبير .

وقد تمسك الشعراء - كما لا حظنا - بموروثهم القديم ، واقتدوا به ،وساروا على هديه، واستلهموا من صوره واخيلته الشيء الكثير . وهذا ما جعلهم قليلي الابتكار والتوليد والإبداع .

واذا امعنا النظر في الشعر الذي ذكرناه في دراستنا نجده - غالباً - دون تمهيد أو تقديم ، فهو يبدأ بالموضوع الأساس مباشرة ، وتتوالى فيه الابيات ، وتتداعى المعاني ، وتتسلسل الأفكار بنسق حسن وتنظيم جيد مسايراً لتفصيلات الاحداث التي يتناولها الشعراء ، وهذا ما يؤكد وجود الوحدة الفنية وتمثلها فيه خير تمثيل .

وقد برّأ الشعراء السنتهم من هجر القول ورذله ، وابعدوا نظمهم - الا ما ندر - من الغموض والابهام اللذين يجهدان الذهن ويكدانه .

إن سمة السهولة والوضوح اتجاه معروف في القرن السادس للهجرة ، يدعى باتجاه الرقة والسهولة ، أو مدرسة الرقة والسهولة كما يسميها الدكتور محمد كامل حسين(٧٢) . وهذا الإتجاه سلكه اغلب الشعراء الذين شاركوا في النضال وحرب التحرير ، كي يكون شعرهم واضحاً وجلياً تفهمه العامة والخاصة من القراء والسامعين .

والمتأمل في الشعر الذي قيل في (القدس) يلحظ التكرار في بعض الالفاظ والصور ، فمن الالفاظ التي يكثر دورانها على السنتهم على سبيل المثال : انهض ، ابشر ، اعزم ، سر ، افتح ، طهر ، اغز ، حطم ، جهز ... ومن الصور تشبيه

(٧٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص ١٩٠ .

(القدس) بالفتاة البكر ، او الغانية الحسناء التي تنتظر خاطباً كفئاً يليق بها .

وقد عبّر الشعراء عن عواطفهم ومشاعرهم اثناء الحروب التي دارت على ارض الشام ، خاصّة فلسطين ، بكلّ صدق وامانة ، ونعني بالصدق : التعبير الامين عن واقع الحياة التي كان يحياها الناس آنذاك في ظل القهر والاستعباد من جهة ، والامن والاستقرار من جهة اخرى . يقول الدكتور محمد النويهي وهو يتحدّث عن معنى الصدق في الادب(٧٣) : « والصدق الذي نريده من الأديب دائماً ان يقول بلسانه حقيقة ما في قلبه ، فإن قالها فهو صادق بمعنى الصدق الادبي ، وإن خالف كلامه الواقع في بعض الأشياء وإن لم يقلها فهو كاذب بمعنى الكذب الادبي » . وقد كان شعراؤنا صادقين بألسنتهم وقلوبهم في التعبير عن آلامهم ؛ لأن القضية الفلسطينية كانت تشغل بالهم كما كانت تشغل بال الآخرين ، وتهمهم بقدر ما تهم الناس اجمعين .

وقد استعان الشعراء في تصوير عواطفهم ومشاعرهم بالخيال ، وهو في الغالب عندهم يقوم على كاهل بعض الفنون البلاغية ، ومظهره : التشبيهات ، والاستعارات والكنايات ؛ فمن تشبيهاتهم قول الحسين بن عبدالله بن رواحة (ت ٥٨٥) في مدح صلاح الدين الأيوبي ، الذي اصبح اسمه يبعث الرعب في نفوس العدو ، ويثير الخوف فيهم ، حتى خياله الذي شبّهه بالسيف البتار(٧٤) :

يرونَ خيالَه كالسيفِ يسري
فلوْ جمعوا أتاهم بعد وهنِ

ومن استعاراتهم البديعة قول ابن الساعاتي في فتح القدس(٧٥) :

وأصبحَ ذاكَ الثغرُ جذلانَ باسماً
وألسنةُ الأغمادِ توسِعُه لثما

ومن كناياتهم قول ابن الساعاتي أيضاً(٧٦) :

أدرتَ على الفرنجِ ـ وقد تلاقتْ
جموعهمُ عليكَ ـ رحىً طحونا

(٧٣) وظيفة الأدب ص ٨) .
(٧٤) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ١٤٣ .
(٧٥) ديوان ابن الساعاتي ٢ : ٤٠٧ .
(٧٦) مفرج الكروب ١ : ١٩٨ .

والى جانب الصور البيانية التي شاعت في شعرهم ، نرى كثرة استخدامهم المحسنات البديعية التي اتكؤوا عليها في تجميل اساليبهم وتزويقها ، خاصّة الطباق والجناس والاقتباس . فمن الأول ناخذ ابيات سعادة بن عبدالله الأعمى التي خاطب فيها صلاح الدين الأيوبي ، ليرى القارىء الطبقات المتداخلة التي تقصّدها الشاعر تقصّداً(٧٧) :

لا يقصدنّكَ ما حلّوا وما عقدوا
هم الذئابُ ، وأنتَ الضيغمُ الأسدُ
والقومُ قد قعدوا عما نهضتَ بهِ
من السّدادِ ، فلا قاموا ولا قعدوا
صدروا وما عطفوا ، ألووا وما وقفوا
ولّوا وما رجعوا ، ذلّوا وما أفِدوا
صدعتَ ماشعبوا ،قطعتَ ماوصلوا
فللتَ ما شحذوا ، حللتَ ما عقدوا

ومن الجناس قول فقيه الدين ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(٧٨) :

فالجَدُّ والجِدُّ مقرونان في قرنٍ
والحزمَ في العزم والإدراكَ في الطلبِ

وقول رشيد الدين النابلسي(٧٩) :

زاروا نسوراً ، ولا تغني وقاحتهمْ
إذا آسودُكَ في أبطالهم زأروا

ومن الاقتباس قول طلائع بن رزّيك(٨٠) :

واذا ما أبطأ مسيرُكَ فالله
ـهُ حسبُنا ونعمَ الوكيلُ

(٧٧) الخريدة ـ قسم الشام ـ ١ : ١١٢ .
(٧٨) الخريدة ـ قسم الشام ـ ١ : ٢٧٧ .
(٧٩) الروضتين ٢ : ١٩٤ .
(٨٠) ديوان طلائع بن رزيك ص ٨٧ .

وقول العماد الأصفهاني(٨١) :

سل الله تسهيل صعب الخطو
ب فهو على كل شيء قدير

وقول احد المجاهدين(٨٢) :

ولقد أتانا عن مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في
أنف امرئ ودخان نار تلهب

بقي أن نشير الى أن البحور الموفورة الحظ من الذيوع والاستعمال في الشعر الذي تناولنا دراسته ، هي الطويلة دون القصيرة او المجزوءة ، خاصّة الطويل والبسيط والكامل ، وهي بحور تمثل الفخامة ، وتناسب جلال المواقف(٨٣) . وقد لاءموا بين البحور التي استخدموها وبين القوافي التي نظمت ـ حسب الأكثرية ـ على حروف الراء ثم الميم والباء والنون والسين والتاء والدال والجيم والحاء . ولعل من الجدير بالذكر انَّ شعراءنا لم يخالفوا منهج الذين تقدَّموهم في اعتماد قافية الراء عنصراً اساساً في النظم ؛ فهي من القوافي الذلل كما يقولون(٨٤) ، كما انهم كانوا حريصين على ان يأتوا بقوافيهم مطلقة في الأعم الأغلب ، مقيَّدة في الاقل القليل منها .

امّا موسيقى شعرهم ، فكانت تلائم الجو الذي نظمت فيه ، فهي ـ على العموم ـ حربية صاخبة ، تملأ النفوس قوّة ، والأفئدة عزيمة وثباتاً .

وفي خاتمة البحث نقول : إن الشعر الذي قيل قبل تحرير (القدس) وبعده في القرن السادس للهجرة كثير في دواوين الشعراء وكتب التاريخ والأدب . وما أوردنا منه نماذج قليلة استدللنا بها على أثره في نفوس القائمين على الحكم آنذاك ، ودوره في استنهاضهم ، وقدرته على استثارتهم لخوض معركة الخلاص من احتلال القادمين من الغرب .

---

(٨١) الروضتين ١ : ٢٤٠ .
(٨٢) الحروب الصليبية وأثرها في الادب ص ٣٥ .
(٨٣) المرشد الى فهم أشعار العرب ١ : ٤٦ .
(٨٤) المرشد الى فهم أشعار العرب ١ : ٤٦ .

المصادر والمراجع

١ ـ أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية : جمال الدين الألوسي ، مط أسعد ـ بغداد ١٩٦٧ .

٢ ـ التاريخ الباهر : ابن الأثير ، ت ٦٣٠ . ط دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٣ .

٣ ـ تاريخ ابن الفرات : محمد بن عبدالرحيم بن الفرات ، ت ٨٠٧هـ . تح : قسطنطين زريق ، والدكتورة نجلاء عزالدين ، المط الأمريكية ـ بيروت ١٩٣٨ .

٤ ـ تاريخ ابن الوردي : عمر بن الوردي ، ت ٧٤٩هـ ، تح : احمد رفعت البدراوي . دار المعرفة ـ بيروت ١٩٧٠ .

٥ ـ تاريخ أبي الفداء : أبو الفداء اسماعيل بن علي ، ت ٧٣٢هـ . المط الحسينية ـ القاهرة ١٣٢٥هـ .

٦ ـ ابن جبير شاعراً : منجد مصطفى ، مستل من مجلة آداب الرافدين ـ العدد التاسع ١٩٧٨ .

٧ ـ الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي في مصر والشام : محمد سيد كيلاني . مط دار الكتاب العربي ـ مصر ١٩٤٩ .

٨ ـ الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية : د . احمد احمد بدوي . مط نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٤ .

٩ ـ خريدة القصر وجريدة العصر : العماد الاصفهاني ، ت ٥٩٧هـ . تح : د . شكري فيصل ، قسم الشام ج ١ . المطبعة الهاشمية ـ دمشق ١٩٥٥ ، وبداية شعراء الشام . المطبعة الهاشمية ـ دمشق ١٩٦٨ .

١٠ ـ دراسات في الشعر في عصر الايوبيين : د . محمد كامل حسين . مط دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٥٧ .

١١ ـ ديوان أسامة بن منقذ : تح : د . احمد احمد بدوي وحامد عبدالمجيد . المط الاميرية ـ القاهرة ١٩٥٣ .

١٢ ـ ديوان ابن الخياط : تح : خليل مردم . المط الهاشمية ـ دمشق ١٩٥٨ .

١٣ ـ ديوان ابن الساعاتي : تح : انيس المقدسي . المط الأمريكية ـ بيروت ١٩٣٨ .

١٤ ـ ديوان سبط ابن التعاويذي : تح : مرجليوث . مط المقتطف ـ القاهرة ١٩٠٣ .

١٥ ـ ديوان ابن سناء الملك : تح : محمد ابراهيم نصر . دار الكاتب للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٩ .

١٦ ـ ديوان طلائع بن رزيك : تح : د . احمد أحمد بدوي . مط الرسالة ـ القاهرة ١٩٥٨ .

١٧ ـ ديوان فتيان الشاغوري : تح : أحمد الجندي ، المط الهاشمية ـ دمشق ١٩٦٧ .

١٨ـ الروضتين في أخبار الدولتين : أبو شامة المقدسي ، ت ٦٦٥هـ . مط وادي النيل ـ القاهرة ١٢٨٧هـ .

١٩ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب : ابن العديم ، ت ٦٦٠هـ . تح : د . سامي الدهان . المط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٨.

٢٠ـ سنا البرق الشامي : الفتح بن علي البنداري، ت ٦٤٢هـ . تح : د . رمضان ششن . جـ ١ . مط دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٧١ .

٢١ـ الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد : عبدالكريم توفيق العبود . دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٦ .

٢٢ـ شفاء القلوب في مناقب بني ايوب : احمد بن ابراهيم الحنبلي ، ت ٨٧٦هـ . تح : ناظم رشيد . دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٨ .

٢٣ـ عيون الأنباء في طبقات الاطباء : ابن ابي اصيبعة ، ت ٦٦٨هـ . مط الاقبال ـ بيروت ١٩٥٦ .

٢٤ـ الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، ت ٦٣٠هـ . دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥ .

٢٥ـ المرشد الى فهم أشعار العرب : عبدالله الطيب ، مط دار الفكر ـ بيروت .

٢٦ـ معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ت ٦٢٦هـ . مط دار صادر ـ بيروت ١٩٥٥ .

٢٧ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب : ابن واصل ، ت ٦٩٧هـ . تح : د . جمال الدين الشيال . جـ ١ . مط جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة ١٩٥٣ ، جـ ٢ المط الاميرية ـ القاهرة ١٩٥٧ .

٢٩ـ موسيقى الشعر : د . ابراهيم انيس . مط لجنة البيان العربي ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٣٠ـ النجوم الزاهرة : ابن تغري بردي ، ت ٨٧٤هـ . دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٣٦ .

٣١ـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : بهاء الدين بن شداد ، ت ٦٣٢هـ . تح : د . جمال الدين الشيال . ط الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٤ .

٣٢ـ وظيفة الادب بين الالتزام والانفصال الجمالي : د . محمد النويهي . مط الرسالة ـ القاهرة ١٩٦٦ .

• • •

رحلة تايلر الى العراق

(سنة ١٧٨٩ ـ ١٧٩٠)

ترجمة وتعليق

الأب الدكتور بطرس حداد

بغداد ـ الجمهورية العراقية

المؤلف :

صاحب الرحلة رجل من اهل انكلترة اسمه جون تايلر John Taylor ترقى في المناصب العسكرية ، وكان يعمل لحساب شركة الهند الشرقية ، حتى اصبح من المختصين في الشؤون الهندية . وقد اوفدته تلك الشركة في مهام لها الى الهند ، فمر بالعراق سنة ١٧٨٩ـ١٧٩٠ ونشر اخبار رحلته باللغة الانكليزية ، طبعت في مجلدين سنة ١٧٩٩ بعنوان « رحلات من انكلترة الى الهند »

Travels from England to India

عاش في الهند حتى وافاه الاجل في مدينة « بونا » Poonah يوم ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٠٨ وترك مؤلفات عديدة ، هذه عناوينها(١):

1- Considerations on the Practicability and Advantages of a more speedy Communications between Great Britain and her Possessions in India. London, 1795
2- Observations on the Mode proposed by the New Arrangement for the Distributions of the Off. reckoning Fund of the several Presidencies in India. 1796
3- Travels from England to India by the way of Tyrol, Venice, Scandaroon, Aleppo, and over the Great Desert to Bassora, London, 1799
4- Letters on India, 1800
5- The India Guide, 1801

---

(١) انظر عن المؤلف واثاره في :

Dictionary of National Biography, ed. S. LEE, London 1898, vol. LV, pp. 443-445

كلمة عن الرحلة :

يلقي المؤلف في مقدمة الرحلة نظرة سريعة على السياح الاقدمين ويتحدث عن اهمية الرحلات السريعة الى الهند ، وعن اقرب الطرق الى ذلك البلد الغني ، ويذكر ان اكثر الرحالين الاوروبيين سلكوا طريق البحر ، وبعضهم ساروا عبر الصحراء ، وانه يقترح الطريق البري ويعتبره احسن الطرق واسرعها .

وفي مجرى كلامه عن العرب وعلاقات الغرب بالشرق يتطرق الى الحروب الصليبية فيعترف بانها كانت ضربا من الجنون ، ويلقب صلاح الدين « بالرجل المظفر » ويدعو اتباعه « الجنود البواسل » وينتهي الى القول بان العائدين من تلك الحملات حملوا الى الغرب العادات الشرقية الحميدة والسجايا الفاضلة فاغنوا بلادهم ونشروا فيها الفنون والعلوم التي اقتبسوها من الشرق .

ولكن بالرغم من هذا الموقف الحسن الذي نلمسه في المقدمة ، فاننا نعثر هنا وهناك على شطحات وعثرات تتعلق بتقاليدنا الشرقية ، ونلاحظ عنده اعتزازا مفرطا بقوميته ، لابد ان نرفضه .

من مميزات الكتاب انه يتكلم عن مختلف الطرق التي تسلكها القوافل ، فيقول ان الخلفاء والامراء العرب اعتنوا بهذه الطرق وبناء المنازل للمسافرين اكثر من الاتراك ، اذ اهمل هؤلاء كليا هذه الامور .

ويتطرق ايضا الى الامراض المنتشرة في هذه الربوع ويشير الى طرق معالجتها .

وينوه بالنقود المستعملة في الاقطار التي مر بها ، ويذكر ما يقابلها بالعملات الاوروبية ، وقد اقتصرنا في الترجمة على ذكر النقود التي كانت تتداول في العراق .

كان تايلر كما المعنا رجلا عسكريا ، لذا نرى في ملاحظاته

شيئا من التفكير العسكري . فهو يثبت مواقع المدن على خطوط الطول والعرض ، ويعين اتجاه القافلة ، ويضيف الى الكتاب خارطة مفيدة ، ويرفض البذخ في نفقاته ، ويفكر دائما باسرع الطرق للوصول الى هدفه .

* *

غادر تايلر مدينة لندن يوم ٢٢ اب ١٧٨٩ مع زوجته التي ارادت ان تزور مدينة البندقية في ايطاليا ثم تعود الى بلادها ، ومعهما الدكتور ادم بلاكادر وهو موظف في مدينة مادراس بالهند . اتجهوا اولا الى المانيا ثم الى ايطاليا ، وبعد زيارة البندقية طاب للسيدة تايلر ان تكمل الرحلة مع زوجها ، فابحروا الى الشرق ووصلوا الى الاسكندرونة في ٢٨ تشرين الثاني ١٧٨٩ ، ومنها رحلوا الى حلب ثم اكملوا الرحلة مرورا بالعراق .

* *

من الصعوبات التي يجابهها كل من يقدم على ترجمة الرحلات اسماء المواقع والمدن التي يذكرها الرحالون الاوروبيون مشوهة ومحرفة ، نظرا لجهل معظمهم اللغة العربية ، او لانهم يكتبون الاسماء نقلا عن السماع من اصحابهم في القافلة ، وكثيرا ما يبتعد لفظ العوام عن النطق الفصيح . وقد حاولنا التوصل الى تعيين المواقع الصحيحة واضفنا بعض الهوامش المفيدة . نامل اننا توفقنا في محاولتنا ، ومن الله التوفيق .

رحلة تايلر الى العراق

السفر من حلب (٢)

« حل اخيراً يوم مغادرتنا مدينة حلب ؛ وقد اعددنا قافلة خاصة بنا ، تتكون من اربعين رجلا بدوياً ؛ تدجج جميعهم بانواع السلاح كالبنادق والسيوف . وعلى راس القافلة شيخ ، دفعنا له اربعة الاف قرش(٣) ؛ اضافة الى نفقات اخرى لم تدخل ضمن هذا المبلغ كانت ضرورية لتدارك امور اخرى مفيدة في السفر .

وضع الشيخ في خدمتنا عدداً من الابل لاستعمالنا الخاص ؛ لكننا طلبنا المزيد لحمل الماء والامتعة والخيام ، فزودنا بستة عشر جملا ؛ ثم اشترينا كميات من المشروبات الروحية والخمر واللحوم المطهوة التي وضعناها في انية من الخزف احكمنا سدها .

كان ذلك عصر اليوم الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٧٨٩ ، فسرنا محطة واحدة وتوقفنا لقضاء الليلة الاولى من السفر .

اعتاد القوم على قطع الصحراء على ظهور الخيل ، وكان بعضهم يستخدم المحفة ، وهي عبارة عن صندوقين لايزيد طول الواحد منهما على خمسة اقدام ، يتدليان عن جانبي البعير ، يعلوهما حجاب يقي من فيهما حرارة الشمس ، وليثبت الحجاب بالسرج .

* * *

في السابع والعشرين وصلنا الى غور الاصلاف(٤) Chur-Alaslaf ' وفي صباح اليوم الثاني بارحنا المكان متجهين الى الجنوب او بالاحرى الجنوب الشرقي ، وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر وصلنا الى منطقة تدعى « شيخ ابو جاموس »(٥) ، ولم نجد في الطريق نبتاً ، بل كانت الارض يابسة قاحلة .

توجهنا في اليوم التالي الى عكلة الحوران Auglat-ul-Horraun ونصبنا هناك خيامنا عند مجرى ماء كان قد جف ؛ لكن المنطقة عامرة بالابار، ماؤها عذب .

تركنا هذا الموضع صباح الثلاثين من كانون الاول ، وسرنا بالاتجاه عينه اي الجنوب الشرقي حتى وصلنا الى غور عميق لاماء فيه (٦) يبعد عن الطريق المؤدي الى الحلة نحو اربعة ايام ، ويقع على مسيرة ساعتين من كبيسه (٧) ، وهي قرية صغيرة تقع على طريق حلب ـ بغداد(٨) ؛ ولم ننزل في جوارها ، لانها عرفت منذ زمن طويل انها ملجأ أمين لقطاع الطرق ، ولا يقترب منها احد ان لم يكن مسلحاً وتحت حراسة شديدة . وكان شيخنا قد ارسل في اليوم السابق رجالا يستطلعون الطريق ويتاكدون من سلامته .

حيوانات الصحراء

وجدنا في الطريق انواعاً من الحيوانات البرية ، كالخنازير الوحشية ... واليرابيع . وهذه اليرابيع هي حيوانات صغيرة سريعة الحركة ، ومن الصعب جداً اصطيادها لانها تتقافز هنا وهناك . ورأينا في الطريق ضبعاً ، وعدداً من البط البري ، كما صادفنا عدداً من النعام، التي تضع بيضها على ارض متجهة باتجاه الشرق لتقوم الشمس باعدادها للفقس . واخيراً راينا عددا كبيراً من الارانب .

مررنا على بعد ميلين من كبيسة ، وهي قرية تتكون من عدد من الاكواخ الحقيرة المتناثرة في وسط غابة من النخيل ، قائمة وحدها في ذلك المكان القاحل، وقد وجدنا في تلك الغابة عدداً من الارانب والوعول . (٩)

(٢) العناوين التفصيلية من وضعنا ، تساعد على متابعة الرحلة .
(٣) ترجمة كلمة piastre المستعملة في اكثر الرحلات .
(٤) عند ناحية القائم
(٥) الى الجنوب من عانة .
(٦) لعله يشير الى الموقع الذي يطلق عليه اسم عين الارنب
(٧) موضع معروف ذكره الحموي في معجم البلدان ٤ : ٢٢٥
(٨) هنا مفرق القوافل ، فمنها تتجه الى بغداد ، وغيرها تواصل السفر الى البصرة .
(٩) هكذا في الاصل ولعله يشير الى الغزلان المنتشرة في بلادنا .

نحو الساعة الثالثة من بعد الظهر وصلنا الى موقع يدعوه الاعراب « محمدي او محمدية » Mohammady Mohammadie

فنزلنا في موضع خصيب حيث كان مجرى ماء جف من فترة ، وكانت الاعشاب كثيرة ، ولبعضها رائحة عطرة .

ابار معدنية

في اليوم الاول من كانون الثاني [١٧٩٠] تركنا ذلك المكان وسرنا باتجاه الجنوب ، حتى وصلنا الساعة الثانية من بعد الظهر الى « البردون » Bredaun, Ul-Burdaun وهذا الاسم يطلقه الاعراب على عدد من الابار المعدنية التي لمائها طعم الكبريت . وقد وردت الابل ماء البئر لتروي عطشها ، لكني لم استسغ طعمها(١٠) .

قبل وصولنا الى موقع الابار راينا عددا كبيراً من البط البري ومختلف الطيور .

لقد لاحظت انه من الممكن الحصول على الماء في الصحراء خاصة لارواء الابل ، وذلك بالحفر في مواقع الجداول الجافة ، وقد اسفت لاني لم اجلب معي الادوات اللازمة للحفر ، واني اذكر ذلك نصيحة للمسافرين الذين يسيرون في اثري .

مررنا بعدد من القبور كانت على مرتفع قريب من الماء ، ووقع نظرنا على صريفة متداعية يسكنها اعراب يشبهون فقراء الهند ، لم اعرف عنهم شيئاً . ولعلهم من الدراويش او من الفقراء الجوالين ، ولم يكن معهم سلاح ، ولم يطلبوا منا شيئاً ، بل كانوا مسالمين وعلى شيء من التأدب .

شفاثا

في اليوم التالي ... عبرنا عقيق نهر لابد ان يكون كبيراً في موسم الامطار ، وفي الساعة الواحدة من بعد الظهر بدت امامنا عن بعيد قرية شفاثا(١١) وفي ذلك المكان مر بنا اعرابي عار ، فاخبرنا عن وجود شرذمة من اللصوص في تلك البقعة . وفعلا راينا بعد مدة قصيرة سبعة أو ثمانية رجال راكبين الجياد . فاسرع شيخنا الى تغيير الطريق وانحرف حالا عن الدرب المسلوك متجهاً الى اليمين ، فتوقفنا في موضع اسمه « قصر الاسالي »(١٢) (؟) Auchally حيث اختبأنا في مكان عميق لايرانا الا من يصل الى المرتفع الذي يطل علينا مباشرة . ثم ارسلنا رجلا يستطلع الطريق ويحمل الينا الخبر اليقين . وفي هذه الاثناء اتخذنا مواقعنا للمجابهة واعددنا انفسنا للقتال . واصدر شيخنا امره مانعاً الجميع من الصعود الى المرتفع المحيط بنا ومحرما علينا ايقاد النار لئلا يفضحنا الدخان المتصاعد . وفي صباح اليوم التالي علمنا ان الرجال الذين توقعنا مناجزتهم لم يكونوا قطاع طرق بل افراد قافلة كبيرة من التجار تتكون من نحو ثلاثمئة مسافر ، وقد حطوا الرحال في ذلك الموقع القريب من شفاثا ليشتروا كميات من التمر من تلك القرية نظراً الى جودته وشهرته الواسعة(١٣) . وكانت نيتهم الاتجار بهذه التمور وبيعها في اسواق حلب ودمشق . لقد فرحنا بهذا الخبر فاسرعنا الى مكافاة الرجل ببضعة قروش ، وسار شيخنا من ثم الى القرية . بيد ان الرجل الذي ارسل رائدا يستطلع الطريق جلب انتباهي ، لانه عوضا عن ان يكون مرتديا لباساً بسيطاً لا يلفت الانظار ، كان متسربلا برداء جيد ، متسلحا ببندقية ومسدسين وسيف من النوع الجيد . ان منظره في وحدة الفلاة يجعله لقمة سائغة للصوص .

نحو الساعة الواحدة وصلنا قريباً من غابة النخيل ، حيث تتوسطها قرية شفاثا فاقمنا خيامنا عند عدوة نهر ضحل الماء كثير النبت والاشجار ، وانطلقت جمالنا وجيادنا تسرح في ذلك المرعى الخصيب ، وطاب لنا المقام في تلك البقعة بعد ان تعبت عيوننا وملت منظر الصحراء الرتيب فالقينا انفسنا على العشب ... بعد وصولنا بقليل اخبرنا الشيخ بانه سيرسل نفراً من القافلة الى القرية لشراء الحاجيات ، وتبرع احد مرافقينا بالذهاب عنا لتلبية طلباتنا ، فسألناه ان يشتري دجاجاً وحليباً وبيضاً ، وهي الاشياء الوحيدة المتوفرة في القرية ، وشكرنا الرجل استعداده الطيب ، فمضى مع المنصرفين ، وعاد في الماء وهو يحمل بعض الطيور واخبرنا انه لم

---

(١٠) لعله يشير الى عيون برذويل ، انظر : طالب علي الشرقي : عين التمر (النجف ١٣٨٦هـ\١٩٦٦ م) ص ٧٧

(١١) كتبها صاحبنا « شتات » Shittat . وتقد ورد اسمها باوجه متعددة في الكتب ، مثل شفاثا وشتاثا وشفافا وغيرها . انظر المرجع نفسه ص ٥١-٥٢ ، ولقد ذكرها الحموي في معجم البلدان ٣ : ٧٥٩ في مادة عين التمر .

(١٢) اسم الموقع غير واضح في الرحلة – نظن يشير الى القصر المذكور .

(١٣) قال الحموي : « منها يجلب القسب والتمر الى سائر البلاد وهو بها كثير جدا » المرجع نفسه . وفي مراصد الاطلاع المعنى نفسه ٢ : ٩٧٧

يجد حليباً او بيضاً ، ولم يشأ العودة خالي الوفاض كما انه اراد استعمال النقود التي تسلمها منا فاشترى كميه من التمر الفاخر .

ان الاعراب يدفعون في البادية نصف قرش ثمناً للدجاجة الواحدة ، ونحو اربعة قروش او خمسة ثمناً للخروف الواحد ...

رقص الجنود

قبل وصولنا الى هذا الموضع ، طاب للجنود المرافقين لنا ان يقوموا باستعراض امامنا . فشرعوا يرقصون رقصة عسكرية ، فيجتمعون في حلقة ويشهر كل واحد منهم سيفه ، ويدورون حول اعلام مثبته في الارض وسط الحلقة . فلما وصلنا الى شفافنا اخذوا يرقصون وهم يرددون اغنية عربية ويقومون بحركات مضحكة تتفق وكلمات الاغنية . ولما كانت الحفلة على شرفنا ، راينا انه من واجبنا ان نكافئهم ، فوزعنا عليهم عشرين قرشاً ، وقدمنا لهم شيئاً من خبز الشعير ومن التمر الفاخر الذي اشتريناه من القرية . وجدير بالذكر ان الرجال يفضلون خبز الشعير ويستسيغونه .

كان رجال اخرون قد مضوا الى القرية ثم عادوا وهم يسوقون امامهم حميراً تحمل المواد التي اشتروها ، والحمير كثيرة الاستعمال في تلك الاطراف لانها مفيدة جداً ، وهي حيوانات قنوعة .

لقد اشترى الرجل شيئاً يسيراً من التبغ والتمر والطحين والدهن والشعير ...

الرماية عند العرب

امضى الرجال ذلك اليوم بالتمرن على الاسلحة النارية ، فكانوا وكانهم في يوم عيد . ولقد اظهر العرب من المهارة في هذا الميدان شيئاً كبيراً ، في طريقة الامساك بالسلاح وفي طريقة استعماله .

وبهذه المناسبة ايضاً ، كان لابد ان نظهر بمظهر يليق بنا ، فقدمنا لهم جوائز ، وهي عبارة عن اسلحة اقتنيناها في مدينة البندقية ، فوضعناها لاحسن الرماة . فاسرع جميعهم ووقفوا في صف واحد والشيخ في مقدمتهم ، واخذ الشيخ يرمي فربح ثلاث جوائز ، لكني اعتقد ان الرجل بحكم مكانته المرموقة في القافلة اثر على الحكام مهما يكن من امر فقد نال مسدسين وبندقية . وكان الهدف على بعد ١٥٠ خطوة وهو حجرة بحجم الصحن العادي . وكادت طلقات الرماة كافة تصيب الهدف . ومن الامور الطريفة ان رجلا حاول الرماية ببندقية صيد، وهي جديدة عليه ولم يستعملها من قبل قط ؛ وقد اصاب الهدف ، فكان سروره عظيماً لنجاحه في استعمال ما لاعهد له به ، ولشدة فرحه اخذ يمطر البندقية بوابل من القبل .

الاخيضر

في الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم الرابع من كانون الثاني حدجنا جمالنا وانطلقنا في نفس الاتجاه السابق ، في ارض منبسطة قاحلة ، فعبرنا مجرى ماء، وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً راينا على يسارنا اطلال حصن صغير مربع الشكل(١٤) يبعد عنا نحو نصف ميل ، يطلق عليه العرب اسم « الاخيضر » Ul-Ackader وفي ذلك اليوم هطلت الامطار بغزارة طوال الليل ، وبالرغم من كل الاحتياطات التي اتخذناها عند نصبنا الخيام ، فاننا لم نسلم من البلل .

لاحظت ان البعران لاتقابل العواصف وجهاً لوجه ، بل تدير لها ظهرها . ويظهر عليها القلق عند المطر ، وقد يقضي المطر عليها اذا دام سقوطه مدة طويلة . وهذا ماحدث في تلك الليلة ، اذ ظهرت بوادر الموت على احد الجمال فامر الشيخ بنحره وتوزيع لحمه على الحاضرين ، فاكلوه بشهية كبيرة . وكانت طريقة طبخ اللحم ان اعدوا حفرة في الارض واوقدوا النار فيها حتى تكوم امامهم جمر ورماد حار جداً ، فالقوا اللحم في الحفرة ، وجعلوا يقلبونه حتى نضج ، وتزداد لذة اللحم بقدر ما يحترق ظاهره .

قرب النجف الاشرف

نحو الساعة الثامنة صباحاً (٦ كانون الثاني ١٧٩٠) تهيأنا للسفر بعد ان زالت الغيوم وضحكت السماء فانطلقنا ... وفي الساعة الواحدة راينا في الافق البعيد « مشهد علي »(١٥) Mesched Aly وكان عن يسارنا على بعد ما يقارب اربعة اميال او خمسة . لقد اكدوا لنا ان قبة المسجد مغشاة بالذهب ، وشهد الاعراب الذين كانوا برفقتنا على صحة هذا القول . لكني لااستطيع البت في امر لم

---

(١٤) الاخيضر حصن منيع مستطيل الشكل (١٧٥ x ٩ر١٦٩ متراً) وله سور عظيم مدعوم بسلسلة من الابراج الشاهقة ، وهو اشهر من ان نتكلم عنه . والغريب ان نايلر يصفه بالحصن « الصغير » !

(١٥) يريد مدينة النجف الاشرف .

اتحققه بنفسي[١٦] . ومهما يكن من امر فمن المؤكد ان الناظر اليها عن بعد يراها تلمع وتتوهج . لكن النحاس المذهب له المشهد نفسه . ان هذا المكان هو محط تكريم المؤمنين وتقديسهم .

لو استثنينا القبة التي قد تكون ذات قيمة عالية ، فان الموضع الذي اصبح مثوى خليفة الرسول لايحسد عليه ، لانه محاط بارض جرداء قاحلة صخرية ، تفتقر الى انواع النباتات كافة . ولم نجد في تلك الارجاء ايا من الحيوانات التي تعيش في الصحراء كالارانب والطيور .

وجدنا بالقرب من « المشهد » مجرى نهر كبير ، لكنه حسب اعتقادي يجف في فصل القيظ . وقد نقل الينا ان اهل البلدة يشكون شحة الماء ، ويضطرون الى الذهاب الى اماكن بعيدة لجلبه .

تغير الجو هناك وارتفعت الحرارة تدريجياً ، وكانت الامطار السابقة قد جعلت الارض موحلة ، وازدادت الرطوبة ، فاخذت البعران تسير بصعوبة ... ثم توقفنا في[١٧] (Wader a homi) .

الصيد عند العرب

ان العرب مولعون جداً بالصيد بواسطة الطيور ، وهم ماهرون للغاية في هذا الميدان . فعندما كنا في تلك الارجاء ارادوا ممارسة هوايتهم ، لكن احد الصقور حلق في الجو وهرب من اصحابه ، فتبعوه مدة طويلة وظلوا يلاحقونه مسافة بعيدة مقدمين له طعماً لعله يعود ، لكن محاولتهم باءت بالفشل ، فضاع الطير !

مواقع مختلفة

كان المناخ رديئاً ، فامضينا ليلة تعسة ...وفي صباح اليوم التالي عدنا الى الطريق سائرين في نفس الاتجاه ، وكنا نلاحظ بعض النباتات من وقت الى آخر .ثم عبرنا ثلاثة جداول صغيرة اعتقد انها تكونت من جراء الامطار الغزيرة التي هطلت في الايام الاخيرة .

توقفنا نحو الساعة الخامسة من بعد الظهر في موقع يسمى « عين السيد »[١٨] Anaseyd فنصبنا الخيام قرب جدول ماء صغير لاطاقة له على بعث الخصب في ذلك الموضع القاحل .

كانت الارض هناك مزيجاً من الرمل والحصباء والحجارة الصغيرة . اما العشب فلا وجود له البتة . وبينما كنا نسرح انظارنا في الفلاة ، وقعت عيوننا على سبعة رجال او ثمانية امامنا ، فالتبس الامر علينا ، لان رؤية رجال في ذلك المكان الموحش ، وفي ذلك الوقت من النهار وقد مالت الشمس الى الغروب امر لايبعث على الارتياح . لكن رجال القافلة اعادوا الاطمئنان الى قلوبنا بعد قليل اذ تعرفوا على الرجال وقالوا انهم من سكان المرتفعات القريبة .

راينا على بعد فرسخ وراء خيامنا اطلال قرية تسمى « قلعة علي »[١٩] Alataly وروى الشيخ لنا قصة تلك القرية وسكانها الامنين قائلا انها كانت قرية كبيرة عامرة لكن السكان اضطروا الى هجر قريتهم بعد ان تعود قطاع الطرق على الاحتماء بها والاستيلاء على بضائع المسافرين واموال اهل القرية المساكين . لقد تحملوا الظلم فترة لكنهم في آخر الامر اضطروا الى هجر قريتهم طالبين الراحة والامن في مكان آخر .

تركنا ذلك الموضع صباح اليوم الثامن من الشهر . وكانت الارض يابسة جرداء ، لكننا كنا نجد هنا وهناك باقات من نباتات الصعتر والخزام .

وفي الساعة العاشرة شاهدنا برجاً عاليا شبيهاً بالهرم ، يستخدم في تلك الانحاء كمرشد للمسافرين الى وجود عين ماء ؛ وكان أسم العين التي وصلنا اليها « عين الجان »[٢٠] Eyn-ul-Gyan وكان ماؤها غير مستساغ .

وبعد لحظات راينا على البعد قافلة. فتوجس الشيخ شراً ، واسرع فنزل عن بعيره وتقدم مني طالباً جوادي ومنظاري المقرب ليذهب ويتحقق امر المسافرين . فلبيت طلبه واعطيته الحصان وامتطيت من ثم الجمل ، وكانت هذه المرة الاولى بالنسبة الي ان امتطي جملا ، فلاحظت ان السفر على ظهره ليس صعباً كما كنت اتصور خاصة اذا اعد عليه رحل جيد ، بل لعلي صرت افضله في السفر .

لم يتاخر شيخنا كثيراً ، بل عاد بعد فترة وجيزة ليخبرنا بان القافلة كانت تضم بضع مئات من الحمير محملة بالملح .

---

(١٦) طليت قبة المسجد بالذهب سنة ١١٥٦هـ (١٧٤٣م) .

(١٧) لم انحقق من اسم هذا الموقع

(١٨) في الاصل « انا سيد » ، واعتقدها كما ذكرت اعلاه ، وهي عين عند الرحبة ـ بضم الاول ـ (وهي غير رحبة سوريا) ذكرها الحموي ٢ : ٧٦٢

(١٩) هناك قلعتان صغيرتان على تل تجاورهما عين ماء .

(٢٠) تقع الى الغرب من الشنافية . نلاحظ ان المؤلف كتبها في الخارطة الملحقة بالكتاب Gaim

في صباح اليوم التالي (٩ كانون الثاني ١٧٩٠) عدنا الى الطريق وسرنا باتجاه الشرق والجنوب الشرقي ، حتى وصلنا عصر ذلك اليوم الى « ابو المريس »(٢١) او مشيهد Emshehed التي تقع على ضفاف شط العطشان ، وهو نهر ضحل قد يصيبه الجفاف في قسم من السنة ، ولهذا يظهر عقيقه واضحا في ارض الصحراء اذ تنمو الاشواك والادغال على طول مجراه بحيث تراه من بعيد .

السماوة

واصلنا رحلتنا صباح اليوم التالي ، فاخذنا نسير في سهول « السماوة » Semawat, Samava حتى توقفنا عصراً على بعد خمسة اميال منها . وهي بلدة صغيرة لابأس بها ؛ يحيطها سور (٢٢) لايختلف عن التحصينات العادية المنتشرة في انحاء الشرق . وقد اخبرنا الشيخ ان عدد سكان السماوة يبلغ نحو ثلاثمئة بيت .

كنا نقترب شيئاً فشيئاً من نهر الفرات . وكلما اقتربنا منه كانت الارض اقل جفافا واكثر خصوبة ، فاخذنا نرى النباتات والادغال العالية وكانت الارض باردة رطبة .

دراويش متجولون

انطلقنا في اليوم التالي في الساعة السادسة والربع . وبعد منتصف النهار لاحظنا اثار التعب بادية على البعران ، فقد كانت منهوكة القوى . لذا توقفنا في موضع كثير الكلأ تتوسطه كمية وفيرة من مختلف انواع الادغال يطلق على المكان اسم « ام الحنطة »(٢٣) Om-al-Hunta وقد التقينا في ذلك المكان بخمسة دراويش قالوا انهم غادروا البصرة قبل خمسة ايام .

ان هؤلاء الرجال يسافرون بكل امان في طول الصحراء وعرضها ، يتنقلون بين القرى ، ويلقون في كل مكان يحطون فيه استقبالاً حاراً . من قبل الاعراب الذين يتعرفون عليهم من بعيد من صوت القرون الصغيرة(٢٤) التي ينفخون بها قبل وصولهم الى الاماكن المأهولة او عندما يمرون بالمسافرين . ولقد ابدى رجال قافلتنا نحوهم احتراماً كبيراً واعتنوا بامرهم وقدموا لهم كمية وافرة من التمر .

كنا على بعد ميلين من الفرات ، ورأينا على شاطئيه اشجاراً عالية ، وكان المنظر رائعاً لم نعهده منذ مدة طويلة .

اكملنا سيرنا ، تاركين عن يسارنا قلعة قديمة آلت الى الخراب تسمى « الجربة » Jeriah وهناك التحق بنا رجل من اهل السماوة ، كان شبه عار ، وقد تعمد السفر على هذه الصورة ليتجنب تحرشات البدو الذين ليسوا من عشيرته ، اذ يحدث كثيراً ما ان تهاجم احدى القبائل ابناء قبيلة ثانية فتغزوها وتنهب اموالها . وطلب الرجل منا السير في ركابنا فلبينا طلبه عن طيبة خاطر ، وتقاسم الجنود معه بكرم حاتمي شيئاً من مؤونتهم . وفي ذلك اليوم رأينا حفرا فيها كميات كبيرة من الماء ، وبالرغم من كونها راكدة لكنها كانت طيبة المذاق .

اسد في الفلاة

سمعنا في هدوء الليل زئير اسد من موضع غير بعيد عنا . ولم تكن الابل راغبة في هذه الزيارة المفاجئة . فهبت سوية واجتمعت الى بعضها في خط دفاعي . وعادة القوم في هذه الانحاء انهم يجعلون الجمال في دائرة ويعلقون سيقانها ويربطونها الى بعضها ليمنعوها من النهوض والسير ... وكان الاعراب متيقظين الى ابعد حد ، فما ان سمع الحراس زئير الليث حتى اطلقوا النار في اتجاهه نفر بعيداً . ولقد استيقظنا على صوت العيارات النارية معتقدين ان جماعة من الفرسان قد احاطت بنا ، ووثبت من فراشي مرتعباً واسرعت الى سلاحي ، وخرجت من خيمتي لاناجز الاعداء ! لكني لم اجد احداً ، فقد هرب الاسد وعاد السكون يخيم على ارجاء المكان .

في صباح اليوم التالي غادرنا منطقة « ام الحنطة » وفي نحو الساعة العاشرة تركنا عن يسارنا قرية اسمها « طاهر » Tahir تقع على ضفة نهر .

---

(٢١) وهو اسم واد .

(٢٢) انظر عن السماوة وسورها : عبدالرزاق الحسني : العراق قديما وحديثا ط٤ (١٣٩١هـ – ١٩٧١م) ص ١٥٥–١٥٦

(٢٣) ورد ذكرها في كتاب دوحة الوزراء للشيخ رسول الكركوكلي، ترجمة موسى كاظم نورس ص ١٨٧ ، وذكرها نقلا عن المرجع السابق عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ١٢٧٣ هـ – ١٩٥٤ م) جـ ٦ ص ٤٠ ، ووردت في المباحث العراقية ليعقوب سركيس (بغداد ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م) جـ٢ ص ٣٦٣ في الهامش ، ويقع المكان جنوبي الخضر .

(٢٤) انظر عن الدراويش ماكتبه احمد حامد الصراف : الدروبش (مجلة لغة العرب ١٩٢٨/٦) ص ٨٥ .

وفي الساعة الثانية راينا عن يميننا قبرا صغيرا يقال له « عين علي »(٢٥) Ehen Aly

كانت الدرب التي نسلكها في ارض مشبعة بالملح ، وكان مجرى نهر الفرات واضحاً لكثرة الغابات الملتفة القائمة على عدوتيه . ورأينا قرى عديدة متناثرة على ضفتيه ، والدخان يتصاعد من اماكن عدة ، فنحن نسير والحالة هذه في ارض ماهولة بالسكان . ونظراً لوجود الماء بكثرة في تلك المناطق لم نكن نحتاج بعد الى الزقاق التي كانت معنا .

في الساعة الرابعة من بعد الظهر توقفنا ونصبنا الخيام في « شكاره »(٢٦) Shicarah بعد ان سرنا مدة طويلة بمحاذاة مجرى النهر .

وفي اليوم الثالث عشر من الشهر اكملنا رحلتنا بمحاذاة الفرات ، وقد تركنا البادية القاحلة والاراضي الحجرية الواسعة واخذنا نحلم ونمني النفس بقرب رؤيتنا البلاد المأهولة بالسكان ، وكنا نرى في اماكن متفرقة مخيمات الاعراب واثار مواشيهم .

مضارب المنتفق

كانت المناظر التي نمر بها تدل على وجود قبائل من البدو في تلك المناطق . وقد تحققت توقعاتي ، اذ اننا راينا في الساعة الثامنة جماعة منهم ، يقدر عدد رجالها بثلثمئة رجل ، وقد اصطفوا في مجموعات وراء خندق ، ورأينا بيارقهم ترفرف فوق المتاريس ، كما رأينا عن بعد مجموعات من الرجال المسلحين يسيرون بانتظام وهم يحملون رماحاً يبلغ طول الرمح الواحد ستة اقدام ، وقد تسلح عدد قليل من المقاتلين بالبنادق . فلما اقتربنا منهم انفصلت عنهم ثلة من الخيالة قوامها خمسة عشر رجلا واتجهت الينا لتتعرف علينا ، ثم افترق عن الكوكبة فارس فتقدم منا حتى وصل الى مسافة مئة قامة (٢٧) من قافلتنا وقد اشهر رمحه ؛ فما كان منا ، عند ظهور بوادر المجابهة ، الا ان تركنا محفتنا بلمحة بصر وامتطينا الجياد لنستعد للمعركة ، واشعلنا الفتائل الضرورية للبندقيات(٢٨) ، ووقف الشيخ على راسنا ، واتخذ افراد القافلة موقف الاستعداد للقتال ، وكان متاعنا في مؤخرة القافلة تحت حراسة رجال مسلحين .

كان شيخنا غير هياب وظهر بموقف المستعد للمجابهة . وعندما صرخ احدهم: من هناك ؟ اجاب احد الفرسان بلهجة المنطقة معرفاً نفسه انه من اهل البصرة وهو في عداد القوات المجتمعة تحت راية شيخ المنتفق . لقد كنا اذا بين اصدقاء ، لذلك هبت كوكبة الفرسان لملاقاتنا ورافقتنا من ثم مسافة ميلين .

قدم لنا هؤلاء العرب الكرام غنماً وسمناً ولبناً وكل ماكان في حوزتهم من مواد . اما شيخنا فقد حثنا على عدم التوقف هناك قائلا انه لايزال الطريق امامنا طويلا حتى نصل الى القرية التي قرر المبيت فيها ، واكد لنا ان تلك القرية هي احسن مكان نمضي فيها ليلتنا اذ تقع على ضفاف الفرات ، وهناك سنجد كل ما نحتاج اليه من امتعة ومؤونة ، ولهذا استأذنا اصدقاءنا الجدد الكرام بالسفر .

القيت نظرة فاحصة على هؤلاء القوم . فرايت الخيالة لابسين البسة حسنة راكبين خير الجياد ، مدججين بسلاح جيد ، وتظهر على محياهم سمات الطيبة ولهم وجوه هادئة . اما المشاة فكانوا اقل انتظاماً . ورايت عدداً قليلا من الجنود لهم كوفيات على رؤوسهم وقد ابتزروا بقطعة من القماش على اوساطهم ، مسلحين برماح من نوع تلك التي ذكرتها قبل قليل ، لكن اكثر الرماح كان يعلوها الصدأ .

كانت هناك خيام سود غير عالية لاستعمال شيوخ القبيلة فقط . وخيامهم هذه منصوبة بطريقة تثير الدهشة فقد صنعت من نسيج الصوف ووبر الابل فهي والحالة هذه جيدة لمقاومة المطر والمحافظة على الدفء دون ان تكون حارة جداً .

ان الاراضي الواسعة في تلك المنطقة كانت قد زرعت في السنة المنصرفة كما اعتقد ، وقد انتهوا من حصاد الحنطة ، وكانت الارض قد قسمت الى حقول عديدة لكي تسهل عملية السقي من حقل الى آخر . وكانت الحقول كثيرة الكلأ ؛ ورأينا هناك مواشي القبيلة وحيواناتها . ويمكنني ان اقدر عدد مارايت هناك ببضعة الاف راس ، منها الثيران والغنم والماعز ، وعددا من الخيل والابل .

دابنا على السير في ارض غنية بالمراعي ، لكننا لم نجد حطباً نستعمله لاعداد النار . والتقينا في رحلتنا بقطعات من المحاربين كانت منتشرة هنا وهناك

---

(٢٥) لم نتحقق من هذين الموقعين .

(٢٦) قد تلفظ شكارة او شكرة .

(٢٧) ترجمة كلمة Toise وتساوي ١٫٩٤٩ سم

(٢٨) يتكلم عن البنادق التي كانت تملأ بالبارود من فوهتها ويعد لها فتيل قبل استعمالها .

فلم تلتفت الينا ولا اعارتنا انتباها . وكانت القطعات الاولى التي التقينا بها سابقاً هي مقدمة جيش شيخ المنتفق(٢٩) .

وفي نحو الساعة الخامسة مساء راينا مضارب خيام الشيخ قائمة على ضفاف الفرات . وبعدنصف ساعة وصلنا الى قرية « سوق الشيوخ »(٣٠) Shoogal-Shugh حيث نصبنا خيامنا على بعد نصف ميل من مضارب القوم .

كان على شيخنا ، قبل ان نتابع رحلتنا ، واجب الذهاب الى الشيخ حمود(٣١) شيخ مشايخ المنتفق(٣٢) ورئيس القوم في منطقة البصرة ، ليقدم له الاكرام اللازم .

فلما حل الليل وخيم الظلام مضى لزيارته . فطلبوا منه ان يعود في صباح اليوم التالي ، وعندئذ سيرافقه رجل ليلقي نظرة على البضائع التي كانت في قافلتنا . لان حمود المذكور كان يستوفي اتاوة من قوافل التجارة كافة . ويحسبها على عدد الابل المحملة في القافلة . فاخبره شيخنا ان رجال قافلته سياح لا علاقة لهم بالتجارة ، وبصفتهم عسكريين فهم لا يحملون الا السلاح . فاجابه شيخ المنتفق قائلا : انه لايعقل ان قافلة متكونة من هذا العدد الكبير من الجمال لايكون فيها من يتعاطى التجارة . ولهذا السبب قرر ان يرسل عند الصباح رجلا عنه يلقي نظرة على امتعتنا .

عاد شيخنا المدعو « عبدالله » واخبرنا بكل مادار من حديث في الاجتماع ، وحثنا على التصلب تجاه الشيخ وان نرفض رفضا قاطعا تقديم هدية ما ، واردف قائلا : ان فعلتم ما قلت فان شيخ المنتفق سيصدق عند ذاك مارويته له ، واضاف ايضاً : ان بطانة الشيخ متكونة من رجال جشعين سيحاولون بمختلف الطرق والحيل انتزاع شي منا .

ولقد صدق الشيخ في توقعاته . ففي صباح اليوم التالي قدم الينا رجال في الساعة العاشرة ، واخذوا يقلبون امتعتنا ، واذ لم يجدوا ما يمكن ان يطلق عليه اسم بضاعة تجارية ، شرع رئيس الشرذمة التي زارتنا يطالب هدية قبل ان يتركنا ، وكدنا ان نعطيه لولا ان شيخنا كان يومىء الينا بان نرفض الطلب . فقلنا انه ليس فيما نحمل ما يستحق ان يقدم كهدية . وبعد الحاح قليل انسحبمع مرافقيه، اذ لم يجد نفعاً في الحاحه .

حاول الاعراب الذين كانوا في القافلة اعطاءنا فكرة واضحة عن شيخ المشايخ ، فقالوا : انه عظيم جداً وله تحت قيادته نحو عشرين الف مقاتل . وكانت مضارب خيامه تمتد بدون نظام بمحاذاة الفرات مسافات طويلة لكنها لم تكن تحتل مسافات بعيده في العمق . واني اقدر عدد رجال شيخ المنتفق المقاتلين بثلاثة الاف شخص لا اكثر ، لكنني لم اشأ مناقشة الاعراب او ردهم بهذا الخصوص(٣٣) .

سرنا نهار الثالث عشر من الشهر مسافات طويلة قرب النهر ، وفي الماء كان الجو بارداً جداً . وعند الغلس راينا اثار الانجماد على الاديم وهكذا اخذنا نشعر بالبرد بعد ايام طويلة من المناخ الطيب .

وحدث في اليوم التالي انه لم يسمح لنا بالنزول ونصب الخيام الا بعد ان قدم شيخنا هدية معتبرة لشيخ المنطقة(٣٤) فتداهداه صقراوطاقتي(٣٥)قماش وعشرين زوجاً من الخفاف التركية التي يطيب للبدو استعمالها . فتنازل الشيخ لقاء ذلك وتلطف فاوفد رسولا يحمل الينا باسمه تمنياته الطيبة في الحل والترحال ويطلب في الوقت ذاته قليلا من البارود الاوروبي ، فاعطيناه ماطلب . وهكذا سويت الامور خلال نصف ساعة فمررنا في اراضيه ونحن نسير قرب مجرى النهر ، وكانت ضفافه مليئة بالقصب العالي وتتفرع من النهر سواق كثيرة الى مسافة

(٢٩) يكتبها البعض « المنتفك » وقيل ان اصل التسمية يعود الى اتفاق القبائل ولذا نرجح التسمية الاخرى اي « المنتفق » .

(٣٠) يلاحظ التحريف في التسمية عند صاحب الرحلة . وسوق الشيوخ بلدة معروفة انظر الحسني : المرجع المذكور ص ١٦٧

(٣١) هو حمود بن ثامر ابن الشيخ سعدون المعروف بحمود الاعمى . انظر دوحة الوزراء ص ١٨٨ ، ومباحث عراقية ليعقوب سركيس ج ١ ص ٥-٦

(٣٢) في الاصل « شيخ المنطقة » وفضلنا اللقب التاريخي الذي عرف به حمود الثامر ومن خلفه في منصبه . مباحث عراقية نفس المرجع .

(٣٣) قال ابو طالب خان في رحلته في مجرى كلامه عن شيخ المنتفق سنة ١٧٩٩ ، اي في زمان رحلة نايلر : « يستطيع ان يجيش جيشا عدده بين خمسين الفا واربعين الفا » . ترجمة الدكتور مصطفى جواد ص ٤٠٥ ! ويتكلم مؤلف « دوحة الوزراء » عن عشرين الف مقاتل ص ١٦٧

(٣٤) اعتقد ان نايلر يتكلم عن الشيخ نويني منافس حمود الثامر على المشيخة . انظر : لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ١٩٦٠ ص ٢٤٤

(٣٥) الطاقة قطعة من اي نسيج قائمة بذاتها تكفي لتفصيل قباء .

اميال عديدة على الجهتين وتعيش في تلك الاجمات اعداد هائلة من الخنازير الوحشية الضخمة ...

كانت اراضي تلك المنطقة منبسطة ؛ والقرى منتشرة على ضفتي الفرات والسهول تغشاها بمراع خصبة رائعة . وهناك قبائل تهتم بتربية عدد كبير من الماشية . والتقينا اثناء رحلتنا بقبيلة تعنى بنوع خاص بتربيةالابل وكانت‌تملك حسب تقديري اكثر من الفين من هذه الحيوانات المفيدة التي يسمى الواحد منها بكل حق « سفينة الصحراء » .

بعد مسافة قصيرة راينا عدداً كبيراً من الحمير ، وبان لي ان الاعراب لا يهتمون هناك كثيراً بتربية الخيل ، لاننا لم نجد في كل قبيلة التقينا بها الا عدداً قليلا من الامهار والافراس الصغيرة . انهم يبعون الحصن بعد السنة الثالثة من عمرها ، ففي هذه السن يعتبرون الخيل قادرة على الخدمة . اما الافراس فلا تباع البتة ، وليس هناك انسان يستطيع اقناع العربي ببيعها ، فالخيول العربية من جنس أصيل وهي مشهورة في العالم كله .

مساء ذلك اليوم توقفنا في موضع اسمه « الدشاولي » Dachauly وهو قريب من النهر . فوجهت من هناك رسالة الى المقيم الانكليزي في البصرة السيد مانيستي(٢٧) Manesty اعلمه بها عن قرب وصولنا .

كان شيخ قافلتنا يفضل عدم النزول في الاماكن القريبة من النهر ويبتعد عنه ميلين او ثلاثة ، اذ ان سكان تلك المناطق لايتمتعون بسمعة طيبة . وقيل عنهم انهم سراق وغدار .

المحطات الاخيـرة

في اليوم الخامس عشر من الشهر حثنا الشيخ على التزود بالماء من جدول مررنا به ، لان طريقنا سيبتعد على مجرى النهر ... وامضينا تلك الليلة في موضع اسمه « لكادة » (او : لقادة ؟) Legatta وكانت الاراضي التي مررنا بها جميلة ، ورأينا في رحابها عدداً من القبائل ومعهم قطعان عديدة من مختلف الحيوانات .

وفي اليوم التالي تبدلت المناظر امامنا ، فبعد تلك السهول الخضراء الواسعة ، اذا بنا من جديد في صحراء قاحلة لا نبت فيها ، وامضينا ليلتنا في مكان اسمه « كويبدة » (٢٨)Quebda وكان التعب قد انهكنا ونفق في ذلك اليوم عدد من الابعرة ، من بينها الجمل الذي كان يحمل محفتي فضاع وقت طويل لاعادة ربط المحفة على جمل آخر ... واخذنا نفتش عن سائق العيس الذي كان يسير امامي فلم نجده، وكان نشيطاً خدوماً . وبعدئذ علمنا بانه كان بالقرب من اخيه المريض الذي توفاه الله قبل الوصول الى كويبدة . وكان يشكو الما منذ ان غادرنا حلب ، ولقد اجريت مراسيم دفنه ببساطة ووري في حفرة . وهو الشخص الوحيد الذي فقدته القافلة في هذه الرحلة .

كويبدة قرية صغيرة مهملة تركها سكانها ؛ فآلت الى الخراب ، وليس فيها ما يستحق الذكر سوى بناء كبير اشبه بقلعة عتيقة ، لعله كان مسجد القرية .

لقد كنا منهوكي القوى فاسرعنا الى النوم لناخذ قسطا من الراحة ، وبدأ النعاس يداعب جفوننا ، والاحلام الحلوة تتراءى لمخيلتنا ونحن نفكر بقرب وصولنا الى البصرة لنضع نهاية المطاف لهذا السفر الشاق .

الزبيــر

في اليوم السابع عشر من الشهر استأنفنا رحلتنا ، وكنا نستحث الشيخ على الاسراع ، فسرنا باتجاه الشرق رأساً حتى بدت لنا اسوار الزبير(٢٩)؛ فاخذنا نسير بمحاذاتها ؛ حتى وصلنا الى القرية التي طالما اشتقنا اليها . وكانت ابوابها واطئة جداً بحيث لايدخل فيها الجمل محملا ؛ لذلك نزلنا عن مطايانا وانزلنا الاحمال ، وشرع الشيخ يصدر اوامره الى هذا وذاك . وفي هذه الاثناء رافقنا احدهم الى بيت احد اكابر القوم لنحل فيه .

كان عوام الزبير ينظرون الينا ونحن نسير في الدروب نظرات استغراب ، مع هذا كان الاحترام والادب باديين عليهم .

هناك امر اعجبت به اكثر من شي آخر ، وهو شعور السكان الطيب في هذه القرية . كنا لانزال على بعد مسافة غير قليلة عن الزبير ، عندما نشر اعراب

(٢٧) هو المقيم البريطاني في البصرة ، ذكره ايضا ابو طالب خان في رحلته ص ٤٠٦ و٤٠٧ و٤٠٩ وغيره من الكتاب والسياح .

(٢٨) كويبدة في البادية بين المقير والبصرة لاتزال معروفة بهذا الاسم ، لكن بعضهم يكتبها : جيوبيدة او كبدة .

(٢٩) عن الزبير وسورها راجع مقالة علي الشرقي : بلد الزبير او البصرة القديمة ، مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ص ٢٧٥-٢٧٩

القافلة بيارقهم الملونة وشرعوا يطلقون عيارات نارية ، فهب سكان الزبير الى ملاقتنا .

لقد هرع الرجال والصبيان للترحيب بالاهل والاصدقاء معبرين عن حبهم باجمل علامات الشوق والوداد ، ولم اشاهد في حياتي قط تعبيراً عن الفرح واكثر اخلاصا وحرارة مما رايته هناك . ان منظراً كهذا كان جديدا على اشخاص اوروبيين لقنوا منذ نعومة اظفارهم . ان العرب شعب متأخر ، فلقد بدا الواقع عكس ذلك ، وكان المنظر مؤثرا للغاية .

ان هؤلاء الناس البسطاء الطيبين : انفصلوا عن بعضهم منذ بضعة اشهر ليعملوا كحراس ومرشدين للقوافل ، وهاهم عند التقائهم يسرعون فيلقون انفسهم على بعضهم ويتبادلون علامات الحب .

كان رجال القافلة كافة ، من الشيخ الوقور حتى حادي العيس البسيط ، قد اخرجوا اجمل ما عندهم مما اشتروه في حلب من ثمرة تعبهم وادخارهم ، ولبسوا احسن ما عندهم من ثياب فظهروا وكانهم في يوم عيد ، ولم ينسوا احباءهم في الزبير ، فحملوا اليهم الهدايا .

عند وصولنا الى البيت المعد لنزولنا ، دخلنا الى غرفة واسعة خصصت لنا ، كانت قريبة من مثوى النساء . فقدموا لنا اولا القهوة ثم وزعت علينا الفلايين ، وبسطت اخيراً امامنا حصيرة وضع عليها الطعام المتكون من بيض وخبز شعير .

بعد العشاء كتبت من جديد رسالة الى السيد مانيستي اطلب منه ارسال عربات لحمل امتعتنا لان جمال القافلة لاتسير الى البصرة بعد ان وصلت الى نهاية المطاف اي الزبير ... وانتظرت الجواب طويلا حتى عيل صبري . فاسرعت الى جواد لانطلق به بنفسي الى البصرة برفقة دليل .

تجاوزنا الزبير باربعة اميال واذا برجل على حصان يتجه نحونا . فلما التقينا اخبرنا بان المنطقة قد غرقت في الاونة الاخيرة بسبب الفيضان فمن المستحيل اخراج عربات من المدينة ، لذا ارسل المقيم البريطاني جياداً ستصل بعد مدة قصيرة . واخرج الرجل رسالة من السيد مانيستي ، فاذا به يرحب بنا ويدعونا للنزول عنده خلال فترة بقائنا في البصرة ، ويخبرنا بان هذه المدة لن تطول نظرة لوجود سفينة من سفن الشركة(٤٠) اسمها « أنتربيد » Intrepide بقيادة القبطان « جرفيس » Jervis مستعدة للابحار الى الهند ، وهي بانتظار رسائل من اوروبا .

كانت الارض التي نسير عليها ونحن نتجه الى البصرة مستوية طينية ، بحيث ان الجياد كانت تسير بصعوبة ، ولم نشاهد اشجارا او ادغالا . وكان منظر البصرة من بعيد وكانها قائمة في وسط بحيرة ، يحيط بها النخيل . ثم لمحنا على البعد علم بريطانيا العظمى يرفرف فوق القيمية الانكليزية . واخيرا وصلت الى البيت في الساعة الثالثة والنصف فاستقبلني السيد مانيستي بمودة واحترام . . . وهذا الرجل حسبما علمت كان محط تقدير اهل البصرة واحترامهم .

وبعد ساعتين وصلت السيدة تايلر مع رفيقنا الآخر السيد بلاكيدر(٤١) . . . وفي ذلك المساء اوينا الى الفراش بسرعة لننسى في النعاس اللذيذ اتعاب السفر وهمومه . . . وفي صباح اليوم التالي نهضنا وقد استعدنا قوانا فخرجنا لزيارة المدينة والتجول في بساتينها الواقعة على شط العرب(٤٢) وهو النهر الذي يبدأ بالقرنة ويتكون من التقاء الفرات بدجلة . وتقع القرنة على بعد ثلاثة عشر فرسخاً او اربعة عشر الى الشمال من البصرة .

البصـــرة(٤٣)

يطلق العرب على البصرة اسم « الصورة » وهي كلمة منحوتة من « بالصورة » التي تعني الارض الحجرية (٤٤) وهي بهذا تعبر عن طبيعة الارض التي قامت عليها هذه المدينة .

ان البصرة ليست قديمة جداً(٤٥) وكانت الغاية من بنائها ان تكون مستودعاً للتجارة (٤٦) . ولذلك لم يتخذها الملوك عبر تاريخها قاعدة لهم ، ولم يهتموا بهندستها المعمارية ولاتجد فيها ابنية مهمة كتلك التي تزين عواصم الشرق .

---

(٤٠) يريد « شركة الهند الشرقية » وهي شركة احتكرت التعامل التجاري بين انكلترة والهند ، لعبت دورا مهما في تاريخ الاستعمار البريطاني .

(٤١) ذكرنا في المقدمة ان زوجة تايلر رافقته في رحلته مع الدكتور بلاكيدر .

(٤٢) قال تايلر : شط العثمان وقد اخطأ .

(٤٣) هنا يبدأ الفصل السادس من الرحلة .

(٤٤) البصرة في كلام العرب الارض الغليظة التي فيها حجارة صلبة تقطع حوافر الخيل . انظر : مجلة لغة العرب ١٩٣٠.٨ ص ٢٥١

(٤٥) انظر : الحسني : العراق قديما وحديثا ص ١٧٢–١٨٢

(٤٦) هذا وهم من المؤلف ، لقد خططت البصرة لخدمة الجيش في بدء الفتح الاسلامي .

عندما اراد الخليفة عمر (رض) في السنة الخامسة عشرة من الهجرة جمع تجارة الهند وفارس وبلاد العرب ، قرر وضع اساس مدينة البصرة في موقع قريب من ملتقى الفرات بدجلة ، على بعد ثمانين ميلا فوق مصب شط العرب في الخليج ، ولقد نجح والحق يقال في اختيار الموقع(٤٧) . اذ هناك تجتمع القوافل القادمة من بلاد الفرس والعرب . وهي تحافظ على السفن التي تبحر الى البلاد القريبة فتكون نقطة اتصال بين هذه البلاد وساحل الهند . ولذلك قدم اليها اناس من كل فج عميق : يونانيون ويهود وارمن وهنود(٤٨) ومغاربة فحلوا فيها .

تقع المدينة في ارض واطئة ، وهي لهذا السبب عرضة للفيضانات التي يتكرر حدوثها ، اما لازدياد المياه وطغيانها ، او بسبب القبائل العربية نفسها التي تكسر السداد المحيطة بمجرى النهر ، ويفعلون ذلك بغضاً للحكام او انتقاماً منهم .

وبالقرب من المدينة مستنقعات مياه(٤٩) ، تتصاعد منها ابخرة موبوءة ، لهذا ترى وجوه السكان شاحبة . ويعتبر فصل الصيف بحرّه اللاهب من اصعب الفصول على الاوروبيين خاصة . وفي هذا الفصل يحصد الموت عدداً كبيراً من الارواح ، فيقل عدد السكان ولا يبقى من كل قوم الا عدد يسير .

يخمن عدد سكان البصرة حالياً اكثر بقليل من ثمانية الاف نسمة . لكن محيط الاسوار واتساعها يدلان على انها كانت تضم في زمن سابق اكثر من هذا العدد عشرة اضعاف . ولقد ذكر ان المدينة كادت تخلو من سكانها في سنة ١٦٩١ عندما زحف الطاعون عليها ، فقد قضى على ثمانين الف ضحية(٥٠) .

يدفع النصارى في مدينتي بغداد والبصرة الجزية ، او ضريبة الراس ، وهي لاتتجاوز عن البلدتين خمسمئة كيس(٥١) . ان هذه المدينة ، اي البصرة ، انتقلت بالتناوب من سلطة الى اخرى ، فخضعت تارة للعرب وطورا للفرس او للاتراك . وهذه الاحداث المتتالية اثرت عليها وادت الى انحطاطها الذي نراه حالياً .

البناء في البصرة

للبصرة اسوار تحيط بها ، وفي هذه الاسوار ابراج مدورة . لكن لاقيمة دفاعية لها . ورئيس المدينة (٥٢) يخضع لباشا بغداد(٥٣) ، وليس له من الجنود والعتاد ماهو جدير بالذكر ، ماعدا كوكبة من الفرسان تعمل لحمايته الشخصية .

لاوجود لفن البناء في مدينة البصرة ، فهي مهملة كما اسلفنا ، وبيوتها منخفضة ، وهي مشيدة بالمدر الابيض الذي لم يفخر بالنار ، وهو مصنوع من طين فاخر نظيف للغاية ، بعد ان يخلط خلطاً جيداً بالتبن وروث الخيل . تخلط هذه المواد مع الطين وتعجن جيداً ، ثم تقسم الى قطع حسب الاحجام المطلوبة وتعرض من ثم للشمس لتجف وتتماسك . وان القوم مضطرون الى اتباع هذه الطريقة لافتقارهم الى الاخشاب في تلك الانحاء . والخشب الوحيد المتوفر لديهم هو خشب النخيل لكنه رخو ضعيف فلا فائدة ترجى منه .

فواكه البصرة

من جهة اخرى ، تتميز البصرة ببساتين جميلة ، وفيها فواكة لذيذة . فاهل البصرة يزرعون الورد بكميات كبيرة ويستقطرونه ، وماء الورد الذي يستقطر في البصرة يعتبر من اجود الانواع ويصدر الى مختلف البلاد حتى الهند وحلب ، والى جميع الامصار التي لها علاقات تجارية مع المدينة .

اضافة الى ماذكرت ، ففي البصرة انواع مختلفة من الفواكه منها : الخوخ والتمر والتفاح والاجاص والعنب . وكمياتها وفيرة . وبالرغم من مناخ البصرة الذي لا يرحم فهي مدينة ساحرة .

---

(٤٧) لايفكر صاحبنا الا بالتجارة ! لقد تم فتح البصرة على يد عتبة بن غزوان سنة ١٤هـ فاتخذها معسكرا لجيشه ثم شرع بتمصيرها باذن من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) .

(٤٨) في الاصل « البنيانيون » وهم جماعة من الهنود اشتهروا بمعاطاة التجارة .

(٤٩) لعله يشير الى احد الاهوار القريبة من البصرة .

(٥٠) جاء في تاريخ كلشن خلفا في حوادث سنة ١١٠٢هـ :« وسرى الطاعون الى البصرة ايضا حيث فتك بالالوف الى درجة ان الذي يموت يدفن في مكانه لعدم وجود من ينقله » ص ٢٩٨ (ترجمة موسى كاظم نورى) .

(٥١) اختلف قيمة ما في الكيس باختلاف الازمان . قال الاب الكرملي : « كان كيس الفضة في احسن اوقاته يساوي خمسمائة قرش وكيس الذهب عشرة الاف قرش » (تذكرة الشعراء او شعراء بغداد وكتابها) بغداد ١٩٣٦ ص ٩٧ ولم يذكر نابار ما في الكيس ، اكان ذهبا ام فضة .

(٥٢) كان في ذلك الوقت عيسى بك المردني وبقي يحكم البصرة الى سنة ١٢٠٨هـ (دوحة الوزراء ص ٩٠) ويطلق عليه عادة اسم « متسلم المدينة » .

(٥٣) يريد والي بغداد ، وهو انذاك سليمان باشا ببوك اي الكبير .

قد يستغرب القارىء هذا الوصف ، خاصة بعد ان يعلم ان الصحراء تمتد الى ابواب المدينة تقريبا . لكن البساتين الواسعة الموجودة داخل الاسوار والمنتشرة خارجها تجهز السكان بكميات كبيرة من مختلف انواع الخضروات التي يحتاجون اليها .

يصطاد السكان في النهر افخر انواع الاسماك . كما ان البادية مليئة بالصيد البري . فهناك في الاراضي المجاورة للمدينة عدد كبير من الخنازير الوحشية ، وطيور الحجل ودجاج البر والحذف .

ويهتم السكان بتربية الماشية داخل المدينة ، منهم يتفننون طرق تسمين الاغنام ، ويربون في افنية البيوت الداخلية اعداداً كبيرة من الطيور .

والى جانب هذه اللحوم اللذيذة المتوفرة هناك، فعندهم اجود الخمور الفارسية المستوردة من شيراز ، تلك الخمور التي طالما تغنى بها الشاعر حافظ(٥٤) .

بعد هذا الوصف الطويل لابد ان القارىء يرى القائمة الطويلة التي تحتوي على كل ما لذ وطاب في البصرة (٥٥) . بل اضيف الى كل ذلك اني وجدت خمر بوركونية الشهير(٥٦) وقد وصل اليها من ساحل البحر الابيض المتوسط بعد ان قطع الفيافي على ظهور البعران . لكن هذا الصنف العزيز لايتمتع به سوى المقيم البريطاني .

تجارة البصـرة

ازدهرت التجارة في البصرة كثيراً على ايام الخلفاء . فقد اصبحت مستودع البضائع التي كانت تاتي اليها من الهند عن طريق الخليج . ثم تنتقل منها بواسطة الجمال الى البحر الابيض المتوسط . او الى بلاد العرب ، والى اقصى المناطق في ايران .

ثم كان اكتشاف راس الرجاء الصالح بمثابة ضربة قاصمة على تجارة البصرة خاصة في علاقاتها التجارية مع اوروبا . ومن الاسباب التي ادت الى انحطاط تجارتها معاملة الاتراك الشرسة وجهلهم طرق تعاطي الامور التجارية . كل ذلك ادى الى اضعاف العلاقات مع آسيا . وتكاد التجارة تكون محصورة في البصرة في ايادي الارمن الذين يخضعون الى ضرائب عالية .

يتعاطى الاوروبيون الساكنون في البصرة بيع كميات قليلة من البضائع التي يستوردونها من « سورات » (٥٧) والاقمشة التي تصنع في البنغال وبعض الاقمشة الانكليزية الصنع .

ان الارباح التي تجنى من هذه التجارة لاتفي بالمصاريف الكبيرة التي تنفق على المقيمية وما تتطلبها من خدمات ، ولكن وجود المقيمية ضروري للابقاء على العلاقات مع الجزيرة وتنظيم الاتصالات والرحلات البرية مع المستعمرات الانكليزية في الهند .

للاتراك في البصرة مجموعة سفن في نهر الفرات هي قوتها البحرية ، ويراسها موظف يحمل لقب « قبطان باشا » ويخضع لوالي بغداد مباشرة . وله تحت سلطته خمس سفن ذات اهمية ، واعظم هذه السفن مجهزة بخمسين مدفعا . وهناك سفن اخرى صغيرة اقل اهمية من السابقة غايتها حماية السفر الداخلي وتنظيمه . والحقيقة ان جميع السفن بصورة عامة هي في حالة سيئة من جميع وجهات النظر .

الطاعـــون

كنت قد ذكرت انفاً ان الطاعون يعيث فساداً ودماراً في هذه المدينة . ولقد حسب اهل المدينة فترة ظهوره فقالوا انه ياتي كل تسعة عشر عاماً . وجدير بالذكر ان هذا المرض الوبيل يقل انتشاراً كلما توغلنا في الشرق . ويروى ان ظهوره له علاقة بالبيئات التي تزرع الزيتون وتنتجه . ففي الهند مثلا ــ حيث لا يعتنى بالزيتون ــ لا اثر له تقريبا . بينما يظهر كثيراً في القاهرة واسطنبول فيحصد الارواح بصورة هائلة .

ليس في البصرة ما يجلب نظر الزائر . لكن لابأس ان نذكر طريقة فريدة في بناء وسائل عبور الانهار التي يستعملها السكان . هذه الوسيلة هي عبارة عن قفاف في احطاب متشابكة مغطاة بالجلد تصنع بشكل مدور . انها غير مريحة لكنها امينة ولا تقل فائدتها عن القوارب الكبيرة التي تتطلب اعتناء بالغاً في صنعها، ويستعينون بمجذاف طويل ليمخروا في الفرات المعروف بسرعة جريانه .

ان بناء هذه الانواع من المواخر يرجع الى عهد سحيق ، اذ نجد اثارها في مخلفات ملوك بابل .

---

(٥٤) حافظ الشيرازي (شمس الدين بن محمد) شاعر ايراني مشهور (١٣٢٠–١٣٨٩ م) .

(٥٥) يكثر صاحبنا من ذكر الطعام والشراب في رحلته ، ولو اننا لم نترجم دائما تلك الفقرات لقلة قيمتها . والظاهر انه كان نهما اكولا .

(٥٦) اقليم في شرق فرنسا ، اشتهر بصنع الخمور الجيدة .

(٥٧) مدينة في الهند .

القباب البصرية

نظراً لافتقار اهل البصرة الى الاخشاب ، فانهم عندما يريدون بناء قبة او اقامة قوس ، يصممون القوس بصفين متساويين على الارض . ويضعون الاجر الى بعض ويستعملون الملاط ، ثم يرفعون النصفين الى المحل المقرر لوضعهما ويثبتون في نقطة التقائهما قطعة كبيرة وسطية تكمل العمل وتقويه . وهذه الطريقة في العمل جيدة ، فالاقواس التي تبنى على هذه الطريقة تتحمل ثقلا كبيراً .

انطباعات عامة عن العرب

ان فترة مكوثي في البصرة اتاحت لي الفرصة والوقت المقتضى لاتم ملاحظاتي عن طباع العرب وعاداتهم واخلاقهم . ولعل السياح الذين حلوا في هذه المدينة مدة اطول مني استطاعوا التعرف عليهم احسن مني . مهما يكن من امر فلا باس بان ابين رايي في حقهم بكل صراحة وسلامة نية . واذ اكتب هذه الملاحظات، فان روحي لاتزال متاثرة بالانطباعات التي اخذتها عن هذه الامة العجيبة .

يتفق الجميع على القول بان العرب يتحلون في قبائلهم بصفات اجتماعية عالية ، ومن هذه الصفات : الالتزام بالعهود التي يقطعونها على انفسهم . والاعتزاز باكرام لاحد له للضيوف الذين يقصدونهم ليتقاسموا واياهم الحياة البسيطة . وحماية الغرباء الذين يسعون اليهم .

ان مختلف الاقوام في ارجاء المعمورة كافة ، لها عادات توارثتها منذ اقدم العصور . وهذه العادات تخضع لمؤثرات عديدة تتكون من عوامل مختلفة كالمناخ والارض وحالة الاستقرار في البلاد التي يسكنون فيها . هذه العوامل لها اثرها في العرب ايضاً . وانطلاقاً من هذه الفكرة يمكننا ان نقسم العرب الى طبقات مختلفة ، طبقاً لاختلاف اماكن وجودهم . فهناك :

١ ــ عرب الصحراء (البدو)
٢ ــ العرب الذين يزرعون الارض على ضفاف الانهر الكبيرة .
٣ ــ العرب الذين يعيشون في المدن (الحضر) .
٤ ــ قطاع الطرق المتشردون(*) .

(*) وكان هؤلاء معقد الاستهجان ، والعرب براء منهم وسوف نجد رحالتنا عند حديثه عنهم في صفحة قادمة يؤكد ما ذهبت اليه .

فالقبائل البدوية الضاربة في اعماق الصحراء تذكرنا بما كان يروى عن الاباء الاقدمين . فهم يعيشون ضمن تجمعات عائلية ، ويتنقلون من منطقة الى اخرى سعيا وراء الماء والكلأ لاجل مواشيهم . هؤلاء يعشقون الحرية وهم لذلك يفضلون العيش في البيداء التي لاتحدها حدود فيتوجهون حيثما يطيب لهم دون التقيد بمسكن دائم ...

اما في المناطق القريبة من المدن الكبرى ، حيث تتجاوب الارض مع الحاجة الزراعية ، كما في سهول سوريا ، فان اعراب تلك المنطقة يتحلون بالطيبة والمسالمة ، وينزلون الى اسواق المدن القريبة ليبيعوا منتجات مواشيهم الفائضة عن حاجتهم كالحليب والسمن ، واثمار اراضيهم . وهذه الطبقة نافعة للخير العام ولهذا فان الاخرين ، اي سكان المدن يشجعونهم ويحافظون عليهم .

اما الصحراء الممتدة بين حلب والبصرة فهي ارض قاحلة جداً . لايستطيع العربي استثمارها في شيء من اجل معيشته ، فهو يلتجيء الى عمل اي شيء آخر ليعيش مهما كان نوع هذا العمل ، المهم انه يحاول . ومن الاعمال التي يتعاطاها انه يسير كدليل للقوافل التي تقطع الصحراء لقاء مبلغ يتم الاتفاق عليه . وهو امين في وعده متى وعد لايخلف ابداً . وباستطاعة التجار ان يسيروا في حمايته بدون خوف .

ولكن عندما توسعت التجارة . اخذت القبائل تتنافس في هذا المجال . فخلق هذا التنافس عداوة بينهما وكان له اثره السيء على التجار ايضاً . بيدان هذه العداوات الداخلية اخذت بالتقلص بعد ان توصل العرب الى اتفاق داخلي . وهو انهم عينوا ممثلا عنهم في حلب يجذب التجار ويجمعهم ويعدهم للسفر ويزودهم بوثائق مرور وياخذ منهم اجراً يوزع على كافة الشيوخ الذين تسير القوافل ضمن اراضيهم .

وقد اشتهر في هذا العمل اهالي الزبير . والزبير كما نوهنا سابقاً بلدة صغيرة مسورة ، تبعد عن البصرة ثمانية اميال . ويتصف اعراب هذه المنطقة بانهم يتمسكون بالعمل من اجل نفع الذين يدفعون لهم . وهم يخضعون لشيخ المنتفق المسيطر على ضواحي البصرة . وهو بالطبع يستفيد من كل البضائع التي تمر في منطقته .

اما العرب الذين يسكنون على ضفاف النهرين: دجلة والفرات فتتلخص طباعهم في امرين : القسوة وانتهاز الفرص اذا ما واتتهم لسرقة

الغرباء . فلا تنجح فيهم الا القوة ... ويرجع سبب اختلافهم عن البدو الى وجودهم في مساكن ثابتة جعلهم يخضعون لنير الحكم التركي الثقيل ؛ فاقتبسوا من الاتراك عادات سيئة وتطبعوا بطباع لا يقبلها البدوي .

يعمل افراد هذه الطبقة في زراعة النخيل وتربية المواشي ويفلحون الارض ويهتمون بزراعة الشعير . وتنتشر قراهم على ضفاف الفرات ؛ متناثرة بين غابات النخيل وتمتد الاراضي التي يعتنون بزراعتها على مدى نحو ميل من الشاطيء لا اكثر ؛ تليها الصحراء الجرداء .

الطبقة الثالثة هي سكان المدن ويتصفون بالاعتداد والاعتقاد بالخرافات والتظاهر بالتقوى وعدم الثقة بالغرباء . ان هذه الملاحظة تعتمد على راي « مونتسكيو »(٥٨) القائل بانه على قدر مايتكاثر افراد المجتمع بقدر ذلك تنتشر بينهم صفات الشر ...

اماالطبقة الرابعة فهي متكونة من قطاع الطرق المتشردين . وهذه الجماعة تشجبها القبائل الاخرى. ولحسن الحظ فان عدد هؤلاء قليل .

اعراب الصحراء هم خير الازواج ونعم الاباء . وهم ضمن قبائلهم امناء نحو نظامها يعشقون الحرية ويتمسكون بوعودهم بامانة تكاد تكون دينية . فاذا انفصلوا عن قبائلهم تغيرت اخلاقهم ومالوا عندئذ الى الشر ... ان الطبيعة وهبتهم حب الحرية وهم لهذا يرفضون الخضوع للظلم .

يتصف العربي بقناعة مدهشة ، وتقتصر حاجياته على اشياء قليلة ـ فلباسه بسيط ، ويسير في الصيف شبه عار ، بينما يتدثر في الشتاء بالبسة مصنوعة من الصوف او الوبر . اما الرؤساء فيطلبون القماش الجيد والكوفية القطنية او الحريرية والخفاف التركية الملونة ؛ خاصة عندما يكونون في سن الشباب . ويعتنون اعتناء كبيراً باقتناء السلاح وهم يفضلون المسدسات الاوروبية والسيوف الدمشقية والبنادق الحلبية التي تشعل بالفتائل .

لايقرب العربي المشروبات الروحية ابداً . وطعامه بسيط اكثره من الشعير . ويكثر من اكل التمر واللبن ... ويقل من تناول اللحوم ؛ اذ هم

(٥٨) Montesquieu مفكر فرنسي (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) له مؤلفات عديدة كان لها تاثير في رجال الثورة الفرنسية .

لايذبحون الغنم الا نادراً . وهم صيادون مهرة ولذلك ياكلون لحم طرائدهم كالارانب ... يتناولون القهوة عدة مرات في اليوم ؛ ويدخنون الغلايين التركية ... وتنحصر ملذاتهم في هذه الاشياء البسيطة .

لهم قطعان كبيرة من مختلف المواشي . يبيعون جيادهم في اسواق المدن الكبرى كالبصرة وبغداد وحلب ودمشق . ويحافظون على الافراس لتكثير النسل . ويربون جنساً من الحمير قوي الجسم يتحمل العيش في الصحراء ويستعملونه لحمل الملح الى المدن الداخلية. لكن احسن حيواناتهم هي دون شك الجمال فهي حيوانات الصحراء الاصيلة .

ينتشر الحجل بكثرة في اطراف حلب ... وقد يظهر في الصحراء ولكن ليس في فصل الصيف ؛ ويجتمع بالقرب من الينابيع والعيون ... كما يوجد الحذف والبط الصحراوي وانواع الطيور الاخرى التي تتنقل في مجموعات .

اما الحيوانات المفترسة فهي قليلة في تلك الانحاء ؛ فهناك عدد من السباع على ضفاف الفرات ؛ كما توجد الضباع ، وقد ترى في الصحراء ايضاً بنات اوى وعدداً من الارانب واليرابيع .

مغادرة العراق

في الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني [١٧٩٠] ركبنا البحر على متن سفينة من اسطول الشركة اسمها « انتربيد » وكانت مسلحة باربعة عشر مدفعاً ؛ وتحت قيادة القبطان جرفيس ؛ لنسافر الى الهند .

مررنا صباح اليوم التالي مواجهين البصرة القديمة فراينا آثارها ماثلة على بعد نصف فرسخ من النهر على الضفة المجاورة للاراضي الايرانية ؛ وقيل لنا عن هذه المدينة انها كانت عظيمة الشأن واسعة الارجاء في سالف الزمن .

نصائح عملية للرحالين(٥٩)

من السهل ان تجد في البصرة رجالا يقومون على خدمتك ويرافقونك في الرحلة ؛ يتكلمون التركية والعربية وقليلا من البرتغالية كما يلفظها اهل الهند ، وبعضهم يتكلم اللغات الافرنجية (٦٠) المنتشرة

(٥٩) تركنا مالا شأن لنا به من الرحلة وابقينا على نهايتها نترجم المفيد منها .

(٦٠) قال في مواضع اخرى من الرحلة انه يعني باللغات الافرنجية : الفرنسية والايطالية .

في حوض البحر الابيض المتوسط . وان وجود مثل هؤلاء الادلاء مفيد جداً في السفر ؛ ويرافقك الدليل اذا دفعت له مبلغاً زهيداً لايتعدى ستين روبية(٦١) للرحلة كلهـا .

اذا اراد السائح السفر من البصرة الى بغداد بطريق النهر ، فعلية ان يختار شهر كانون الثاني اذ يكون نهر دجلة ، والفرات ايضاً في انحدار هادىء ، لان مياههما تتكون في ذلك الوقت من ذوبان الثلوج وليس من سقوط الامطار . ويكون المناخ طيباً في ذلك الموسم . وباستطاعة الاوروبي الذي لم يتعود على المناخ الحار جداً ان يتحمله .

ويستغرق السفر من البصرة الى بغداد بالنهر خمسة عشر يوما . وتتم السفرة بواسطة سفن شراعية ، فاذا هب الريح تنشر الاشرعة والا فانهم يضطرون الى استعمال المجاذيف .

ان اول ما يصادف المسافر بعد مغادرته البصرة بطريق النهر هو « القرنة » حيث يلتقي النهران : دجلة والفرات . وتقع القرنة على بعد اربعين ميلا شمال البصرة . وللحكومة في تلك المنطقة اسطول من السفن تصنعه هناك للمحافظة على الارض والتجارة النهرية . ولهذه المدينة ثلاثة حصون : اولها مقام على ارض بارزة في النهر ؛ والثاني مواجـه لارض كلدية والاخير يقع باتجاه بلاد العرب(٦٢) . ويستغرق السفر من البصرة الى القرنة ١٢ الى ١٤ ساعة .

ويمر المسافر بعد القرنة بالاماكن التالية :

الجزائر(٦٣) (Gazar)

مزار(٦٤) (Mazar)

المنصورية(٦٥) (Mansoury) وهي بلدة كبيرة

..... (Satarat) ولها قلعة مبنية بالآجر

العمارة (Amarat) ولها قلعة مماثلـة

بغداد (Bagdad) وهي مقر الوالي .

* * *

(٦١) نقد هندي من فضة .

(٦٢) الاعظمي : تاريخ البصرة ص ١٢١ في الحاشية

(٦٣) هي الجزائر المتكونة من سواعد شط العرب وتشتمل على قرى عديدة .

(٦٤) لعله يشير الى مزار العزير المعروف .

(٦٥) ان الاسم يشير الى « الشطرة » ولكنها ليست على دجلة وبعيدة كل البعد عن العمارة .

ومن الاماكن الجديرة بالزيارة ، بقايا طيسفون التي تسمى اليوم « كسرى »(٦٦) فمن المتعة للسائح ان يزورها ، وهي بعيدة نسبياً عن بغداد ... ان اسوارها تدل على عظمتها السابقة وهي مشيدة بآجر مفخور بالنار هائل الحجم . حجم كل قطعة نحو عشرة اقدام مربعة وسمكها ثلاثة اقدام . اما عرض الجدران فكبير جداً بحيث يمكن ان تمر ست عربات عليها. ان مقارنة ابنية كهذه بما يشيد اليوم يجعلنا نندهش الى اقصى حد من الاقدمين كيف استطاعوا انجاز معجزات كهذه .

اني انصح المسافرين ان يتمونوا بكميات من خبز البصرة ، فهو اجود انواع الخبز في البلاد .

باستطاعة المسافر ان يذهب من بغداد الى كركوك Karkuk, Thourkat مستغرقاً ثمانية ايام ، ومن هناك يكمل الطريق الى الموصل في اربعة ايام . ولكركوك موقع حصين . وعلى المسافر ـ كما ارى ـ ان يقضي فيها يومين ليتزود بالزاد الضروري لاربعة ايام وهي المدة التي يستغرقها السفر الى الموصل .

كلمة عن النقود

على المسافر ان يتزود كذلك بمقدار من نقود البندقية المسماة « الزكين البندقي »(٦٧) فهذه العملة مرغوبة في الشرق ولها سوق رائجة .

ليس للنقد بصورة عامة قيمة ثابتـة في اي مكان . اذ انه يخضع لاسعار السوق ولنظام التبادل التجاري . فعلى سبيل المثال : ان «زر محبوب»(٦٨)

(٦٦) هكذا في الاصل اذ لم يذكر طاق كسرى ، او ايوان كسرى . وفي الخريطة المنشورة مع الرحلة كتب « آثار كسرى » .

(٦٧) الزكين او الزكينو نقد من الذهب اصله من البندقية من اعمال ايطالية ، انتشر في الشرق . ويرجع ان اصل اسمه من كلمة « سكة » العربية .

(٦٨) اصل هذا النقد من اسطنبول . اما التسمية بهذه الصورة فقد انتشرت اولا في مصر وتعني الذهب المحبوب . انظر : العزاوي : تاريخ النقود العراقية (بغداد ـ ١٩٥٨) ص ١٢٧ اما البندقي المذكور اعلاه فهو على الارجح « الفندقلي » والنسبة الى مدينة البندقية ايضا ، لكن يختلف عن النقد المذكور في هامش سابق اي الزكين . انظر : الكرملي : النقود العربية وعلم النميات (القاهرة ـ ١٩٣٩) كلمة « فندقلي » .

zurmachbub الاسطنبولي يزن ١٣ قيراطاً « والبندقي » fundulki يزن ١٧ قيراطاً ونصف ويزيد خمسة قروش .

اما العملة الاكثر انتشاراً في الشرق فهي « القرش » وتختلف قيمته من عشرين « بنساً » الى « شلنين » انكليزيين . ويمكن التعامل بالقرش على طول الفرات ودجلة .

القرش الواحد يساوي ٦ محمودي(٦٩)

الروبية الهندية تستعمل ايضاً وتساوي ٥ محمودي ونصف

الزكين البندقي يساوي ٢١ محمودية ونصف محمودية

اربع محموديات ونصف تساوي زولطة واحدة(٧٠)

وعلى المسافر ان يميز بين نوعين من القرش . اولهما يقال له « القرش الرائج » piastre courante والثاني اسمه «القرش الخاص» piastre en espece فعليه ان يهتم في معاملاته ان لا يكتسب الواحد عوضاً عن الآخر ، او يتعامل بالواحد ويدفع بالاخر . والقرش الخاص يسمى عند الاتراك « قرش رومي »(٧١) او العملة الجديدة ، ويقال لها بالايطالية « العملة الجيدة » ايضاً moneta buona واذكر التعبير الايطالي ، نظرا لتاثير هذه اللغة واهميتها في عالم النقود . اما القرش الرائج فيطلق عليه بالايطالية moneta corrente

القرش الرومي اغلى من القرش الرائج بنسبة ٦ الى ١٠ بالمئة . فاذا لم يذكر صراحة في المعاملة او الاتفاقية نوع القرش فاعتقد بانه سيدفع له بالقرش الرائج وهذا ماحدث لرحالين عديدين .

نموذج من الاسعار السائدة في ذاك الزمن :

- ثمن الزي التركي ١٢ لويز(٧٢)
- اجور حراس مسلحين عدد ٤٠٠٤٠ لويز
- ثمن امتعة للطريق ٤٠ لويز
- هدية للشيخ ونفقات في البصرة ٢٠ لويز
- اجور السفر من البصرة الى المليار في الهند ٦٦ لويز

انتهى

القسم الخاص بالعراق من رحلة تايلر

---

(٦٩) وهو نقد صغير من الفضة ويختلف عن « المحمودية » فهي من الذهب

(٧٠) زولطة او زولته واحيانا زولاطا وازلوط نقد يرجع اصل تسميته الى الصقلبية ، انتشر في سوريا اكثر من العراق ، اختلفت قيمته مع الزمن . انظر : الكرملي : المرجع نفسه ، ص ١٧٥ ـ ١٨٠ ، العزاوي : المرجع نفسه : ص ١٤٨

(٧١) القرش الرائج يسمى المحمودي (العزاوي ، المرجع نفسه ص ١٤٧) والقرش الرومي هو القرش الشامي ويقال له ايضا « قرش عين » (العزاوي : ص ١٥١ ، الكرملي : ص ١٧٧و١٨١) .

(٧٢) اللويز نقد قديم من الذهب سمي باسم لويس الثالث عشر ملك فرنسا .

الجـــاحظ والفصاحـــــة

بقلم الدكتور

أحمد مطلوب

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

الفصاحـــة :

كانت الفصاحة من اهم ما عني به العرب منذ القديم ، لانها عنوان القدرة على الكلام والقاء الخطب وانشاد الشعر . والفصاحة هي الوضوح والبيان، قال ابن منظور : « الفصاحة : البيان . فصح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح ، وامراة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح . رجل فصيح وكلام فصيح : اي بليغ . لسان فصيح : أي طلق ..... وفصح الاعجمي فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه ، وقيل : جادت لغته حتى لايلحن . افصح كلامه افصاحا وافصح : تكلم بالفصاحة ، وكذلك الصبي يقال : افصح الصبي في منطقه افصاحا اذا فهمت مايقول في اول مايتكلم . افصح الاغتم : اذا فهمت كلامه بعد غتمته (١) . افصح عن الشيء إفصاحا : اذا بينه وكشفه . فصح الرجل وتفصح : اذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة . وقيل : تفصّح في كلامه وتفاصح : تكلف الفصاحة . يقال : ماكان فصيحا ولقد فصح فصاحة ، وهو البيّن في اللسان والبلاغة .

التفصح : استعمال الفصاحة ، وقيل : التشبه بالفصحاء ، وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم وفصيح ، فالفصيح : كل ناطق ، والاعجم : كل ما لاينطق . الفصيح في اللغة : المنطلق اللسان في القول ، الذي يعرف جيد الكلام من رديئه (٢) » .

---

(١) الغتمة : العجمة في المنطق ، والأغتم : من لايفصح في كلامه .

(٢) لسان العرب (فصح) .

ويتضح من هذا القول ان الفصاحة بيان التعبير ووضوحه وانها تخص الكلام والمتكلم ، ففصاحة الكلام ان يكون واضحا بليغا ، وفصاحة المتكلم ان يكون منطلق اللسان في القول ، عارفا جيد الكلام من رديئه . ولو مضينا نبحث عن لفظة « الفصاحة » لرايناها في كلام العرب كقول نضلة السلمي :

رأوه فازدروه وهـــو خـــرق
وينفع اهلــه الرجــل القبيــح
فلــم يخشــوا مصالتــه عليهــم
وتحت الرغوة اللبنُ الفصيــحُ(٣)

وفي القرآن الكريم كقوله تعالى حكاية عن نبيه موسى ـ عليه السلام ـ :

« و اخي هرون هو افصح مني لسانا »(٤). وفي الحديث النبوي الشريف كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « انا افصح العرب بيد اني من قريش » ، وقوله : « غفر له بعدد كل فصيح واعجم »(٥) . ولا يخرج ما في كتاب الله وكلام الرسول الكريم عن المعنى الذي ذكرته المعاجم لكلمة « الفصاحة » وهو الظهور والبيان وانطلاق اللسان ، وحينما دخلت هذه اللفظة الدراسات البلاغية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت صنوها ، واصبح رجال البلاغة الاوائل لايفرقون بينهما بل لم يروا بأسا في أن يستعملوا احداهما مكان الاخرى .

---

(٣) الخرق : الظريف في سماحة ونجدة . المصالة : ما قطر من الجرة او الخابية .

(٤) القصص ٣٤ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٤٥٠ .

وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ من اوائل الذين اهتموا بدراسة الفصاحة . وفي كتابيه « البيان والتبيين » و « الحيوان » وغيرهما كثير من الاشارات الى فصاحة المتكلم وفصاحة الكلام ، وهي اشارات كان لها اثر عظيم في الدراسات البلاغية وتقسيم الفصاحة الى نوعيها .

فصاحة المتكلم :

حدّد القدماء فصاحة المتكلم بان يكون منطلق اللسان في القول ، عارفا جيد الكلام من رديئه ، وان لايكون في لسانه عيب يمنعه من الطلاقة واخراج الحروف من مخارجها بصورة صحيحة . وقد عالج الجاحظ هذه المسالة في كثير من فصول كتابه « البيان والتبيين » وتعرّض لها عند كلامه على الخطابة وما ينبغي ان يتصف به الخطيب . وهدفه من ذلك أن يعطي صورة وضاءة للخطباء العرب وهو يردّ على الشعوبيين الحاقدين .

عرّف الجاحظ الفصيح والاعجم بقوله : « الفصيح : هو الانسان ، والاعجم : كل ذي صوت لايفهم ارادته الا ماكان من جنسه » .(٦) فالعربي فصيح ان أدّى الكلام اداءاً حسنا وأفهم الآخرين ، وكان نطقه للحروف سليماً واخراجه للكلمات سلساً ، وكان بعيداً عما عرف في بعض قبائل العرب من كشكشة وغمغمة . وقد قال معاوية بن ابي سفيان يوما : « مَن أفصح الناس ؟ فقال قائل : قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات ، وتيامنوا عن عنعنة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، وليست لهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير . قال من هم ؟ قال : قريش » .(٧) فقريش من افصح قبائل العرب ، وهي التي نزل عليها كتاب الله أول مانزل فأصبح بيانه والفاظه المثل الاعلى لكل فصيح بليغ ، واصبح أهل الامصار يفخرون بلغتهم التي تقرب من لغة القرآن ولا تخرج على ماجاء فيه من عذب الالفاظ . فقد قال اهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر : « ليست لكم معاشر اهل البصرة لغة فصيحة ، انما الفصاحة لنا اهل مكة . فقال ابن المناذر : اما الفاظنا فأحكى الالفاظ للقرآن واكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم »(٨) .

لقد ذهب الجاحظ الى ان الفصيح من عبّر عن نفسه بوضوح وأبان عن قصده بجلاء ، وينطبق ذلك على أية لغة مادام المتكلم ينطق حروفها نطقاً سليما ، ويتكلم بها بطلاقة ووضوح . ان الانسان فصيح « وان عبرّ عن نفسه بالفارسية او بالهندية أو بالرومية وليس العربي اسوأ فهما لطمطمة الرومي من الرومي لبيان لسان العربي ؛ فكل انسان من هذا الوجه يقال له فصيح » (٩) . وهذا ادراك واسع لحقيقة الفصاحة التي لاتخص لغة من اللغات او أمة من الامم بل هي مقسومة عليهم ؛ والفصيح فيهم من عبرّ عن نفسه بلسان سليم .

وقد تجتمع فصاحة لغتين او اكثر في واحد ، وممن ذكرهم الجاحظ وكان من اعاجيب الدنيا موسى بن سيار الاسواري الذي « كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدرى بأي لسان هو ابين . واللغتان اذا التقتا في اللسان الواحد ادخل كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها(١٠) ، الا ماذكرنا من لسان موسى بن سيار الأسواري » (١١) .

لقد اولى الجاحظ الفصاحة عناية كبيرة لأهميتها في المناظرة والخطابة وانشاد الشعر ، وقال : « كلما كان اللسان ابين كان احمد ، كما انه كلما كان القلب اشد استبانة كان احمد (١٢) » . وذكر سؤال موسى ـ عليه السلام ـ لربه أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وأن يكون أخوه هرون ردءاً يصدقه ؛ لانه افصح لسانا . ولم يكن ذلك الا « رغبة منه في غاية الافصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الاعناق اليه اميل ، والعقول عنه افهم ؛ والنفوس اليه اسرع ، وان كان قد يأتي من وراء الحاجة ويبلغ افهامهم على بعض المشقة (١٣) » . ففصاحة المتكلم مهمة في التعبير واضفاء الروعة على المعاني واكسابها القوة في التأثير . وكان العرب يأنسون بالحديث الجميل والكلام العذب ويعدونه جانبا من القرى ، وقد قالوا : « من تمام الضيافة الطلاقة عند اول وهلة ؛ واطالة الحديث عند المواكلة(١٤) » ، وقال عروة بن الورد :

(٦) الحيوان ج ١ ص ٣٢ .
(٧) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢١٢ .
(٨) البيان ج ١ ص ١٨ـ١٩ .

(٩) الحيوان ج ١ ص ٣٢ .
(١٠) عالج الجاحظ هذه المسالة في الحيوان ج ١ ص ٧٦ .
(١١) البيان ج ١ ص ٣٦٨ .
(١٢) البيان ج ١ ص ١١ .
(١٣) البيان ج ١ ص ٧ .
(١٤) البيان ج ١ ص ١٠ .

سلي الجائع الغرثان يا ام منذر
اذا ما اتاني بين ناري ومجزري
هل ابسط وجهي انه أول القرى
وابذل معروفي لـه دون منكري

وكان اعطاء الحروف حقها من الفصاحة اول مايسعى اليه الفصحاء ؛ ولذلك كانوا يتمرنون على النطق السليم والالقاء الحسن ليكونوا اشد تأثيراً حينما يتحدثون او يخطبون او يجادلون . وكانوا يتحاشون الحروف التي لايحسنون نطقها؛ ويبتعدون عن الالفاظ التي لاينطلق بها اللسان . وكان واصل ابن عطاء المعتزلي من احرص الناس على ان يكون كلامه فصيحاً ، لانه كان داعية مقالة « ورئيس نحلة » ولما علم أنه الثغ فاحش اللثغ وان مخرج ذلك منه شنيع ؛ رام اسقاط (الراء) من كلامه واخراجها من حروف منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه حتى انتظم له ماحاول . ومن طريف ما رواه الجاحظ عنه ان بشاراً حينما هجاه بقوله :

مالي اشايع غزالا لـه عنق
كنقنق الدو ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم
اتكفرون رجالا اكفروا رجلا(١٥)

قال : « اما لهذا الاعمى الملحد المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله ، ثم كان لايتولى ذلك منه الا عقيلي او سدوسي »(١٦) .

لقد تجنب واصل الراء في كلامه وهو كثير الدوران في اللغة العربية ، فهو حين لم يستطع ان يقول : بشار وابن برد والمرعث جعل المكنى بأبي معاذ بدلا من بشار ، والمشنف بدلا من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر . وقال : « لولا ان الغيلة سجية من الغالية » ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية (١٧) لمكان الراء . وقال : «على مضجعه» ولم يقل : على فراشه .

وكان اذا اراد ان يقول « البر » قال : القمح او الحنطة ، والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية ، هذا وهو يعلم ان لغة من قال « بر » افصح من لغة من قال : قمح أو حنطة . ولقدرته على اجتناب الراء قال الشاعر :

ويجعل البر قمحاً في تصرفه
وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله
فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

وقال قطرب النحوي فيما نقله الجاحظ عنه : « سألت عثمان البري : كيف كان واصل يصنع في العدد ، وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين واربعين ؟ وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاخرة ورجب ؟ فقال : مالي فيه قول الا ما قال صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله
جم خواطره جوّاب آفاق(١٨)

وقد ذكر الجاحظ ذلك ليؤكد اهمية الفصاحة واثرها في الحديث ، ولكي يجلوها خاص في مسائل كثيرة كالاصوات والاسنان واللسان وعيوبه والعي والحصر واللحن واقتران الحروف وتنافر الالفاظ وغرابتها وجمالها وتنوعها وتطورها . ولكنه على طريقته في البحث والتأليف نثر هذه المسائل في كتبه نثراً ؛ ولكن جمع الاشباه والنظائر وضمها يعطي صورة عن جهود الجاحظ في الفصاحة .

الأصوات :

الاصوات ظاهرة طبيعية تنشأ عن اهتزاز الاجسام ؛ والصوت الانساني ينشأ من ذبذبات مصدرها الحنجرة التي تضم الوترين الصوتيين ، واهتزازات هذين الوترين تنطلق من الفم او الانف وتنتقل خلال الهواء الخارجي . وأعضاء النطق هي القصبة الهوائية والحنجرة والحلق واللسان والحنك الاعلى والفراغ الأعلى والشفتان ، ولكل عضو وظيفة خاصة في اخراج الصوت وتحديد مخارج الحروف .

وقد تحدث الجاحظ عن الصوت، وهو «آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التاليف . ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاماً موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت ، ولاتكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتأليف (١٩) .

وللصوت تاثير عجيب في النفوس « فمن ذلك ان منه مايقتل كصوت الصاعقة ؛ ومنها مايسر

---

(١٥) النقنق : ذكر النعام ، الدو : الفلاة . ويشير بشار في البيت الثاني الى طول عنق واصل .
(١٦) البيان ج ١ ص ١٦ .
(١٧) المنصورية والمغيرية : من الفرق الغالية .

(١٨) البيان ج ١ ص ٢٢ .
(١٩) البيان ج ١ ص ٧٩ .

النفوس حتى يفرط عليها السرور فتتعلق حتى ترقص وحتى ربما رمى الرجل بنفسه من حالق ؛ وذلك مثل هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك مايكمد ، ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه كنحو هذه الاصوات الشجية والقراءات الملحنة . وليس يعتريهم ذلك من قبل المعاني ؛ لانهم في كثير من ذلك لايفهمون كلامهم ، وقد بكى ماسر جويه(٢٠) من قراءة ابي الخوخ فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال : انما ابكاني الشجا . وبالاصوات ينوّمون الصبيان والاطفال (٢١) » .

وللدربة اثر في اخراج الحروف وان كان الأعجمي غير قادر على نطق جميع الحروف العربية الا بعد النصب . ويظهر ذلك منه من غير تأمل طويل او ملاحظة دقيقة فقد « يتكلم المغلاق (٢٢) الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متميزاً فاخراً ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه انه نبطي . وكذلك اذا تكلم الخراساني على هذه الصفة ، فانك تعلم مع اعرابه وتخير الفاظه في مخرج كلامه انه خراساني ؛ وكذلك ان كان من كتاب الاهواز (*) .

ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكي الفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لايغادر من ذلك شيئاً ، وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والاحباش وغير ذلك .

نعم حتى تجده كانه اطبع منهم ، فاذا ماحكى كلام الفأفاء فكأنما قد جمعت كل طرفة في كل فأفاء في الارض في لسان واحد ، وتجده يحكي الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه واعضائه لاتكاد تجد من الف اعمى واحداً يجمع ذلك كله فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في اعمى واحد (٢٣) » .

وكان بعضهم يقلد اصوات الحيوانات ويربي عليها في التقليد ، ومن طريف ماذكره الجاحظ ان ابا دبوبة الزنجي مولى آل زياد كان « يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ولا متعب بهير الا نهق . وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان ابو دبوبة يحركه . وقد كان جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد ، وكذلك كان في نباح الكلاب (٢٤) » .

وقد يصعب تغيير النطق اذا تمكن في الالسنة وانتبه الى ذلك الجاحظ فقال : « الا ترى ان السندي اذا جلب كبيراً فانه لايستطيع الا ان يجعل الجيم زايا ولو اقام في علياتميم وفي سفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاما . وكذلك النبطي القح وهو خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لان النبطي القح يجعل الزاي سينا فاذا اراد ان يقول : «زورق» قال : سورق ؛ ويجعل العين همزة فاذا اراد ان يقول « مشمعل » قال : « مشمئل » .

والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن انها رومية وأهلها يزعمون انها مولدة بان تقول : «ناعمة» وتقول « شمس » ثلاث مرات متواليات (٢٥) » .

وربط الجاحظ بين كثرة مخارج الحروف وكثرة ما يحتاج اليه الانسان أو الحيوان من اصوات تعبر عن حاجاته ؛ قال : « وتزعم الهند ان سبب ماله كثر كلام الناس واختلفت صور الفاظهم ومخارج كلامهم ومقادير اصواتهم في اللين والشدة ، وفي المد والقطع ، كثرة حاجاتهم ؛ ولكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف الفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم (٢٦) » . ولذلك كانت أصوات الحيوانات وصورها قليلة ، فالسنانير لاتعدو حوائجها خمسة اوجه ؛ : « منها صياحها اذا ضربت ولذلك صورة ؛ وصياحها اذا دعت اخواتها والافها ولذلك صورة ، وصياحها اذا دعت أولادها للطعم ولذلك صورة ، وصياحها اذا جاعت ولذلك صورة ، فلما قلّت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلّت وجوه مخارج الاصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها (٢٧) » .

وربط بين صعوبة اللغة واصواتها وقال : « واللغات انما تسند وتعسر على المتكلم بها على قدر جهله بأماكنها التي وضعت فيها ، وعلى قدر كثرة العدد وقلته ، وعلى قدر مخارجها وخفتها وسلسها وثقلها وتعقدها في انفسها ، كفرق مابين الزنجي

---

(٢٠) ما سرجويه : يهودي من اطباء البصرة ، وأحد المترجمين من السريانية .

(٢١) الحيوان ج ٤ ص ١٩٢ .

(٢٢) يقال استغلق عليه الكلام : اذا ارتج عليه فلم يجد وجهاً للتكلم .

(*) كذا في الاصل والصحيح : الأحواز ـ بالحاء ـ لانها عربية . ومثل ذلك الاحوازي لا الاهوازي .

(٢٣) البيان ج ١ ص ٦٩ .

(٢٤) البيان ج ١ ص ٦٩ــ٧٠ .

(٢٥) البيان ج ١ ص ٧٠ــ٧١ .

(٢٦) الحيوان ج ٤ ص ٢١ــ٢٢ .

(٢٧) الحيوان ج ٤ ص ٢٢ . ونلاحظ ان الجاحظ سها عن ذكر الصورة الخامسة .

والخوزي فان الرجل يتنخس في بيع الزنج وابتياعهم شهراً واحداً فيتكلم بعامة كلامهم ، ويبايع الخوز ويجاورهم زمانا فلا يتعلق منهم بطائل (٢٨) » .

وتكلم الجاحظ على بعض اعضاء النطق كالاسنان واللسان وذكر بعض ما يتصل بها وتأثيرها في اخراج الحروف .

الاسنان :

وهي احد اقسام الحنك في اعضاء النطق او الجهاز الصوتي ، ولها اثر في اخراج الحروف وقد قال سهل بن هارون : « لو عرف الزنجي فرط حاجته الى ثناياه(٢٩) في اقامة الحروف وتكميل آلة البيان لما نزع ثناياه (٣٠) » . وكان عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قد قال من قبل في سهيل بن عمرو الخطيب : « يارسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا ابدا (٣١) » ولذلك لم يتكلم معاوية بن ابي سفيان على منبر جماعة منذ سقطت ثناياه .

وليس شيء من الحروف ادخل في باب النقص والعجز من فم الاهتم (٣٢) من الفاء والسين اذا كانا في وسط الكلمة . ولا تخرج الضاد الا من الشدق الايمن الا ان يكون المتكلم اعسر يسراً مثل عمر بن الخطاب ــ رحمه الله ــ فانه كان يخرج الضاد من اي شدقيه شاء ، فاما الايمن والاعسر والاضبط(٣٣) فليس يمكنهم ذلك الا بالاستكراه الشديد(٣٤) .

وقيل ان سقوط جميع الاسنان اصلح في الابانة عن الحروف منه اذا سقط اكثرها وخالف احد شطريها الشطر الآخر . قال الجاحظ : « وقد رأينا تصديق ذلك في افواه قوم شاهدهم الناس بعد ان سقطت جميع اسنانهم ، وبعد ان بقي منها الثلث او الربع .

وممن سقطت جميع اسنانه وكان معنى كلامه مفهوما : الوليد بن هشام القحذمي ، وصاحب الاخبار ، ومنهم ابو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبي ، وكان ذا بيان ولسن . وكان عبيد الله بن ابي غسان يصرف لسانه كيف شاء ، وكان الالحاح على القيسي (٣٥) قد برد اسنانه حتى لايرى احد منها شيئاً الا ان تطلع في لحم اللثة أو في اصول منابت الاسنان . وكان سفيان بن الابرد الكلبي كثيرا مايجمع بين الحار والقار فتساقطت اسنانه جمع ، وكان في ذلك كله خطيباً بينا . وقال اهل التجربة : اذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الاسنان تشمير وقصر سمك (٣٦) ؛ ذهبت الحروف وفسد البيان .

واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه ، ولم يمر في هواء واسع المجال ، وكان لسانه يملا جوبة فمه واذا كان كذلك ، لم يضره سقوط أسنانه الا بالمقدار المغتفر والجزء المحتمل (٣٧) » .

اللسان :

اللسان عضو مهم في عملية النطق لمرونته وكثرة حركته في الفم عند الكلام . وقد تحدث الجاحظ عنه وذكر صلته الوثيقة بالنطق وذكر ان من سقط جميع اسنانه كان عظم اللسان نافعاً له ، ونقل عن ارسطو « ان كل طائر عريض اللسان فالافصاح بحروف الكلام منه اوجد » . (٣٨) وقال : « ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم في كتاب الحيوان ان الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها اعرض كان افصح وابين ، واحكى لما يلقن ولما يسمع كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما اشبه ذلك »(٣٩) .

ويحتاج اللسان الى التدريب فاذا « ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه . وكانوا يروون صبيانهم الارجاز ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الاعراب ، لان ذلك يفتق اللهاة ويفتح الجرم(٤٠) . واللسان اذا اكثرت تقليبه رق ولان ، واذا اقللت تقليبه واطلت اسكانه جسأ وغلظ (٤١) » .

وكانوا يمتدحون رحابة الشدقين وقد قيل لاعرابي : ما الجمال ؟ قال : « غؤور العينين ، واشراف الحاجبين ، ورحب الشدقين (٤٢) » .

---

(٢٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٩ .
(٢٩) الثنايا : اسنان مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنتان من اسفل .
(٣٠) البيان ج ١ ص ٥٨ .
(٣١) البيان ج ١ ص ٥٨ .
(٣٢) الاهتم : هو الذي انكسرت ثناياه من أصولها .
(٣٣) الاضبط : الاعسر اليسر الذي يعمل بكلتا يديه .
(٣٤) ينظر البيان ج ١ ص ٦٢ .

(٣٥) القيسي : المشمش الجاف .
(٣٦) التشمير : التقليص . السمك بالفتح وسكون الميم : الارتفاع .
(٣٧) البيان ج ١ ص ٦١–٦٢ .
(٣٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٨ .
(٣٩) البيان ج ١ ص ٦٢ .
(٤٠) الجرم بالكسر : الحلق .
(٤١) البيان ج ١ ص ٢٧٢ .
(٤٢) الحيوان ج ٢ ص ١٧٥ .

وكانوا يذمون المتشدق الذي يلوي شدقه للتفصح ، ولكن الجاحظ راى ان «صاحب التشديق والتقعير والتقعيب(٤٣) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد اعذر من عيي يتكلف الخطابة ، ومن حصير يتعرض لاهل الاعتياد والدربة ، ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رايت بلاغة يخالطها التكلف وبياناً يمازجه التزيد . الا ان تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام اقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الاعرابي القح . وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والالفاظ وفي التحبير والارتجال انه البحر الذي لاينزح والغمر الذي لايسبر أيسر من انتحال الحصر المنخوب ، انه في مسلاخ (٤٤) التام الموفر والجامع المحكك ، وان كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد قال : « اياي والتشادق » وقال : « ابغضكم الي الثرثارون المتفيهقون » ؛ وقال : « من بدا جفا » . وعاب الفدّادين (٤٥) والمتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة الاشداق ورحب الغلاصم وهدل الشفاه ، واعلمنا أن ذلك في اهل الوبر اكثر وفي اهل المدر اقل (٤٦) » .

ومن الخطباء من كان أشغى افلح (٤٧) كزيد بن جندب الذي قال الجاحظ عنه : « ولولا ذلك لكان اخطب العرب قاطبة »(٤٨) . ومنهم من كان اروق ومن كان اضجم ومن كان افقم(٤٩) .

عيوب اللسان :

لابد للفصيح من ان يكون سليم النطق اي : ان يكون لسانه خالياً من العيوب التي تعوقه عن اخراج الحروف بصورتها الصحيحة . وقد تكلم الجاحظ على بعض تلك العيوب ومنها :

اللثغة : وهي التي تعتري الصبيان الى ان ينشأوا ، وهي خلاف مايعتري الشيخ الهرم المسترخي الحنك ، وخلاف مايعتري اصحاب اللكن من العجم ومن ينشأ من العرب مع العجم (٥٠) .

والحروف التي تدخلها اللثغة اربعة هي : القاف والسين واللام والراء ، قال الجاحظ : « فاما التي على الشين المعجمة فذلك شيء من المخارج ،والمخارج لاتحصى ولا يوقف عليها . وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، وليس ذلك في شيء اكثر منه في لغة الخوز . وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم يشبه الصفير . فمن يستطيع ان يصوّر كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسي اذا ترك الافصاح عن معانيه واخذ في باب الكناية وهو على الطعام .

فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء كقولهم لابي يكسوم : « أبي يكثوم » وكما يقولون « بثرة » اذا ارادوا (بسرة) ، و « بثم الله » اذا ارادوا (باسم الله) .

واللثغة الثانية التي تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاءً فاذا اراد ان يقول : « قلت له » قال : طلت له ، واذا اراد ان يقول : « قال لي » قال : طال لي .

واما اللثغة التي تقع في اللام فان من اهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : « اعتللت » : اعتييت ، وبدل «جمل» : جمي . واخرون يجعلون اللام كافاً كالذي عرض لعمر أخي هلال فانه كان اذا اراد ان يقول : « ما العلة في هذا ؟ » قال مكمكة في هذا .

واما اللثغة التي تقع في الراء فان عددهايضعف على عدد لثغة اللام ، لان الذي يعرض لها اربعة احرف : فمنهم من اذا اراد ان يقول : « عمرو » قال : عمغ ، فيجعل الراء غيناً . ومنهم من اذا اراد ان يقول : « عمرو » قال : عمذ ، فيجعل الراء ذالا . واذا انشد قول الشاعر :

واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

قال :

واستبدت مذة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

فمن هؤلاء علي بن الجنيد بن فريدي .

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة فاذا اراد ان يقول :

واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

---

(٤٣) التقعير : ان يتكلم باقصى قعر فمه ، والتقعيب في الكلام كالتقعير فيه .
(٤٤) النخوب : الجبان . المسلاخ : الجلد .
(٤٥) الفداد : الجافي الصوت والكلام .
(٤٦) البيان ج ١ ص ١٣ .
(٤٧) الشغا : اختلاف نبتة الاسنان . الفلح : شق في الشفة العليا .
(٤٨) البيان ج ١ ص ٥٥ .
(٤٩) الروق : ركوب السن الشفة . الضجم : اعوجاج في الفم ، والفقم مثله .
(٥٠) البيان ج ١ ص ٧١ .

يقـول :

واستبـدت مظـة واحـدة
انمـا العاجـز مـن لا يستبـد

ومنهم من يجعل الراء غيناً معجمة فاذا اراد ان ينشد هذا البيت قال :

واستبـدت منة واحـدة
انما العاجـز مـن لا يستبـد

كما ان الذي لثغته بالياء اذا اراد أن يقول : « واستبدت مرة واحدة » يقول : « واستبدت مية واحدة » .

واما اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل ابن عطاء ولسليمان بن يزيد العدوي الشاعر فليس الى تصويرها سبيل ، وكذلك اللثغة التي تعرض في السين كنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب ام جعفر ، فان تلك ايضا ليست لها صورة في الخط ترى بالعين ، وانما يصورهـا اللسـان وتتأدى بالسمع (٥١) » . ولكنهم قالوا ان اللثغة التي تكون بالغين اقلها قبحا ، واوجدها في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم (٥٢) » .

وقد تجتمع في اللسـان لثغتان في حرفين كان يجعل اللام ياء والراء ياء كلثغة شوش صاحب عبدالله ابن خالد الاموي فانه قال مرة : « موياي ويي ايي » يريد : مولاي ولي الري (٥٣) .

واللثغة التي في الراء اذا كانت بالياء احقرهن واوضعهن ثم التي على الظاء ، ثم التي على الذال ؛ فأما التي على الغين فهي أيسر ، وان صاحبها لو جهد نفسه واحدّ لسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والافصاح بها لم يك بعيداً من أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسنا . وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين وكان اذا شـاء أن يقول : « عمرو » و « لعمري » وما أشبه ذلك على الصحة قال ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ . وقد قال الجاحظ له : « اذا لم يكن المانع الا هـذا العذر فلست اشك انك لـو احتملت هـذا التكلف والتتبع شهراً واحداً ان لسانك كان يستقيم (٥٤) » .

وكانوا يقولون ان احسن اللثغ ماكان علـى السين وهو أن تصير ثاء ، وكانوا يقولون ايضا : احسنها على الراء وهو ان تصير غينا (٥٥) . وكانوا « يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولـة ، فـاذا أسنـت واكتهلـت تغيّر ذلـك الاستملاح (٥٦) » . وكانوا يخافون من الوراثة في اللثغ ، ولذلك يقال ان ابا رمادة طلق امرأته حـين وجدها لثغاء خشـية أن تجيئه بولد الثغ وقال :

لثغـاء تأتـي بحيَفْس الثـغ
تميس في الموْشيّ والمصبّغ (٥٧)

ومن عيوب اللسان الاخرى التتعتـع وهـو التردد في الكلام ، فاذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام ، واذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء ، وقد قيل في مدح الطلق اللسـان :

ليـس بفـأفـاء ولا تمتـام
ولا كثيـر الهجـر في الكـلام

وقيل : ان التمتام غير المعرب عن معناه ولا المفصح بحاجته (٥٨) .

واذا ادخل الرجل بعض كلامه في بعض فهـو الثت ، وقيل : بلسانه لفف . قال الشاعر :

كـأنَّ فيـه لففـاً اذا نطـق
مـن طول تحبيس وهـمّ وارَق

قال الجاحظ : « كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف في لسانه . وكان يزيد بن جابر قاضي الازارقة بعد المقعطل يقال له : « الصموت » ، لانه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوي ولايكاد يبين . واخبرنـي محمد بن الجهم ان مثل ذلك اعتراه ايام محاربـة الزط من طول التفكر ولزوم الصمت (٥٩) » .

وقد يكون في كلام بعضهم عجلة فلا يستطيع السامع ان يفهم منـه الا بعـد النصـب والانتباه الشديدين .

ومن العيوب الحبسة وهي أن يثقل الكلام في اللسان ولكنـه لايبلغ حد الفأفاء والتمتام .

والعقلة : وهي ان يحبس اللسان عن الكلام .

---

(٥١) البيان ج ١ ص ٣٤-٣٦ .
(٥٢) البيان ج ١ ص ١٥ ، ٣٧ .
(٥٣) البيان ج ١ ص ٣٦ .
(٥٤) البيان ج ١ ص ٣٦ ، ٣٧ .
(٥٥) البيان ج ٢ ص ٢٣٢
(٥٦) البيان ج ١ ص ١٤٦ .
(٥٧) البيان ج ١ ص ٥٧ . الحيفس : الولد القصير الصغير ، وهو على وزن : هزبر .
(٥٨) البيان ج ١ ص ٢٧-٢٨ .
(٥٩) البيان ج ١ ص ٣٨ .

واللكنة وهي العجمة في اللسان أو أن تعترض في الكلام اللغة الاجنبية ، قال الجاحظ : « ويقال في لسانه لكنة اذا ادخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الأول . (٦٠) وقد يكون المتكلم غير قادر على نطق بعض الحروف ، ومن ذلك زياد الاعجم الذي كان فصيح الشعر غير انه لاينطق الطاء فاذا نطق « السلطان » قال : الشلتان . ومنهم سحيم عبد بني الحسحاس الذي كان يقلب الشين سينا فاذا نطق : « ما شعرت » قال : ما سعرت . ومنهم ام ولد لجرير بن الخطفى الشاعر التي كانت تقلب الذال دالا في كلمة « الجرذان » . ومنهم عبيد الله بن زياد الذي نشأ في الأساورة عند شيرويه الأسواري زوج أمه مرجانة فانه كان يقلب الحاء هاء فيقول في « أحروري ؟ » : اهروري ؟ وكان صهيب بن سنان ينطق العربية بلكنة رومية فيقول في « حائن » : هائن . ومنهم أبو مسلم الخراساني الذي كان يقلب القاف كافاً فيقول في « قلت » : كلت .

وذكر الجاحظ موضعا آخر من اللكنة ولكنه يتصل بصيغة الفعل او بناء الكلمة لا بنطق الحروف ، قال : « وباب آخر من اللكنة قيل لنبطي : لم ابتعت هذا الأتان ؟ قال : «اركبها وتلِدْ لي». فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال : «وتلِدْ لي»ولم يقل : « تلِدُ لي » (٦١) ».

ومن العيوب الحكلة وهي نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لاتعرف معانيه الا بالاستدلال(٦٢) . وقال الجاحظ عنها ايضا وهو يتحدث عن الحبسة : « يقال في لسانه حبسة اذا كان في لسانه ثقل يمنعه من البيان ، فاذا كان الثقل الذي في لسانه من قبل العجمة قيل في لسانه حكلة . والحكل من الحيوان كله مالم يكن له صوت يستبان باختلاف مخارجه عند حرجه وضجره وطلبه مايغذو او عند هياجه اذا اراد السفاد أو عند وعيد لقتال وغير ذلك من أمره (٦٣) » .

العيّ :

وكانوا يذمون العيّ وهو العجز عن الامر واحكامه أو عن الحجة ، وقد بدأ الجاحظ كتابه « البيان والتبيين » بقوله : « اللهم نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ، ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العي والحصر وقديما ما تعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا الى الله في السلامة منهما(٦٤) » . وقالوا : « البيان بصر والعي عمى ، كما أن العلم بصر والجهل عمى . والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل (٦٥) » . وقال النمر بن تولب :

اعذني ربِّ من حصرٍ وعيٍّ
ومن نفسٍ أعالجها علاجا

وقال آخر :

وما بي من عيٍّ ولا انطق الخنا
اذا جمع الأقوام في الخطب محفل

وكانوا يقولون : « عي ابأس من شلل » كأن العي فوق كل زمانة (٦٦) .

وفي الباب الذي عقده الجاحظ للعي(٦٧) امثلة كثيرة تدل على استهجان القدماء له ونفورهم منه .

الحصر :

وكانوا يذمون الحصر ، وهو « ضرب من العي . حصر الرجل حصراً مثل تعب تعبا فهو حَصِر عَييٌّ في منطقه . وقيل : حصر لم يقدر على الكلام(٦٨) » .

وقد قال الجاحظ : « والناس لا يعيرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ويؤنبون العيي فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب . ومماتنة العييّ الحصِر للبليغ المصقع في سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق واحدهما الوم من صاحبه ، والالسنة اليه أسرع . وليس اللجلاج والتمتام والالثغ والفأفاء وذو الحبسة والحكلة والرتّة (٦٩) وذو اللفف والعجلة في سبيل الحصر في خطبته والعيي في مناضلة

(٦٠) البيان ج ١ ص ٣٩ .
(٦١) ينظر البيان ج ١ ص ٧١ وما بعدها ، ج ٢ ص ٢١٣ ، والحيوان ج ٣ ص ٢٩٢ .
(٦٢) البيان ج ١ ص ٠) .
(٦٣) الحيوان ج ٤ ص ٢١ .

(٦٤) البيان ج ١ ص ٣ .
(٦٥) البيان ج ١ ص ٧٧ .
(٦٦) البيان ج ١ ص ٢١٥ .
(٦٧) ينظر البيان ج ٢ ص ٢٢٤ وما بعدها .
(٦٨) لسان العرب (حصر) .
(٦٩) الرتة : عجلة في الكلام وقلة اناة ، وقيل : هي العجمة في الكلام والحكلة .

خصومه كما ان سبيل المفحم عند الشعراء والبكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار(٧٠) » .

اللحـــن :

وكانوا يستقبحون اللحن ، لانه من عيـوب الكلام ، وقالوا : « اللحن في المنطق اقبـح مـن آثار الجدري في الوجه(٧١) » . وكان اول لحن سمـع بالبادية : « هذه عصاتي » ، واول لحـن سمـع في العراق : « حَيِّ على الفلاح » (٧٢) .

واقبح اللحن لحن اصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم ، واقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الاسواق . وقد راى الجاحـظ ان تذكر النوادر والطرف كما قيلت ولا يصلح مافيها من لحن ، قال : « ومتى سمعت ـ حفظك الله ـ بنادرة من كلام الاعراب فاياك أن تحكيها الا مع اعرابها ومخارج الفاظها ، فانك ان غيَّرتها بان تلحـن في اعرابها واخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديـين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك ان تستعمل فيها الاعراب او تتخير لها لفظاً حسنا او تجعل لها من فيـك مخرجا سريا . فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي اريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها (٧٣) » . وقال : « ان الاعراب يفسد نوادر المولدين كما ان اللحن يفسد كـلام الاعراب (٧٤) » . وقال عن كتابه « البخلاء » : « وان وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معـرب ولفظاً معدولا عن جهته فاعلموا انا انما تركنا ذلك لان الاعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حَدّه الا ان احكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء واشحـاء العلماء كسهل بن هارون واشباهه (٧٥) » . وقال عن الجواري : « واللحن من الجواري الظراف ومـن الكواعب النواهد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر ايسر . وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ، ولكن اذا كان

(٧٠) البيان ج ١ ص ١٢ .
(٧١) البيان ج ٢ ص ٢١٦ .
(٧٢) البيان ج ١ ص ٢١٩ .
(٧٣) البيان ج ١ ص ١٤٥ـ١٤٦ .
(٧٤) الحيوان ج ١ ص ٢٨٢ .
(٧٥) البخلاء ص ٤٠ .

اللحن على سجية سكان البلـد (٧٦) » . وفي باب اللحن(٧٧) كثير من الاخبار والطرائف وهي تدل على استهجان القدماء لهذا العيب الـذي يقـع فيـه المتحدثون والخطباء . وفي باب اللحانين البلغاء(٧٨) اسماء بعض الذين كانوا يقعون في هذا العيب على الرغم مما عرفوا به من بلاغة واقتدار على الكلام .

تلك هي المسائل التي تحدث عنها الجاحظ في باب فصاحة المتكلم ، وتلك هي العيوب التي عرض لها . وقد يكون بعضها طبيعيا لابد للمتكلم فيها وقد يكون بعضها بسبب نقص التمرين والعناية بالكلام ، ولذلك كان العرب يرسلون أولادهم الى البادية أو يتخذون لهم مؤدبين يدربونهم على الفصاحة والنطق السليم ويعلمونهم البيان وفن القول ، لان التمرين سبيل الى اتقان الكلام وسلامة النطق وفصاحـة اللسان ، وقد قال الجاحظ : « ويد الانسان لاتكون ابداً الا خرقاء ولا تصير صناعا مالم تكن المعرفـة ثقافا لها ؛ واللسان لايكون أبدا ذاهبا في طريـق البيان متصرفا في الالفاظ الا بعد ان تكون المعرفـة متخللة به منقلة له واضعة له في مواضع حقوقه وعلى أماكن حظوظه ، وهو علة له في الاماكن العميقة ومصرّفة له في المواضع المختلفة (٧٩) » .

فالفصاحة من صفات المتكلم ، وقد كانـت مهمة في القديم حينما كان العربي يعتمد على فصاحته في القاء الخطب وانشاد الشعر ومقارعة الخصوم ، والجاحظ حين بحث هذه المسألة كانت امامه الخطابة والمناظرات التي كانت تقوم بين المتكلمين وخصومهم او بينهم وبين الطاعنين في كتاب الله العزيز ، وقد كانت جهارة الصوت وسلامة اللسان من العيـوب ذات اهمية كبيرة لانهـا تؤثـر تاثيـراً عظيمـاً في المستمعين .

ولم يقف الامر عند هذه المسائـل بـل كان الخطيب يعتمد على هيئته وزيه واشاراته وتمثيله للمعاني بنبرات صوته ومقاطع كلامه ، وقد قال أبو دواد بن حريز وقد جرى شيء من ذكـر الخطب : « تلخيص المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق من غير اهل البادية بغض ، والنظر في عيون الناس عي ، ومس اللحية هلك » . وقال : « راس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها

(٧٦) البيان ج ١ ص ١٤٦ .
(٧٧) البيان ج ٢ ص ٢١٠ ومابعدها .
(٧٨) البيان ج ٢ ص ٢٢٠ ومابعدها .
(٧٩) الحيوان ج ١ ص ١١٦ .

رواية الكلام، وحلية الاعراب وبهاؤها تخير الالفاظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه (٨٠) » .

وقال الجاحظ : « ان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة ، والى ترتيب ورياضة ، والى تمام الآلة واحكام الصنعة ، والى سهولة المخرج وجهارة النطق وتكميل الحروف واقامة الوزن ؛ وان حاجة المنطق الى الحلاوة والطلاوة كحاجته الى الجزالة والفخامة . وان ذلك من اكثر ما تستمال بـه القلوب وتثنى به الاعناق وتزين به المعاني (٨١) » .

فصاحة الكلام :

اما فصاحة الكلام فهي « خلوصه من ضعف التاليف ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد (٨٢) » ، وقد تحدث الجاحظ عن ذلك حديث العارف المطلـع والاديب المقتدر ، وكان لنزعته الادبية وثقافتـه الواسعة اكبر الاثر في معالجة هذا الموضوع . ولا تنحصر فصاحة الكلام في مسالة واحدة وانما تشمل كثيراً من المسائل المتصلة بالحروف والألفاظ والكلام ، وقد اولى الجاحظ هذه المسائل عنايـة كبيرة وتحدث عنها حديث الخبير .

الحـــروف :

تحدث الجاحظ عن الحروف وذكر ما يشيع منها في بعض اللغات ، قال : « ولكل لغة حروف تدور في اكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين . وقال الاصمعي : ليس للروم ضاد ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسرياني ذال (٨٣) » . وقال ان اكثر الحروف دوراناً في اللغة العربية الراء والياء واللام والالف ؛ ولذلك كانوا يتعجبون من واصـل ابن عطاء لتجنبه الراء في كلامه . وانشد ابو محمد اليزيدي :

وخلة اللفظ في الياءات ان ذكرت
كخلـة اللفظ في اللامات والألف
وخَصلة الراء فيها غير خافية
فاعرف مواقعها في القول والصحف

قال الجاحظ : « يزعم ان هذه الحروف اكثر تردداً من غيرها والحاجة اليها اشد ، واعتبر ذلك بأن تاخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف الحاجة اليها اشد (٨٤) » . وذكر ان الميم والباء أول مايتهيأ في افواه الاطفال كقولهم : « ماما » و « بابا » لانهما خارجان من عمل اللسان وانما يظهران بالتقاء الشفتين (٨٥) .

وتحدث عن اقتران الحروف . وهو مايتصل بفصاحة اللفظة المفردة وقال : « فاما في اقتـران الحروف فان الجيم لاتقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتاخير . والزاي لاتقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كبير وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي اليها يجري (٨٦) » . وهذه التفاتة ذكية ، لان للغة العربية ذوقا خاصـا في اقتـران الحروف ، ولذلك لانجد ما اشار اليه الجاحظ الا في الالفاظ الدخيلة . وبهذه القاعدة يستطيع الباحث ان يعرف اصيل اللفظ العربي من معربه .

الألفـــاظ :

تتكون اللفظة من حروف ، وللفظة المفردة موقع في الجملة فاذا وضعت وضعا حسنا كانت جميلـة موحية واذا وقعت في غير موقها نبت وأنكرتهـا الأذواق . وقد تكلم الجاحظ على تنافر الالفاظ وقال : « ومن الفاظ العرب الفاظ تتنافر وان كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض الاستكراه ، فمن ذلك قول الشاعر :

وقبـر حـرب بمكـان قفـر
وليس قـرب قبر حـرب قبـر

ولما راى من لا علم له ان احداً لايستطيع ان ينشدها هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم ان ذلك انما اعتراه اذ كان من اشعار الجن صدقوا بذلك . ومن ذلك قول ابن يسير :

لـم يضرهـا والحمد للـه شيء
وانثنت نحو عزف نفس ذهـول

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانـك ستجد بعض الفاظه يتبرأ من بعض (٨٧) » . ولذلك

(٨٠) البيان ج ١ ص ٤٤ .
(٨١) البيان ج ١ ص ١٤ .
(٨٢) الايضاح ص ٤ .
(٨٣) البيان ج ١ ص ٦٤-٦٥ .
(٨٤) البيان ج ١ ص ٢٢ .
(٨٥) البيان ج ١ ص ٦٢ .
(٨٦) البيان ج ١ ص ٦٩ .
(٨٧) البيان ج ١ ص٦٥-٦٦ ،وينظر الحيوان ج٦ ص٢٠٧-٢٠٨ .

ينبغي أن تكون الالفاظ متماثلة متلائمة لكي لايقع بينها التنافر فتصبح كأولاد علة ، قال الجاحظ : « وانشدني أبو العاصي ، قال : انشدني خلف الاحمر في هذا المعنى :

وبعض قريض القوم اولاد علة
يكدّ لسان الناطق المتحفظ(٨٨)

وقال أبو العاصي : وانشدني في ذلك ابو البيداء :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه
لسان دعيّ في القريض دخيل

فانه يقول : اذا كان الشعر مستكرهاً ، وكانت الفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلّات . واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة . قال : واجود الشعر ما رايته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحداً ، وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان . واما قوله : « كبعر الكبش » فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام واجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ، والاخرى تراها سهلة لينة ورطبة موالية سلسة النظام خفيفة على اللسان ، حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد (٨٩) » .

ومن امثلة الكلام الذي لاتتباين الفاظه ولا تتنافر اجزاؤه قول الأجرد الثقفي :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته
ان الذليل الذي ليست له عضدُ
تنبو يداه اذا ما قلّ ناصره
ويانف الضيم أن اثرى له عدد

وقول ابي حية النميري :

رمتني وستر الله بيني وبينها
عشيّة آرام الكناس رميمُ
رميم التي قالت لجارات بيتها
ضمنت لكم الاّ يزال يهيم
الا ربّ يوم لو رمتني رميتها
ولكن عهدي بالنضال قديم

الغرابة :

رأى الجاحظ ان اللفظ كما لاينبغي ان يكون عاميا وساقطا سوقيا ، فكذلك لاينبغي أن يكون غريبا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدوياً اعرابيا ، فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي(٩٠) . فالفصاحة لا تتفق مع الغريب ، لانه يقضي عليها ويحيل الكلام الغازا ويجعله بعيداً عن الفهم والادراك ، والمغربون هم مدخولون في عقولهم اذا كانوا من غير الاعراب ، فأبو علقمة النحوي مرّ ببعض طرق البصرة وهاجت به مرّة فوثب عليه قوم فاقبلوا يعضون ابهامه ويؤذنون في اذنه فافلت منهم وقال : « مالكم تتكأكؤون عليّ كما تتكأكؤون على ذي جنّة ، افرنقعوا عني (٩١) . » وقال الجاحظ بعد أن ذكر بعض الغريب : « فان كانوا انما رووا الكلام لانه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، وان كانوا انما دوّنوه في الكتب وتذاكروه في المجلس لانه غريب ، فأبيات من شعر العجاج وشعر الطرماح واشعار هذيل تأتي لهم مع حسن الرصف على اكثر من ذلك (٩٢) » . ولذلك كانت الاستعانة بالغريب عجزاً ، وكانت دليلا على أن المتكلم او الكاتب لايعرف اهمية الالفاظ وفصاحتها وايحاءها وصلة مابينها وبين المعاني التي ينبغي ان تكون الالفاظ مطابقة لها ، او هي كما نقله الجاحظ عن صحيفة بشر بن المعتمر :

« ومن اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله ان تكون اسوأ حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما(٩٣) » .

ان جمال الالفاظ وحسنها وصلتها بالمعاني مهمة في الكلام البليغ ، والغرابة تفقدها ذلك الجمال والحسن . وقد نقل الجاحظ عن بعض الربانيين الراسخين في العلم ماتفعله الالفاظ العذبة في النفوس،

(٨٨) أولاد علة : بنو رجل واحد من امهات شتى .
(٨٩) البيان ج ١ ص ٦٦-٦٧ .

(٩٠) البيان ج ١ ص ١٤٤ .
(٩١) البيان ج ١ ص ٣٧٩ .
(٩٢) البيان ج ١ ص ٣٧٨ .
(٩٣) البيان ج ١ ص ١٣٦ .

قال : « انذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام، فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا ، واعاره البليغ مخرجا سهلا ، ومنحه المتكلم دلا متعشقا صار في قلبك احلى ولصدرك املا . والمعاني اذا كسيت الالفاظ الكريمة ، واكسبت الاوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها ، واربت على حقائق اقدارها بقدر مازينت وحسب مازخرفت . فقد صارت الالفاظ في معاني المعارض ، وصارت المعاني في معنى الجواري ، والقلب ضعيف ، وسلطان الهوى قوي ، ومدخل خدع الشيطان خفي (٩٤) » .

فاللفظ الحسن عند الجاحظ هو مالم يكن غريبا بل كان كريماً في نفسه قال : « ومتى كان اللفظ ايضا كريما في نفسه متميزاً من جنسه ، وكان سليما من الفضول وبريئا من التعقيد حبب الى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الاسماع وارتاحت له القلوب وخف على السن الرواة وشاع في الافاق ذكره وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم ورياضة للمتعلم الريض(٩٥) »، ولذلك تشيع بعض الالفاظ ويستخفها الناس ، لانها فصيحة جميلة او لانها توحي بقرينتها وما يتصل بها من الالفاظ وماتعطيه من معان . قال الجاحظ : « وقد يستخف الناس الفاظاً ويستعملونها وغيرها احق بذلك منها ، الا ترى ان الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع الا في موضع العقاب او في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ، لانك لاتجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام ، والعامة واكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع ، واذا ذكر سبع سماوات لم يقل : الأرضين . الا تراه لايجمع الارض ارضين ، ولا السمع اسماعا ، والجاري على افواه العامة(٩٦) غير ذلك ، لايتفقدون من الالفاظ ماهو احق بالذكر واولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء انه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلاّ في موضع التزويج . والعامة ربما استخفت اقل اللغتين واضعفهما ، وتستعمل ماهو اقل استعمالا وتدع ماهو اظهر واكثر (٩٧) » . ومعنى ذلك ان للالفاظ ايحاء خاصا حينما تاتي في الكلام او حينما تقرن بغيرها ولذلك تشيع كلمات وتهمل غيرها او تتجنب لما فيها من ايحاء غير جميل . ومما يتصل بهذه المسألة ماذكره الجاحظ من تنبيه الرسول ـ صلى عليه وسلم ـ الى اجتناب اضافة المؤمن الطاهر الى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه . فقد روي عنه ـ عليه السلام ـ انه قال : « لايقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي (٩٨) » . وذكر الجاحظ في باب « مايكره من الكلام (٩٩) » كثيراً من الالفاظ التي يكره استعمالها في غير مواضعها ، ومن ذلك قول القائل : « استأثر الله بفلان » والصحيح ان يقال : « مات فلان » ، ويقال في استأثر : « استأثر الله بعلم الغيب ؛ واستأثر الله بكذا وكذا » . وكانوا يكرهون ان يقال : « قراءة عبد الله » او « قراءة سالم » او « قراءة ابي » او « قراءة زيد » ، ويكرهون ان يقال : « سنة ابي بكر وعمر » بل يقال : « سنة الله ورسوله » . وكره ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قول القائل : « اسلمت في كذا وكذا » وقال : لا ليس الاسلام الا الله عزوجل » . وكره ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قول القائل : « الناس قد انصرفوا » يريد من الصلاة . قال : « بل قولوا : قد قضوا الصلاة ، وقد فرغوا من الصلاة ، وقد صلوا ، لقوله : « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » .

وهذه الامثلة التي ذكرها الجاحظ تدل على ان للالفاظ ايحاء خاصا واستعمالا تحدده اللغة واساليب التعبير ، وان لها سحراً يؤثر في النفوس كما تقدم من كلام بعض الربانيين من الادباء واهل المعرفة من البلغاء ، وكما جاء عن عمر بن الخطاب حينما حبس الأحنف بن قيس حولا تاما وقال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوفنا كل منافق عليم وخفت ان تكون منهم » وذلك لما كان راعه من حسن منطقه ، ومال اليه لما رأى من رفقه وقلة تكلفه(١٠٠) ، وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أن من البيان لسحرا » ، وقال عمر بن عبد العزيز لرجل احسن في طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن : « هذا والله السحر الحلال » .

(٩٤) البيان ج ١ ص ٢٥٤ .

(٩٥) البيان ج ٢ ص ٨ .

(٩٦) قال الجاحظ في البيان ج ١ ص ١٢٧ : « واذا سمعتموني اذكر العوام فاني لست اعني الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ولست أعني ايضا الاكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار ولست اعني من الامم مثل الببر والطيلسان ومثل موقان وجيلان ومثل الزنج واشباه الزنج .... وأما العوام من اهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وادبنا واخلاقنا ، فالطبقة التي عقولها واخلاقها فوق تلك الامم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا » .

(٩٧) البيان ج ١ ص ٢٠ .

(٩٨) الحيوان ج ١ ص ٣٣٥ .

(٩٩) ينظر الحيوان ج ١ ص ٣٣٥-٣٤٣ .

(١٠٠) البيان ج ١ ص ٢٥٤ .

ومن طريف ماتحدث عنه الجاحـظ سلطان الحظ على الالفاظ ، قال : « وكما تحظى بعض الاشعار وبعض الامثال وبعض الالفاظ دون غيرها ودون ما يجري مجراها او يكون ارفع منها (١٠١) » ولذلك تشيع الفاظ بعينها ويتداولها الادباء اكثر من غيرها ، وقد يكون وراء ذلك سبب مـن الاسباب كخفتها او دلالتها على المعاني الجديدة أو صلتهـا بالحضارة ، الى جانب ما اشار اليه الجاحظ وهو الحظ الذي يرافق الانسان .

التعقيـــد :

ومن شروط الكلام الفصيح ان يكون بعيدا عن التعقيد ؛ وقد نقل الجاحظ عن بشر بن المعتمـر قوله : « واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الـى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك (١٠٢) » . وصارت هذه العبارة قاعدة سار عليها البلاغيون في فصاحة الكلام . ولم يشـرح الجاحظ التعقيد او يذكر له امثلة كما فعل في كثير من المسائل المتصلة بالالفاظ ، وقد يرجع ذلك الى ان الشعر مايزال في صفائه وورنق اسلوبه ولم تدخل فيه التعمية التي أخذت تظهر بوضوح بعد ذلك .

الدلالـــة :

للمعاني الفاظ تدل عليها ، ولكن تلك الالفاظ لاتبقى محتفظة بمعانيها الاولى بل تنتقل الى غيرها وتكتسب صوراً جديدة لم تكن معروفة من قبل . وقد ادرك الجاحظ ذلك وعرف ان اللغة تتطـور بتطور الحياة ، وان اللغة التي يتحدث بها اهل زمان قد تختلف عما يتحدث به اهل زمان سابق او لاحق . وكان للمعاني الجديدة أثر في هذا التطور؛ فقد نقل عن الاصمعي قوله : « كان للعرب كلام على معان فاذا ابتدلت تلك المعاني لم يتكلم بذلـــك الكلام (١٠٣) ، ومن ذلك قول الناس : « ساق اليها صداقها » وانما كان هذا يقال حين كان الصداق ابلا وغنما . وقال الجاحظ تعليقاً على ذلك : « وفي قياس الاصمعي ان أصحاب التمر الذين كان التمر دياتهم ومهورهم كانوا لا يقولون : « ساق فلان صداقه » . قال : ومن ذلك قول الناس اليوم : « قد بنى فلان البارحة على اهله » وانما كان هذا القول لمـن كان يضرب على اهله في تلك الليلة قبته وخيمته وذلك هو بناؤه » .

---

(١٠١) الحيوان ج ٢ ص ١٠٢ .

(١٠٢) البيان ج ١ ص ١٣٦ .

(١٠٣) البخلاء ص ٢١٤ .

وكان لنزول القرآن الكريم اثر كبير في تطور دلالة الالفاظ : فقد تركت الفاظ كانت مستعملة في الجاهلية ومن ذلك تسميتهم للخراج « اتاوة » ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان « الحملان والمكس » . كما تركوا « انعم صباحا » و « انعـم ظلاما » وصاروا يقولون : « كيف اصبحتم ؟ » و « كيف امسيتم ؟ » . وتركوا ان يقال للملك او السيد المطاع : « ابيت اللعن » ، وترك العبد ان يقول لسيده : « ربي » كما يقال : « رب الدار » و « رب البيت » . وتركوا ان يقولوا لقوّام الملوك « السدنة » وقالوا : « الحجبة » ، وتركوا « غلامة » و « المرباع » و « النشيطة » وبقي « الصفايا » (١٠٤) .

واستحدثت اسماء لم تكن ، وقد اشتقت من اسماء متقدمة على التشبيه من ذلك قولهم لمن ادرك الجاهلية والاسلام « مخضرم » ، ومن ذلك اسـم « منافق » لمن راءى بالاسلام واستسر بالكفر ، و « المشرك » و « الكافر » و « الفاسق » و « التيمم » و « القرآن » و « الفرقان » (١٠٥) . ومن ذلك قولهم في الاسلام لمن يحج : « صرورة » ولم يكن ذلـك معناها في الجاهلية ، فالصرورة عندهم « كان ارفع الناس في مراتب العبادة ، وهو اليوم اسم للذي لم يحج اما لعجز واما لتضييع واما لانكار ؛ فهمـا مختلفان كما ترى (١٠٦) » .

لقد نزل القرآن الكريم بالفاظ ذات دلالات جديدة ، وليس ذلك غريبا ؛ فقد تغيرت كثير من قيم العرب وجاءت قيم جديدة ، وكان لابدّ مـن التعبير عن هذه القيم والمعاني . وكان نزول القرآن اكبر دافع الى تطور اللغة وقد قال الجاحظ وهو يتحدث عن الفاظ كتاب الله : « فاذا كانت العرب يشتقون كلاما من كلامهم واسماء من اسمائهم واللغة عارية في ايديهم ممن خلقهم ومكنهم والهمهم وعلمهم ؛ وكان ذلك منهم صوابا عند جميع الناس ، فالذي اعارهم هذه النعمة احق بالاشتقاق وأوجب طاعة . وكما انه له أن يبتدىء الاسماء فكذلك له أن يبتدئها

---

(١٠٤) ينظر الحيوان ج ١ ص ٣٢٧–٣٣٠ .
المرباع : ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصا للرئيس وصار في الاسلام الخمس .
النشيطة : كان للرئيس ان ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه اذا استحلاه . وبقي الصفي ، وكان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كل مغنم ، وهـو كالسيف اللهذم والفرس العتيق والدرع الحصينـة والشيء النادر .

(١٠٥) الحيوان ج ١ ص ٣٣٠ وما بعدها .

(١٠٦) الحيوان ج ١ ص ٣٤٧ .

مما أحب . قد سمى كتابه المنزل « قرآنا » وهذا الاسم لم يكن قد كان (١٠٧) » . وقال : « واذا كان للنابغة ان يبتديء الاسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله :

الا الاواريّ لأياً ما ابيّنهــــا
والنؤي كالحـوض بالمظلومة الجلد

وحتى اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع اثره وعلى انها لغة عربية ، فالله الذي له أصل اللغة احق بذلك (١٠٨) » .

واصبحت كلمات كثيرة مصطلحات جديدة اقتضتها نهضة العرب العلمية ، ومن ذلك مصطلحات المتكلمين والعروضيين والنحاة . قال الجاحظ عن المتكلمين : « وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا العرض والجوهر وايس وليس ، وفرقوا بين البطلان والتلاشي ، وذكروا الهذية والهوية والماهية (١٠٩) واشباه ذلك » . وقال عن العروضيين : « وكما وضع الخليل بن احمد لاوزان القصيدة وقصار الأرجاز القابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الالقاب وتلك الاوزان بتلك الاسماء ، كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل واشباه ذلك ، وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزحاف . وقد ذكرت العرب في اشعارها السناد والاقواء والاكفاء ولم أسمع بالايطاء . وقالوا في القصيد والرجز والسجع والخطب ، وذكروا حروف الرويّ والقوافي ، وقالوا : هذا بيت وهذا مصراع » . وقال عن النحاة : « وكما سمّى النحويون فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك ، لانهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وابناء البلديين علم العروض والنحو . وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم (١١٠) » .

لقد ادرك الجاحظ بسمة علمه وصدق حدسه ان الالفاظ تنتقل من معنى الى آخر ، وان المعاني الجديدة تغيّر كثيراً من دلالة الالفاظ ، ولو نظر الباحث الى معاني هذه الكلمات وغيرها لوجدها تختلف اختلافا واضحا عما كانت عليه قبل أن تكون مصطلحات دينية او كلامية او عروضية او نحوية او علمية . وهذه نظرة عميقة في فهم اللغة وما يطرأ عليها من تحول يقتضيه تطور الحياة ، ولو استعمل المتكلم او الكاتب هذه الالفاظ بمعانيها القديمة لخرج عن الفصاحة وصار كلامه غير فصيح لانه لا يفهم منه المعنى الجديد أو ماتعارف عليه الناس في زمانه .

ولم يقف الامر عند هذا التطور ، وانما دخلت اللغة العربية الفاظ اجنبية ، وهذا امر طبيعي بعد ان اتصل العرب بالاقوام المختلفة وامتزجت المجتمعات العربية والاسلامية . وقد حصل شيء من ذلك قبل الاسلام ، قال الجاحظ « ان اهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم العهد علقوا بالفاظ مـن الفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ : الخربز ، ويسمون السميط : الرزدق ، ويسمون المصوص : المزور ، ويسمون الشطرنج : الاشترنج في غير ذلك من الاسماء . وكذلك أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة : بال ، وبال بالفارسية (١١١) » . ولكن اللغة العربية استطاعت أن تجري كثيراً من الالفاظ الاجنبية مجرى العربية ، وهذه من خصائص اللغة الحية .

والتفت الجاحظ الى ان الالفاظ بحسب طبقات الناس ، ولذلك ينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني ويوازن بينها ويجعل لكل طبقة من ذلك كلاما . وعرف ان لكل طبقة من الناس الفاظا تديرها في كلامها ، فالكتاب يكثرون من الالفاظ الجميلة الموحية التي لاتوغل في الغرابة ولا تسقط في الابتذال ، وهم كما قال عنهم : « اما انا فلم ارقط امثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطا سوقيا (١١٢) » . والمتكلمون يكثرون من الالفاظ الدالة على الجوهر والعرض والكون والفساد والتلاشي والليسية والايسية ، قال الجاحظ : « فان رأيي في هذا الضرب من هذا اللفظ ان اكون مادمت في المعاني التي هي عبارتها ، والعادة فيها أن الفظ بالشيء العتيد الموجود وادع التكلف لما عسى يسلس ولا يسهل الا بعد الرياضة الطويلة . وأرى ان الفظ بالفاظ المتكلمين مادمت خائضا في صناعة الكلام مع خواص أهل الكلام ، فان ذلك افهم لهم عني وأخف لمؤونتهم عليّ . ولكل صناعة الفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بصناعتهم الا بعد أن كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعة . وقبيح بالمتكلم ان يفتقر الى الفاظ المتكلمين في خطبة او

(١٠٧) الحيوان ج ١ ص ٣٤٨ .
(١٠٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٠ .
(١٠٩) نسبة الى هذا ، وهو ، وماهو .
(١١٠) البيان ج ١ ص ١٣٩–١٤٠ .

(١١١) البيان ج ١ ص ١٩ .
(١١٢) البيان ج ١ ص ١٣٧ .

رسالة او في مخاطبة العوام والتجار ، او في مخاطبة اهله وعبده وأمته ، او في حديثه اذا تحدث او خبره اذا أخبر . وكذلك فانه من الخطأ ان يجلب الفاظ الاعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل، ولكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل (١١٣) » . ولكن قد تحسن بعض الفاظ المتكلمين على وجه التظرف والتملح كما جاء في شعر ابي نواس وغيره من ظرفاء ذلك الزمان .

وانتبه الجاحظ الى مايستعمله الأديب في كلامه من الفاظ يديرها ويكثر منها ، وهو مايسمى « لغة الكاتب » أو « لغة الشاعر » ، قال : « ولكل قوم الفاظ حظيت عندهم ، وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب كلام منثور ، وكل شاعر في الارض وصاحب كلام موزون ، فلابدَّ من ان يكون قد لهج والف الفاظاً بأعيانها يديرها في كلامه وان كان واسع العلم ، غزير المعاني ، كثير اللفظ (١١٤) » .

وربط بين الألفاظ والمعاني فقال ان اللفظ من دلالات المعاني ،وهو الذي يصورها في النفوس وينقلها الى الآخرين (١١٥) ، وربط شريف اللفظ بشريف المعنى وسخيفه بسخيف المعنى (١١٦) . وقرن اللفظ بالمعنى فقال : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل ، والافصاح في موضع الافصاح ، والكناية في موضع الكناية ،والاسترسال في موضع الاسترسال . واذا كان موضع الحديث على انه مضحك ومله ، وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب ، انقلب عن جهته ، وان كان في لفظه سخف وابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أن يسرَّ النفوس يكربها ويأخذ بأكظامها (١١٧) » .

وينبغي ان تكون الالفاظ على اقدار المعاني ، قال : « وانما الألفاظ على اقدار المعاني ، فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها ، والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ الى اقل مما تحتاج اليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة (١١٨) » .

لقد اهتم الجاحظ بالالفاظ اهتماما عظيما واولاها عناية كبيرة ، ودفعه ذلك الى ان يقول : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير (١١٩) » .

وظن بعض الباحثين انه يميل الى اللفظ كل الميل ، وانه لايرى للمعنى كبير اهمية . ولعل موقفه من ابي عمرو الشيباني يشعر بانه من انصار اللفظ ، فقد اعجب الشيباني بقول القائل :

لاتحسبن الموت موت البلى
فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكنَّ ذا
أفظع من ذاك لذل السؤال

قال الجاحظ : « وانا رايت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلا حتى احضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له . وانا أزعم ان صاحب هذين البيتين لايقول شعراً ابداً ولولا ان ادخل في الحكم بعض الفتك لزعمت ان ابنه لايقول شعراً ابداً (١٢٠) » .

والواقع ان الجاحظ عني باللفظ واعطاه نصيبه من الاهتمام وشغل بالمعنى والتصوير الذي قال عنه : « فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير » . وكلامه في كتبه يؤكد انه لم يهمل المعنى ، لان « مدار الأمر على فهم المعاني لا الالفاظ ، والحقائق لا العبارات (١٢١) » ، وان حكم المعاني « خلاف حكم الالفاظ ، لان المعاني مبسوطة الى غير غاية ، وممتدة الى غير نهاية ، واسماء المعاني مقصورة معدودة ، ومحصلة محدودة (١٢٢) » . لقد ربط بين اللفظ والمعنى ربطاً وثيقاً وقال : « فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة (١٢٣) » . وقال وهو يتكلم على ثمامة بن اشرس : « وما علمت انه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الافهام مع قلة

(١١٣) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٨ .
(١١٤) الحيوان ج ٣ ص ٣٦٦ .
(١١٥) البيان ج ١ ص ٧٦ .
(١١٦) البيان ج ١ ص ١٤٥
(١١٧) الحيوان ج ٣ ص ٣٩ .
(١١٨) الحيوان ج ٦ ص ٨ .

(١١٩) الحيوان ج ٣ ص ١٣١–١٣٢ .
(١٢٠) الحيوان ج ٣ ص ١٣١ .
(١٢١) الحيوان ج ٥ ص ٥٤٢ .
(١٢٢) البيان ج ١ ص ٧٦ .
(١٢٣) البيان ج ١ ص ٨٣ .

عدد الحروف ولامن سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ماكان بلغه ، وكان لفظه في وزن اشارته ومعناه في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه الى سمعك بأسرع من معناه الى قلبك (١٢٤) » . وقال : « ومتى شاكل — ابقاك الله — ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع (١٢٥) » .

هذه الأقوال الكثيرة تدل دلالة واضحة على ان الجاحظ لم يهمل المعنى ، وكيف يهمله وهو جوهر الكلام ؟ وكيف يميل عنه وهو المعتزلي الذي يعتمد في الاقناع على الفكرة والمعنى قبل اعتماده على الالفاظ ؟ وكيف يهمله وهو لم يفرق بين الفصاحة التي اصبحت وصفا للالفاظ ، والبلاغة التي صارت وصفا للمعاني قبل الالفاظ ؟ لقد كانت اللفظتان عنده بمعنى واحد ، وكان كثيراً مايجمع بينهما ، قال في تعريف البلاغة : « وقال بعضهم — وهو من احسن ما اجتبيناه ودوناه — لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك (١٢٦) » .

ان المعاني والالفاظ تتحد لتخرج صورة تنتقل الى القراء والسامعين ، ومحال ان يكون اللفظ وحده مؤديا الهدف ، أو المعنى وحده محققا الغاية ، ولكن الجاحظ الى جانب اهتمامه بالمعنى رأى ان الصياغة مهمة في التعبير ، ولذلك كان من اصحاب الأساليب التي تعرض الفكرة عرضا واضحا وتعبر عنها تعبيراً دقيقا ، أو هو من انصار النظم ، وقد فسّر اعجاز القرآن الكريم به وألف كتابا هو « نظم القرآن » ، وكان لهذا الاتجاه اثر في الدراسات البلاغية حينما اقام عبدالقاهر الجرجاني اعجاز القرآن على النظم والف من اجل ذلك كتابه « دلائل الاعجاز » .

اثـره :

كان لجهود الجاحظ في الفصاحة أثر كبير في الدراسات البلاغية والنقدية ، وقد اخذ الدارسون يستقون منه مادة بحثهم ويحاولون أن يضعوا شروطاً لفصاحة اللفظة المفردة والألفاظ المؤلفة . وبدأت تأخذ كلمة « الفصاحة » صورة علمية بعد أن كانت عامة المعنى واسعة المدلول ، وأخذت تنفصل عن البلاغة التي اقترنت بها في بداية التاليف .

(١٢٤) البيان ج ١ ص ١١١ .

(١٢٥) البيان ج ٢ ص ٧ .

(١٢٦) البيان ج ١ ص ١١٥ .

والبحث في أثر الجاحظ متسع الجوانب ، لانه لم يترك أديباً أو مؤلفا من غير أن يؤثر فيه ، وكان كتابه « البيان والتبيين » احد الكتب الأربعة التي عدت من اصول الادب واركانه . قال ابن خلدون : « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها (١٢٧) » . ولذلك سيكون الوقوف على أهم البلاغيين والنقاد ، ولعل اول من نقل كلام الجاحظ وامثلته في فصاحة الكلام ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (— ٣٨٦ هـ) ، فقد وقف عند كلام الجاحظ من غير ان يذكره وذكر البيت المشهور مثالا للتنافر ، وابيات ابي حية النميري مثالا للتلاؤم (١٢٨) » . ولكن ابا هلال العسكري (— ٣٩٥ هـ) كان أكثر تأثراً بالجاحظ ، لانه نقل كثيراً من اقوال القدماء التي ذكرها الجاحظ ورتبها ترتيبا دقيقا ؛ لان كتاب « البيان والتبيين » لم يعْنَ بالمنهج الدقيق . قال ابو هلال : « وهو لعمري كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة والخطب الرائعة والأخبار البارعة ، وما حواه من اسماء الخطباء والبلغاء وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة . الا ان الابانة عن حدود البلاغة واقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في اثنائه ، فهي ضالة بين الامثلة ولا توجد الا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير (١٢٩) » . ودفعه هذا النقد الى أن يرتب موضوعات البلاغة ترتيبا دقيقا ويقسم فنونها تقسيماً طريفا ، وكانت الفصاحة من الموضوعات التي نالت اهتماما منه ، ويعدّ ابو هلال من اوائل الذين ميزوا بينها وبين البلاغة ، قال : « وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان فلهذا لايجوز أن يسمى الله تعالى فصيحا اذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله — تعالى — الوصف بالآلة ، ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان . والدليل على ذلك ان الالثغ والتمتام لايسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن اقامة الحروف . وقيل : « زياد الأعجم » لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف ، وكان يعبر عن الحمار بالهمار ، فهو اعجم وشعره فصيح لتمام

(١٢٧) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٣ .

(١٢٨) النكت في اعجاز القرآن ص ٨٧—٨٩ .

(١٢٩) كتاب الصناعتين ص ٥ .

بيانه . فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين : وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ، لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة انما هي انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى . ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تتناول المعنى ان الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا ؛ اذ هو مقيم الحروف وليس له قصد الى المعنى الذي يؤديه .

وقد يجوز مع هذا ان يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك ، غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من احد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف (١٣٠) » . وكان ذلك ابانة عن موضوع الفصاحة والبلاغة ، أما الفصل الثاني من الباب الاول فقد كان في الابانة عن حد البلاغة ، ولا يتضح اثر الجاحظ في هذين الفصلين ، ولكنّ الفصل الثالث من الباب نفسه كان عرضاً لكثير من الأقوال والآراء التي ذكرها الجاحظ في « البيان والتبيين » . وهذا يدل على ان الجاحظ فتح طريق البحث للنقاد والبلاغيين ، ووضع أمامهم المادة الأصيلة لابواب البلاغة وفصولها .

وعقد ابن سنان الخفاجي (ـ ٤٦٦ هـ) في كتابه « سر الفصاحة » فصولا ضافية تحدث فيها عن صفات الحروف ومخارجها ، وفصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤلفة . والفصاحة عنده « الظهور والبيان » ، والفرق بينها وبين البلاغة « ان الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعاني ؛ لايقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وان قيل فيها فصيحة . وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا (١٣١) » . وذكر شروط اللفظة الفصيحة والألفاظ المؤلفة ، وكانت هذه الدراسة من اعمق الدراسات واكثرها تفصيلا ، وكانت منطلق الآخرين كضياء الدين بن الاثير (ـ ٦٣٧ هـ) الذي اطال الكلام على الفصاحة وناقش ابن سنان واخذ ببعض كلامه وردّ الآخر (١٣٢) ، ودعا الى العناية بالالفاظ واختيار الجميل منها واطّراح الوحشي العكر ، وكان يطرب للفظة الحسنة وتلذ له ، قال :

« ومن له ادنى بصيرة يعلم أن للالفاظ في الأذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار ، وصوتا منكراً كصوت حمار ، وان لها في الفم ايضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل ؛ وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم (١٣٣) » .

ولكن هؤلاء النقاد والبلاغيين لم يقفوا على فصاحة المتكلم كما وقف عليها الجاحظ ، لان الفصاحة والبلاغة لاتكون للمتكلم الا على التوسع . قال ابو هلال : « وتسميتنا المتكلم بانه بليغ توسع ؛ وحقيقته ان كلامه بليغ ، كما تقول : فلان رجل محكم ، وتعني أن أفعاله محكمة . قال الله تعالى : « حكمة بالغة » فجعل البلاغة من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم ، الا ان كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بانه بليغ كالحقيقة (١٣٤) » . ولكن الخطيب القزويني (ـ ٧٣٩ هـ) قال : ان الفصاحة والبلاغة تقع كل واحدة منهما صفة لمعنيين :

الاول : الكلام كما في « قصيدة فصيحة أو بليغة » و « رسالة فصيحة أو بليغة » .

الثاني : المتكلم كما في « شاعر فصيح أو بليغ » و « كاتب فصيح أو بليغ (١٣٥) » .

ولم يفصّل القزويني القول في المعنى الثاني ، ووقف عند تعريفه فقال : « واما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح (١٣٦) » ؛ ويفهم من شرحه لهذا التعريف ان الفصاحة هيئة راسخة في المتكلم ، وانها تشمل النطق وغيره ، وهو ما اراده الجاحظ حينما تحدث عن الخطيب وهيئته وصفاته واطال الكلام على الاسنان واللسان وما يعتريهما من عيوب تعوقهما عن الفصاحة والنطق السليم .

ويبقى الجاحظ بعد ذلك متفرداً بدراسة هذه المسائل وان بدأت تبتعد عن كتب البلاغة ، وكان ما اهتم به وجعله من « البيان » أخذه اللغويون وأداروه في كتبهم حينما تحدثوا عن الاصوات ومخارج الحروف وما يعتري اللسان من عيوب . ولعل انصراف الناس عن الخطابة واهتمامهم بالكتابة والتأليف جعل البلاغيين والنقاد يهتمون بما يقرأ ويعنون بالفكرة لا بمظهر المتحدث او الخطيب وجهارة صوتهما وسلامة نطقهما للحروف .

ولا يقلل هذا الانصراف من جهود الجاحظ ،

(١٣٠) كتاب الصناعتين ص ٨ .
(١٣١) سر الفصاحة ص ٦٠ .
(١٣٢) ينظر المثل السائر ج ١ ص ١٤٢ وما بعدها .

(١٣٣) المثل السائر ج ١ ص ١٥٠ .
(١٣٤) كتاب الصناعتين ص ٦ .
(١٣٥) الايضاح ص ٢ .
(١٣٦) الايضاح ص ٩ .

فقد كان رائداً في الدرس البلاغي وكانت ملاحظاته وآراؤه معالم في الطريق . وصوى اهتدى بها المؤلفون مع انها توزّعت في كتبه وانتشرت في رسائله، ولم ينكر القدماء فضله كما لم يهمله المعاصرون بل كان من اكثر الذين نالوا عناية كبيرة واهتماما عظيما في عالم البحث والتأليف .

تلك وقفة عند الفصاحة كما صورتها كتب الجاحظ ، وتلك جهوده في مباحثها ، ولكن ماقيمة هذه الدراسة وما نفعها في هذا العصر ؟ هل نكتفي بعرض التراث وتبيان جهود السابقين او اننا ننتفع بذلك الجهد ونضيف اليه ما يخدم اللغة العربية ويطورها لتكون اكثر قدرة على استيعاب العصر ورسم المستقبل ؟

انّ الاهتمام بالتراث يعني كشفه وتقويمه والاخذ بما يفيد ، وقد كانت هذه الدراسة كشفا عن جهود الجاحظ في الفصاحة وتبيانا لموقفه في كثير من المسائل التي تخص المتكلم والكلام . وقبل وضع هذه الجهود في صورتها المعاصرة لابدّ من تلخيص ما سبق ، لتتضح الأبعاد وتتكشف الاهداف .

لقد تحدث الجاحظ عن :

١ ـ الاصوات وتأثيرها في النفوس ، وقدرة الانسان على تقليد الاصوات المختلفة ، لان جهاز نطقه قادر على اخراج الاصوات الكثيرة .

٢ ـ بعض أعضاء النطق كالاسنان واللسان والشفتين وما يعتريها من عيوب كالهتم وسقوط الاسنان كلها واللثغة والتمتمة والفأفأة واللفف والرتة والحبسة والعقلة واللكنة .

٣ ـ العي والحصر وما يصيب المتحدث او الخطيب او المجادل حينما يعيا او يحصر فتذهب روعة كلامه ان كان بليغا وتسقط هيبته بين الناس .

٤ ـ الخصائص الصوتية للغة العربية والحروف الكثيرة الدوران فيها واتساقها .

٥ ـ اللحن وما يترك في نفس السامع من اثر سيء .

٦ ـ تنافر الالفاظ .

٧ ـ الغرابة والتعقيد .

٨ ـ دلالة الالفاظ على المعاني وتطورها واثر الاسلام في تغير المعاني او وضع الفاظ ومصطلحات تطلبتها النهضة العلمية والحضارة العربية الاسلامية .

ويتضح ان الجاحظ جال في رحاب واسعة ، وهذه الرحاب يفضي بعضها الى علم اللغة ويوصل بعضها الى علم البلاغة ، وكلا السبيلين مهمان في الدراسات الحديثة . ان معظم ما تحدث عنه يدخل اليوم في علم اللغة ، فالاصوات ومخارج الحروف وعيوب النطق مما تعرض له الدراسات الحديثة وتعنى به ، بل ان هذه الدراسات طغت على ماعرف من فقه اللغة والصرف والنحو وغيرها من علوم اللغة عند القدماء . وفيما ذكر الجاحظ زاد للباحثين ، لان معظم آرائه وما نقله عن الآخرين يثبت امام البحث العلمي الجديد ، وبذلك يظل الجاحظ حيا وان بعد الزمان به .

وليس هذا وحده ماينفع الدارسين وانما للدراسات التربوية نصيب من تراث الجاحظ فما تزال المدارس ـ وستبقى ـ تعنى بنطق الاطفال وكلامهم وتعالج عيوب ألسنتهم وتصلح منها ، وتدفع الفصحاء الى التحدث بطلاقة وتشجعهم على الخطابة باقتدار . وكم في النطق الصحيح والكلام الفصيح من اثر في النفوس .

ودراسة الجاحظ للكنة تكشف عن الحروف التي يقع فيها هذا العيب ، وتبين لحن الرومي والفارسي والنبطي والزنجي ، وهي نافعة في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ، لانها تضع امام المعنيين الحقائق الواضحة وتنبههم الى العناية بكل جنس من هذه الاجناس ، وتعويد المتعلمين النطق السليم ، والابتعاد عن اللكنة التي قد تأتي من طبيعة اللغة التي نشأوا عليها .

ودلالة الالفاظ من الدراسات المهمة التي عني بها الجاحظ ، لانها تبين نشأة الالفاظ وتطور معانيها وترصد العوامل التي تؤثر فيها . وكتب « البيان والتبيين » و « الحيوان » و « البخلاء » معجم غير مصنف ، ولو هيىء لهذه الكتب ان تجرد الفاظها وتصنف لكان للعربية معجم تاريخي يصور واقع الفكر العربي والحضارة الاسلامية حتى القرن الثالث للهجرة ، ويكشف عن النقلة الكبيرة التي شهدها العصر العباسي الاول ، وقد كان الجاحظ احد اقطاب هذا العصر الذين تفاعلوا معه .

وتأتي دراسة الجاحظ للحروف واتساقها شاهداً على اصالة اللغة العربية ، فقد ادرك بحسه اللغوي وثقافته الواسعة ارتباط الحروف في الكلمة الواحدة وما يوحي من فصاحة او عجمة . ويعدّ ما ذكره اساساً للغويين الذين جاءوا من بعده كابن جني (ـ ٣٩٢ هـ) الذي قال : « اما اهمال ما اهمل مما

تحتمله قسمة التركيب وبعض الاصول المتصورة أو المستعملة فاكثره متروك للاستثقال ، وبقيته ملحقة به ومقفاة على اثره . فمن ذلك مارفض استعماله لتقارب حروفه نحو سص و طس و ظث و ثظ و ضش و شض . وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه . وكذلك نحو قج و جق و كق و قك و كج و جك . وكذلك حروف الفم (١٢٧) » وكابي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي (١٢٨) الذي قال : « الجبت : صنم ، ويقال ان الجبت هو حيي بن اخطب . وهذا ليس من محض العربية ، لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذَولَقي (١٢٩) » . وكانوا يعرفون اصالة الكلمة من حروفها ، وقد افادهم ذلك في ارجاع الالفاظ الى اصولها ونفعهم في التعريب الذي كان من اهم معالم الحضارة العربية بعد ظهور الاسلام . والقاعدة التي وضعها الجاحظ وغيره من اللغويين تنفع في عملية التعريب التي تخوضها الامة العربية في هذه الايام ، لانها تحدد طبيعة اللغة العربية وتضبط حروفها ، وان الاخذ بها يجنب العاملين في حقل التعريب كثيراً من المزالق ويصون اللغة من العجمة والاصوات الغريبة ويقيها من التنافر الذي لاتقبله الاذن ولا يستسيغه الذوق العربي .

اما ما يدخل في الدراسات البلاغية فشيء كثير ، منه فصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤلفة وما يتصل بها من وضوح أو غرابة ، ورقة أو خشونة ، وما يرتبط بها من ايحاء جميل او قبيح ، ومن استحسان أو استهجان . وكل ذلك مهم في الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة ، لانها تمثل اللغة العربية وخصائصها ، وتصور حياتها المتطورة .

وليس هذا وحده ما قدمه الجاحظ فهناك مصطلحات علم اللغة والفصاحة وما يتصل بهما ؛ وقد كانت هذه المصطلحات الأساس الذي بنى عليه القدماء دراساتهم ، وهي كذلك في هذا العصر ، فما تزال كتب اللغة والبلاغة والنقد تستعمل ما نقله الجاحظ او ابتدعه ، وستظل كذلك مادامت اللغة العربية ، وما دامت امة العرب .

ان دراسة جهود الجاحظ في الفصاحة لم تكن تاريخا يعرض ماضي الأمة وتراثها وانما هي حاضر ينبض بالحياة ومستقبل يزهر بالامل ، وهكذا كان التراث ماضيا مشرقا ، وحاضرا زاهرا ، ومستقبلا باهرا .

(١٢٧) الخصائص ج ١ ص ٥٤ .

(١٢٨) اختلف في وفاته فمن قائل انه مات سنة ٣٩٨ هـ ، ومن قائل انه مات قبل ذلك بكثير . (تنظر مقدمة ديوان الادب ج ١ ص ٣) .

(١٢٩) ديوان الادب ج ١ ص ١٧٧ـ١٧٨ .

(١٤٠) ينظر المزهر ج ١ ص ٢٦٨ ومابعدها .

★

المصـــادر

١ ـ الايضاح . الخطيب القزويني . تحقيق لجنة من اساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الازهر . القاهرة .

٢ ـ البخلاء . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق الدكتور طه الحاجري . القاهرة ١٩٦٢ م .

٣ ـ البيان والتبيين . ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

٤ ـ الحيوان . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٢٥٦ هـ ـ ١٩٢٨ وما بعدها .

٥ ـ الخصائص . أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م .

٦ ـ ديوان الادب . أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي . تحقيق الدكتور احمد مختار عمر . القاهرة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

٧ ـ سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي . تحقيق عبد المتعال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م .

٨ ـ كتاب الصناعتين . أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م .

٩ ـ لسان العرب . ابن منظور .

١٠ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ضياء الدين بن الاثير . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م .

١١ـ المزهر في علوم اللغة . عبد الرحمن جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد احمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة .

١٢ـ مقدمة ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون . دار الكشاف ـ بيروت .

١٣ـ النكت في اعجاز القرآن . ابو الحسن علي بن عيسى الرماني . تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام (ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) . دار المعارف ـ القاهرة .

١٤ـ النهاية في غريب الحديث والاثر . مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري . تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي . القاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣ م .

الوزير ابو علي محمد بن علي بن مقلة

(٢٧٢ ـ ٣٢٨هـ)

بقلم الدكتور

نافع توفيق العبود

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

حياتـــه :

هو ابوعلي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة(١) ولد ببغداد يوم الخميس لتسع بقين من شوال سنة ٢٧٢هـ\٨٨٥م(٢) ، ونشــا في اســرة متواضعــة الحال(٣) ، اشتهر عميدها وبعض ابنائها بجودة الخط (٤) ، وقد كان لترعرعه في كنف تلك الاسرة ان اصبح مولعا بالخط منذ الصغر ، فشغف به شغفا شديدا ، حتى صار فيما بعد خطاطا من الطراز الاول « لاينازعه في ذلك منازع ولا يسمو الى مساماته ذو فضل بارع » (٥) .

والراجح ان ابا علي كان يتكسب لقمة العيش في حياته الاولى من الكتابة واجادته الخط ، اذ ليس بين ايدينا مايدل على اشتغاله باى عمل آخر ، وقد ساعدته هذه الميزة الى جانب تثقيف نفسه بثقافة عصره ، على التطلع لاشغال وظيفة مناسبــة فوظف قابليته في بعض الدواوين بمرتب شهري قدره ستة دنانير (٦) ولا نعلم السنة التي تسنم فيها هــذه الوظيفة ، لان المصادر المتوفرة لم تتطرق الى ذلك .

في سنة ٣٠٤ هـ تولى الكتابة للسيدة ام المقتدر بالله واولاده (٧) . ثم تعلق بأبــي الحســن علي بن الفرات الوزير ، واختص به ، وارتفع بســببه بعد أن « ادخله في اموره واسراره وقلده أعمالا كثيرة (٨) » . وقد تعلم ابو علي بن مقلة من هــذا الوزير الشيء الكثير في سنين قليلة ، واكتسب خبرة ادارية اهلته

---

(١) (مقلة) لقب ابيه علي ، نص عليه ابن النديم ولم يبين سبب تلقيبه به (الفهرست : ٢٠) وبينه ياقوت الحموى في ترجمة ابي عبدالله الحسن بن علي اخي الوزير فقال « ومقلة : اسم ام لهم ، كان ابوها يرقصها ، فيقول يامقلة ابيها ، فغلب عليها » (معجم الادباء : ١٣\١٥٠) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١١٧/٥

(٣) صور الشاعر جحظه البرمكي حال ابن مقلة قبل وزارته ، معاتبا اياه عندما لم يؤذن له بالدخول عليه بقوله :

قــــل للوزيـــر ادام اللــــه دولتــــه
اذكـــر منادمتـــي والخبـــز خشكـــار
اذ ليـــس بالبـــاب بـــرذون لنوبتكـــم
ولا حمــــــار ولا في الشــــط طيــــار

(ابن الجوزى ، المنتظم : ٦\٢١٠)

(٤) ياقوت ، معجم الادباء : ٢/١٥٠ـ١٥١ .

وفي جودة خطه ، قال الثعالبي :

خـــط ابـــن مقلـــة مـــن ارعـــاه مقلتـــه
ودت جوارحـــــه لـــو صيـــرت مقـــلا
فالـــدر يصفـــر لا ستحســانه حســدا
والبـــدر يحمـــر مـــن انـــواره خجـــلا

(ثمار القلوب : ٢١٠)

(٥) ياقوت ، معجم الادباء : ٢/١٥٠

ارتاينا ان نقتصـــر بحثنـــا على تنـــاول الجوانـــب الاداريــــة والسياسية للوزير ابن مقلة ، اما اثره في الخط العربي فسنحاول تناوله في بحث مستقل غير هذا .

(٦) ابن الطقطقي ، الفخرى في الاداب السلطانية : ٢٧٠

(٧) الهمداني ، تكملة تاريخ الطبرى : ١/٥٧

(٨) الصابي ، الوزراء : ٢٧

لتبوا منصب الوزارة فيما بعد . وبخاصة عندما ولاه ابن الفرات ، الاشراف على بعض الدواوين .

ولا يفوتنا ان نذكر بأن حال ابا علي بن مقلة قد حسنت كثيرا وبالاخص ايام وزارتي ابن الفرات الثانية (٣٠٤–٣٠٦هـ) والثالثة (٣١١–٣١٢ هـ) ، فتمكن من جمع مال وفير من جاري راتبه الذي بلغ خمسمائة دينار (٩) ، فضلا عن مبالغ اخرى استحصلها من اولئك الذين بايعوا عبدالله بن المعتز سنة ٢٩٦ هـ ، حينما خوله الوزير المذكور كتابة الامان لهم ، بعد ان عفا عنهم الخليفة المقتدر (١٠) .

وظل ابو علي بن مقلة يحظى بمنزلة محترمة حتى بعد عزل ابن الفرات نهائيا عن الوزارة في سنة ٣١٢ هـ ، وتعاقب وزراء آخرين كابي القاسم عبد الله بن محمد بن الخاقاني (٣١٢–٣١٣ هـ) ، وابي العباس احمد بن عبيد الله الخصيبي (٣١٣–٣١٤ هـ) ، وعلي بن عيسى الذى استوزر ثانية (٣١٤ – ٣١٦ هـ) ، الى ان ساءت علاقته بالوزير الاخير الذى تنبه الى اثراء اصحاب الدواوين ، فانزل رواتبهم وقرر لابي علي بن مقلة عن ديوان الخاصة والمستحدثة مائة دينار (١١) ، مما جعل ابن مقلة يضطغن على هذا الوزير ويسعى لابعاده عن الوزارة ، بل وتبوأ هذا المنصب بدلا منه وهكذا كان .

ثقافتــــه :

انصرف ابو علي بن مقلة في مستهل حياته الى تثقيف نفسه ، فورث فضل ابيه وحسن خطه ، وبلغ مرتبة عالية في علم النحو ، واتقان اللغة ، وبلاغة البيان منثوره ومنظومه (١٢) ، كما شهد له الصولي بذلك وبفضائل اخرى تميز بها على اقرانه من اهل عصره ، فقال : « مارايت وزيرا – منذ توفى القاسم ابن عبيد الله – احسن حركة ولا اظرف اشارة ، ولا املح خطا ، ولا اكثر حفظا ، ولا اسلط قلما ، ولا اقصد بلاغة ، ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن علي (١٣) » .

(٩) ن . م . : ١٢٥
(١٠) ن . . : ١٣٥
(١١) ن . . : ٢٤٠
(١٢) الدكتور سهيل انور ، الخطاط البغدادى علي بن هلال المشهور بابن البواب ، (الترجمة العربية) – راجع فيه التعليقات والاستدراكات القيمة للاستاذ محمد بهجة الاثرى : ٥٣ .
(١٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة : ٢/٢٦٨ .

واذا اضفنا الى ذلك جملة الواصل الينا من آثاره الادبية متفرقا في بطون كتب الادب والتاريخ ، واستثنينا ما فقد منها ، لتبين لنا ماكان يمتاز به من ملكة ادبية جيدة ، وثقافة عالية .

اشتهر ابو علي بن مقلة بجودة خطه – كما اسلفنا – ولكنه لم يقتصر على الخط وحده ، كامثاله من ارباب المعرفة ، بل لقد قرض الشعر ايضا ... وكان بارعا في علم الهندسة ، وبهذا العلم استطاع ان يقلب الخط الكوفي الى الخطوط التي تكتب الى الآن (١٤) .

اما انشاؤه وشعره ، فيكفي – تجنبا للأطالة – ان نسوق بعض النماذج منها ، فمن انشائه مثلا نسوق رسالته التي انفذها من سجنه الى الوزير ابن الفرات ، والتي قال فيها :

« امسكت – اطال الله بقاء الوزير – عن الشكوى ، حتى تناهت البلوى ، في النفس والمال ، والجسم والحال ، الى مافيه شفاء للمنتقم ، وتقويم للمجترم ، حتى افضيت الى الحيرة والتبلد ، وعيالي الى الهتكة والتشرد ، وما ابداه الوزير – ايده الله – في امري الا بحق واجب ، وظن غير كاذب ، وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة ، وصحبة وخدمة ، ان كانت الاساءة اضاعتها ، فرعاية الوزير – ايده الله تعالى – بحفظه ، ولا مفزع الا الى الله بلطفه ، وكنف الوزير وعطفه ، فان رأى – اطال الله بقاءه – ان يلحظ عبده بعين رافته ، وينعم باحياء مهجته ، وتخليصها من العذاب الشديد والجهد الجهيد ، ويجعل له من معروفه نصيبا ، ومن البلوى فرجا كبيرا (١٥) » .

واوردت بعض المصادر المتوفرة بين ايدينا ، مقطوعات من شعره ، لاحظنا ان اكثرها تتعلق في شرح حاله وما آل اليه امره ، واليك نماذج من شعره :

قال في الشرب على الدجن :

لا يكن للكأس يوم الغيم في كفك لبث
او ما تعلم ان الغيث ساق مستحث (١٦)

وقال في حاله :

جربني الدهر على صرفه
فلم اخسر عند التصاريف

(١٤) الدكتور سهيل انور ، الخطاط البغدادى علي بن هلال : ١٥–١٦ .
(١٥) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة : ٢٦٨\٢ .
(١٦) الثعالبي ، من غاب عنه المطرب : ٣٢ .

الفت يوميه وبا ربمـا
يؤلف شيء غير مألوف[١٧]

وقال ايضا :

لست ذا ذلة اذا عضني الدهـ
ـر ولا شامخا اذا واتاني
انا نار في مرتقى نفس الحا
سد ماء جار مع الاخوان[١٨]

وذكر ابو عبد الله محمد بن اسماعيل المعروف بزنجي كاتب ابن الفرات قال : لما نكب ابن مقلة وحبس ، لم ادخل اليه في محبسه ، ولا كاتبته ، ولا توجعت له ، على مابيني وبينه من المودة والصداقة خوفا من ابن الفرات ، فلما طالت به ، كتب الي رقعة فيها :

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم
ابن لي ، ام القرطاس اصبح غاليا
ما كان لو ساءلتنا كيف حالنا
وقد دهمتنا نكبة هي ماهيا
صديقك من راعاك في كل شدة
وكلا تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوى لا صديقي فانني
رايت الاعادي يرحمون الاعاديا[١٩]

ويجد القارىء الكريم في نهاية البحث نموذجين آخرين من شعر ابي علي بن مقلة ، آثرنا ارجاء ذكرهما في هذا الموضع ، وهما مما قاله متألما على قطع يده اليمنى ، ايام نكبته الاليمة التي حلت به ايام الخليفة الراضي .

وزارته الاولى :

في سنة ٣١٦ هـ عجز الوزير علي بن عيسى عن تمشية امور الوزارة وانه راى اختلال النواحي في ايام من سبقه من وزراء المقتدر ، اضافة الى النفقات الباهظة فأستعفى المقتدر من الوزارة ولكن هذا امره بالصبر قائلا له : « انت عندي بمنزلة المعتضد بالله ولي عليك حقوق[٢٠] » .

(١٧) ابن الطقطقى ، الفخرى : ٢٧١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٣\٢٦٨ .
(١٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٥\١١٦ .
(١٩) ابن الطقطى ، الفخرى : ٢٧١ .
(٢٠) مسكويه ، تجارب الامم : ١٨٤/١ .

لقد واصل علي بن عيسى الاستعفاء ، وشاور المقتدر قائد الجيش مؤنس المظفر في تسمية مرشح للوزارة ، واعلمه انه قد سمي له ثلاثة هم : الفضل ابن جعفر ابن الفرات وابو علي بن مقلة ومحمد بن خلف النيرماني[٢١] ، ولما بلغ ابن مقلة ذلك جد في السعي لتبوأ منصب الوزارة وشاور المقتدر نصرا الحاجب في امر المرشحين الثلاثة فابدى هذا رايه في كل منهم قائلا :

« اما الفضل بن جعفر فلا يدفع عن صناعة ومحل ، ولكنك بالامس قتلت عمه وبنو الفرات يدينون بالرفض ، واما ابن مقلة فلا هيبة له ، واشار بمحمد بن خلف ... فنفر المقتدر منه لما عرفه من جهله وتهوره[٢٢] » .

عمد ابن مقلة الى مسايرة ومداراة نصر الحاجب حتى وفق الى كسب مودته ، فاقترح على الخليفة ان يستوزره ، وهنا وجد ابن مقلة فرصة طيبة امامه ، لاظهار ولائه ، ومناصحته للمقتدر ، فادعى ان ابا طاهر القرمطي قد اقترب من الانبار ، فقلق المقتدر واراد استطلاع امره فقام ابن مقلة بتلك المهمة خير قيام واوصل اخبار القرمطي الى نصر الحاجب الذي اطرى عليه امام المقتدر قائلا :

« ان كانت هذه مراعاته لامورك ـ ياامير المؤمنين ـ ولا تعلق له بخدمتك فكيف يكون اذا اصطنعته . واستكفيته ـ ؟ [٢٣] » . وقد عد ذلك من اقوى الاسباب في وزارته [٢٤] .

مال المقتدر الى عزل علي بن عيسى عن الوزارة ، فعزله عنها ، واودعه السجن في النصف من شهر ربيع الاول سنة ٣١٦ هـ ، فحينئذ جد ابن مقلة في طلب الوزارة ، واعانه عليها نصر الحاجب وابو عبدالله البريدى [٢٥] ، حتى تم استحصال موافقة المقتدر على استيزاره بعد ان بذل له مبلغا قدره خمسمائة الف دينار [٢٦] . وجرت له مراسيم الوزارة حيث حضر يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الاخر ، وخلع عليه وحمل اليه من دار السلطان على رسم الوزراء اذا خلع عليهم[٢٧] .

(٢١) ن . م : ١/١٨٤ . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ٨\١٨٣ .
(٢٢) مسكويه ، تجارب الامم : ١/١٨٤ .
(٢٣) ن . م . : ١\١٨٥ . الصابي ، الوزراء : ٢٤٢ .
(٢٤) ابن الاثير ، الكامل : ٨\١٨٤ .
(٢٥) ن . م . : ١٨٤/٨ .
(٢٦) مسكويه ، تجارب الامم : ١٨٧/١ .
(٢٧) الهمذاني ، تكملة تاريخ الطبرى : ١\٧٥ .

اعماله الوزارية :

استهل ابو علي بن مقلة اعماله الوزارية « بأخذ خطوط العمال والضمناء بنحو مائة الف دينار »[٢٨]. كأجراء منه لتوفير المستلزمات المالية للدولة ، ثم اتبع عمله هذا بتهيئة ظروف ملائمة للعمل فكتب كتابا « برفع كل الجنايات والصادرات وسكن من الناس لينبسطوا في اعمالهم » [٢٩] .

ورث ابو علي بن مقلة عجزا ماليا عن سلفه علي بن عيسى ، فاستطاع ان يرفده عندما بعث اليه عبد الله البريدي سفاتج (صكوك) بثلاثمائة الف دينار من جملة الباقي بالاحواز ، اضافة الى تسلمه سفاتج اخرى بمبلغ ستمائة الف دينار من الضامنين القاسم ابن دينار واحمد بن محمد بن رستم [٣٠] ، هذا فضلا عن مصادرته لابي محمد عبدالله كاتب نصر حيث الزمه خمسين الف دينار [٣١] .

لم تزودنا المصادر المتوفرة بين ايدينا عن اعمال مهمة اخرى قام بها ابن مقلة ، ولعل ذلك يعود الى عدم استقرار امور الخلافة ، فبعد مضي بضعةاشهر على استيزاره اندلعت الفتنة بين القواد ، وتمكن القائد مؤنس المظفر من عزل المقتدر عن الخلافة وبويع بها للقاهر بالله ليلة السبت النصف من المحرم سنة ٣١٧ هـ . وفي اليوم التالي احضر الوزير ابن مقلة وكتب كتابا انشاه الى الولاة في النواحي بخبر تقليد القاهر الخلافة [٣٢] .

على ان المقتدر لم يستكن لتلك الفتنة ،بل تمكن بعد ايام من اخمادها والسيطرة على زمام الامور ، فاعاد ابا علي بن مقلة الى وزارته ، فكتب هذا عن المقتدر بالله برجوع الخلافة اليه وتجديد البيعة له في سائر الاقاليم [٣٣] .

وفي خضم تلك الاحداث التي تلت عودة المقتدر الى الخلافة ، لم يتمكن ابن مقلة من ابداء اي نشاط يذكر في وزارته ، فقد حكى ثابت بن سنان انه« حضر مجلس الوزير ابي علي بن مقلة ولم يكن له شغل غير التوقيع للجند ببيع الضياع ... وكان الناس مجتمعين عليه وهو يوقع » [٣٤] . مما يدل على انه كان مسلوب الارادة ، ينفذ مايؤمر به . ومع ان المقتدر خلع عليه وكناه وكتب الى جميع النواحي بذلك الا انه لم يظهر ارتياحه منه ، بل كان يتهمه بتواطئه مع مؤنس المظفر ؛ وظل يتحين فرصة مناسبة لعزله ؛ حتى اتفق ان خرج مؤنس الى (اوانا) [٣٥] متنزها وانحدر ابن مقلة الى دار السلطان فاغتنم المقتدر بالله فرصة غياب مؤنس فقبض على ابن مقلة وانفذ الى داره من احرقها وكان ذلك في سنة ٣١٨ هـ [٣٦] .

ولما بلغ مؤنس المظفر ما اقدم عليه المقتدر ونيته في استيزار الحسين بن قاسم بن عبيدالله ، خشي انفراد الخليفة بهذا التدبير ، فعاد مسرعا الى بغداد وسأل المقتدر رد ابن مقلة ، فاغتاظ المقتدر من ذلك وهم بقتل ابن مقلة لولا توسط علي بن عيسى له[٣٧] .

واخيرا صرف المقتدر النظر عن استيزار الحسين بن القاسم ، واسند الوزارة الى سليمان بن الحسن رسميا على ان يقوم علي بن عيسى فعليا بالاشراف على سائر الامور من الاعمال والدواوين والا يتراخى في ذلك [٣٨] .

ويمكن القول ان منصب الوزارة لم يشهد استقرارا بعد عزل ابن مقلة ، يدل على ذلك ان المقتدر عهد بعد عزله وخلال سنة واحدة ، الى ثلاثة وزراء هم : سليمان بن الحسن وابو القاسم بن عبيدالله ابن محمد الكلواذاني وابو الفتح الفضل بن جعفر ، حتى ان المقتدر ارتأى من الافضل اعادة ابن مقلة ، ولكن الوشاية حالت دون ذلك . واخيرا اجتمع راى مؤنس مع الوزير الفضل بن جعفر على ابعاد ابن مقلة الى الاحواز فابعده ، وهناك سلم الى ابي عبدالله البريدي في شيراز وكان ذلك في سنة ٣١٩ هـ[٣٩] .

وزارته الثانية :

لبث ابو علي بن مقلة في منفاه بالاحواز سنة واحدة ، ولا نعلم عن اخباره هناك شيئا ، ولما حلت سنة ٣٢٠ هـ التي تسنم القاهر بالله فيها مقاليد الخلافة بعد مقتل المقتدر ، استدعاه الى بغداد فقدم اليه في يوم النحر فتلقاه بالحفاوة واعد له دار هارون

---

(٢٨) مسكويه ، تجارب الامم : ١٨٧/١ .
(٢٩) ن . م . ١٨٧/١ .
(٣٠) الهمذاني ، تكملة تاريخ الطبرى : ٥٧/١ . مسكويه ، تجارب الامم : ١٨٧/١
(٣١) الهمذاني ، تكملة تاريخ الطبرى : ٥٧/١ .
(٣٢) مسكويه ، تجارب الامم : ١٩٣/١ .
(٣٣) عريب ، صلة تاريخ الطبرى : ١٤٤ .
(٣٤) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٠٠/١ .

(٣٥) اوانا : بليدة كثيرة البساتين والشجر من نواحي دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (٦٠ كم) من جهة تكريت (ياقوت ، معجم البلدان : ٢٧٤/١) .
(٣٦) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٠٣/١ .
(٣٧) ن . م . : ٢٠٤/١ .
(٣٨) ن . م . : ٢٠٥/١ .
(٣٩) ن . م . : ٢٢٩/١ .

ابن المقتدر فانزله فيها ، وفي اليوم التالي خلع عليه واعاده الى الوزارة (٤٠) فلما خرج منه بادر الى كسب ود مؤنس المظفر ، نزاره في داره وسلم عليه ، ثم انصرف الى داره وجلس لاستقبال الناس والوجوه الذين توافدوا عليه للتهنئة ، وكان من بينهم علي بن عيسى الذى راح اليه في آخر النهار ، الا ان الوزير لم يأبه به فأستقبح الناس ذلك(٤١) .

عاد ابو علي بن مقلة الى الوزارة وهو يضطغن على اولئك الذين ناوؤوه ايام المقتدر بالله ، والذين تنكروا له ولاسرته ولاسبابه خلال مدة ابعاده الى الأحواز ، فوجد في ذلك مايبرر مصادرته لهم والتنكيل بهم . فأبتدأ اولا بمحاسبة الكلواذاني الذى لم يقلد احدا من اسبابه اى عمل من الاعمال ، فقبض عليه وبخه ، ثم صادره على مائة الف دينار(٤٢) وقيل على مائتي الف دينار(٤٢) وسلمه مع كاتبه الى ابي بكر بن قرابة . واردف عمله هذا بالقبض على جماعة من العمال وكتاب الدواوين . وتنكر ايضا لبني البريدى وضمن اعمالهم بزيادة قدرها ثلاثمائة الف دينار وامر باعتقالهم ، فاعتقلوا في دار محمد بن خلف النيرماني ثم صب عليهم غضبه ، فأمر بتعليق الجرار المملوءة على بعضهم لاستخراج الاموال منهم(٤٤) .

وتنكر ابن مقلة ايضا لآل الفرات ، فصادر ابا الخطاب بن ابي العباس بن الفرات ، وكان سبب عداوته له انه كان استسعفه ايام نكبته فلم يسعفه ، فحقد عليه ، وقد صادف ان ابا الخطاب ختن اولاده ، واقام بهذه المناسبة حفلا كبيرا دعا اليه الكثير وكان من جملة المدعوين ابناء الوزير ابن مقلة ، فلما راوا اسرافا في البذخ عادوا فحدثوا اباهم بما شاهدوا وبالغوا في ذلك ، وهنا وجد ابن مقلة فرصة مواتية لمحاسبة ومصادرة ابي الخطاب ، فعندما قصده هذا للسلام عليه في يوم الموكب قبض عليه وطالبه بثلثمائة الف دينار ، وشرط عليه أن يؤديها خلال عشرين يوما ، ثم سلمه للخصيبي الذى سلمه بدوره الى صاحب الشرطة ، فانكب هذا على تعذيبه وضربه بالدرر والمقارع (٤٥) ، وبعد هذه الاهانة هدده بضرب عنقه ان لم يؤد شيئا .

غير ان هذا الاسلوب لم يزد ابا الخطاب الا اصرارا على عدم دفع اى مال ، فلما يئس ابن مقلة منه ، عفا عنه بشفاعة البعض له ، فوجه اليه بخلعة من ثيابه وحمله على دابة بمركب واستدعاه ثم قال له : « كثر علي الخليفة في امرك ، وعزيز علي مالحقك ، فامض مصاحبا الى منزلك »(٤٦). فأنصرف وادى المال في مدة عشرة ايام واطلقت ضياعه واملاكه .

بعد هذا اخذ الوزير ابن مقلة خط ابي عبدالله البريدى واخويه ابي يوسف وابي الحسين بحمل اربعة الاف دينار في كل شهر (٤٧) ، كل ذلك من اجل توفير المال اللازم لتسيير أمور الدولة . وقد لاقت مصادراته واجراءاته هذه ، كل استحسان وقبول من جانب القاهر بالله . ثم التفت ابن مقلة الى ناحية مهمة اخرى ، وهي التخلص من مناوئيه وفي مقدمتهم بعض قادة المقتدر ، الذين اجتمعوا في الاحواز فسير اليهم جيشا بقيادة ابي عبدالله البريدى ، فشتت شملهم ، وتعقبهم الى عسكر مكرم(٤٨) .

وحاول ابن مقلة ايضا التخلص من علي بن عيسى بابعاده الى مصر للاشراف عليها عندما بلغه موت تكين الخاصة بها في سنة ٣٢١ هـ ، فتجهز علي ابن عيسى للخروج الى مصر ، ولكنه في الوقت نفسه التمس الوزير ان يعفيه من هذه المهمة متذرعا بكبر سنه وضعف قوته ، وحلف له الايمان المؤكدة على موالاته ، فحينئذ رق له قلب الوزير فأعفاه من مهمة الشخوص الى مصر (٤٩) .

يتبين لنا مما تقدم ان الوزير ابن مقلة ، قد استعاد شيئا من هيبة الوزارة الى حد ما ، فحظي بتقدير الخليفة القاهر بالله ، الذى كتب له رقعة بالتكنية وبزيادة في التشريف والرتبة ، وامره ان يكتب بذلك الى الامصار ، والاعمال كلها ففعل .

تآمر ابن مقلة على الخليفة القاهر بالله :

لم تدم مدة الصفاء طويلا بين الخليفة القاهر ووزيره ابن مقلة الذى طمح الى الانفراد في الامور ، وتآمر على سيده الخليفة مع بعض القادة ، ومن بينهم

---

(٤٠) المسعودى ، التنبيه والاشراف : ٣٧٦ .

(٤١) مسكويه ، تجارب الامم : ١\٢٤٥ .

(٤٢) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في اخبار الحقائق : ٤/ق ٢ : ٦

(٤٣) مسكويه ، تجارب الامم : ١\٢٤٦ .

(٤٤) مجهول ، العيون والحدائق ، ٤\ق ٢ : ٦

(٤٥) مسكويه ، تجارب الامم : ١\٢٥٢ .

(٤٦) ن . م . : ٢٥٣/١ .

(٤٧) ن . م . : ١\٢٥٢ .

(٤٨) عسكر مكرم . بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء ، مدينة مشهورة من نواحي (عربستان) منسوبة الى مكرم بن معزاء ابن الحارث ، ابتناها ايام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي (ياقوت ، معجم البلدان : ٤\١٢٣ - ١٢٤) .

(٤٩) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٥٨/١ .

مؤنس المظفر ويلبق ؛ فضيقوا على القاهر ، واتفقوا سرا على خلعه من الخلافة وتقليدها ابا احمد ابن المكتفي بالله الذى عقدوا له البيعة سرا ، واكثر من هذا فقد اناط المتآمرون مهمة عزل القاهر بالقوة الى علي بن يلبق ، وكانت الخطة تقضي بأن يوهم ابن مقلة الخليفة بتهديد ابي طاهر القرمطي للكوفة ، وانه اتفق مع مؤنس المظفر على تسيير علي بن يلبق مع اكثر قواده وقواد ابيه لمحاربة القرمطي ، وانه وافقه على التوجه قبل خروجه الى دار الخليفة ليصل اليه ويودعه في العتمة(٥٠)،في حين كانت مهمته الاساسية القبض على الخليفة ومن ثم عزله .

غير ان الوزير ابن مقلة لم يستطع اخفاء ماكان قد دبره ، وقلق من عدم جواب الخليفة له بالموافقة على خروج ابن يلبق المزعوم الى الكوفة . فكتب في الصباح رقعة ثانية الى الخليفة بمثل ماكتب به في اليوم السابق ؛ ولما اطلع القاهر عليها استراب في الامر وحذر ان يكون هناك تدبير عليه .

ويبدو ان احد اعوان ابن مقلة ويدعى طريف السبكرى قد وشي بالمتآمرين الى القاهر ، لانه كان يحسد بليقا ومؤنسا ويخشى انفرادهما بالامر(٥١) ، فاتخذ القاهر اجراءاته ودعا اليه الساجية(٥٢) الذين هبوا بسلاحهم لحمايته فبطل بذلك ماكان قد دبر المتآمرون ضده .

والراجح ان علي بن يلبق لم يتمكن ان يحشد ويستجمع قوة عسكرية ذات شان لتنفيذ ما اسند اليه ؛ فتمكن الساجية من تشتيت شمله ولاذ بالفرار ثم استتر ، فلما بلغ خبر هزيمته الى ابن مقلة استتر هو الآخر ومن معه من اصحابه ، ولم يكن القاهر ليغفر لاولئك المتآمرين فعلتهم النكراء ، بل انه امر بحرق دار ابن مقلة فاحرقت ، ثم جد في طلب المستترين ، فقبض على ابي احمد بن المكتفي فأمر بجعله في باب وسد عليه بالجص والآجر وهو حي(٥٣) ، وأمر ايضا بنهب دور بني مقلة ودور المتآمرين الاخرين فنهبت . ولم ينج علي بن يلبق من الملاحقة رغم استتاره ، بل قبض عليه وحمل الى دار السلطان وضرب بحضرة القاهر ضربا مبرحا فاقر بعشرة الاف دينار فصودرت وسلمت الى بيت المال ، ثم زج به في السجن حيث ذبح مع ابيه ، ووجه براسيهما الى مؤنس الذى لعن قاتلهما ، فامر الخليفة به فجر برجله الى بالوعة وذبح هو الاخر كما تذبح الشاة على مراى من الخليفة القاهر ؛ وطيف برؤوس الثلاثة في بغداد ؛ ثم ردت اخيرا الى خزانة الرؤوس(٥٤) .

اما ابو علي ابن مقلة ، الذى افلت من العقاب واستتر ، فانه لم يكف عن التآمر على الخليفة القاهر ؛ بل كان يراسل الساجية والحجرية(٥٥) سرا ويحرضهم عليه ، وكان يلتقي بهم في الليل تارة في زى اعمى ، وتارة في زى مُكَدٍّ ، وتارة في زى امرأة(٥٦) ، يدعوهم الى جمع الكلمة ويحذرهم من بطش القاهر بهم وبنائه المطامير لهم . ويبدو ان ابن مقلة افلح في تحريضه لقواد الساجية والحجرية ، وشحذ عممهم على مناواة الخليفة القاهر ،فاجتمعوا وتحالفوا على أن تكون كلمتهم واحدة ، ثم استحلفوا اتباعهم فقصدوا دار القاهر وقبضوا عليه في ضحوة نهار الاربعاء لست خلون من جمادى الاخرة سنة ٣٢٢ هـ . واودعوه في السجن تحت حراسة مشددة بعد ان سملوا عينيه ثم بايع القواد ابا العباس احمد ابن المقتدر الذى لقب بـ(الراضي) ، والجدير بالذكر ان ابن مقلة اسهم في اخذ البيعة للخليفة الجديد(٥٧) .

وزارتـه الثالثـة :

عندما تسنم الراضي الخلافة ، طلب الى علي ابن عيسى ان يتولى الوزارة له ، ولكن هذا اعتذر عن اجابة الخليفة الى طلبه في ظرف كانت الغلبة فيه للقواد فتذرع بأنه ربما لايفي بمهمة الامر لكبر سنه وضعفه ، غير ان الراضي لم يعفه من ذلك اول الامر ، بل الح عليه ، ثم اسندها الى اخيه عبد الرحمن بن عيسى على « ان يكون الاسم له ويتولى

---

(٥٠) ن . م . : ١/٢٦٣ .
(٥١) ابن الجوزى ، المنتظم : ٦\٢٤٦ .
(٥٢) الساجية : هم فرقة من عسكر الخلافة ، سميت بهذا الاسم على ما اصطلح الحكام في تلقيب كل جماعة من الجند تمييزا لهم عن سواهم ، وتنسب (الساجية) الى ابي الساج ديوداذ بن ديوست القائد العباسي الذى لمع اسمه منذ عهد المعتصم ، واستمر من ذريته جماعة خدموا الخلافة العباسية .
انظر : تاريخ ابن خلدون : ٤\٨٢٢ . حمدان الكبيسي ، عصر الخليفة المقتدر بالله : ٢٦٥-٢٦٦ .
(٥٣) ابن الجوزى ، المنتظم : ٦/٢٥٠ .

(٥٤) مسكويه ، تجارب الامم : ١/٢٦٨ .
(٥٥) الحجرية : هم ضرب من الحرس الخاص وجدوا في دار الخلافة ، وكانوا يقيمون « في حجر منفردة ، لكل حجرة منها اسم يخصها ، وعدتهم كاملة ... ومتى طلبوا لمهم لم يجدوا عائقا .. وللصبيان منهم حجرة منفردة ... بمعزل عن القصر » . انظر : (القلقشندى صبح الاعشى : ٣\٤٧٧) .
(٥٦) ابن الاثير ، الكامل : ٨\٢٧٩ .
(٥٧) مسكويه ، تجارب الامم : ١\٢٨٦ .

هو النظر في أمر الملك وتدبير الناس وجباية الاموال على كره منه لذلك ، لما راى من تعذر مال البيعة(٥٨) » .

وهنا تطلع ابو علي ابن مقلة الى تسنم الوزارة للراضي وطمع فيها ؛ ولكي يحقق رغبته هذه ، لجا الى سيما المناخلي (قائد الساجية) ، وبذل له خمسمائة الف دينار يصرفها في رجاله ليساعده في الوصول الى الوزارة ، ووعده ايضا بخمسمائة الف دينار اخرى لنفسه ان هو ساعده في مسعاه ؛ وكان للمال الذى بذله ابن مقلة ، اثره في استمالة المناخلي الى جانبه ، فاشار هذا على الراضي استيزار ابن مقلة ، نوافق الراضي على ذلك ، واستوزره في يوم السبت لتسع خلون من جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ (٥٩) .

حاول ابو علي بن مقلة اثر استيزاره للراضي ، ان يسير في الناس سيرة حسنة لكسب رضاهم ، وكان يقول : « قد عاهدت الله في استتاري الا اسيء الى احد »(٦٠) ثم انه امر باطلاق المحبوسين الذين كانوا في حبس القاهر ، وقلد ابا العباس الخصيبي مهمة الاشراف على الدواوين والضياع(٦١) .

ولكن ابن مقلة فوجيء في مستهل وزارته هذه ، بمنافس قوى له ، وهو محمد بن ياقوت الذى استولى على الحجبة ورياسة الجيش ، وتدخل في تدبير اعمال الخراج والضياع بل وامور الوزارة ، فضلا عن مطالبته اصحاب الدواوين بالا يوقعوا توقيعا بولاية ولا صرف ولا غير ذلك الا بعد ان يوقع فيه بخطه(٦٢) .

وصور الصولي استبداد ابن ياقوت بالامور قائلا :

« وتمزق الامر بين محمد بن ياقوت ومحمد بن علي بن مقلة ؛ واستبد ابن ياقوت بالامر دونه ولم يمض امرا الا بتوقيعه ؛ ورمى باكثر امره الى محمد ابن احمد القراريطي الى ان اظهر الوزير اطباق دواته وترك النظر في شيء البتة ، فاذا اضطر ان يوقع في اعمال او ينظر في امر مال ، عرضت توقيعاته على ابن ياقوت فما اراد امضاءه ورضيه وقع فيه بأمضائه ، وما لم يرده لم يوقع فيه فبطل ، ولم يلتفت الى توقيع غيره »(٦٣) .

يتبين لنا من هذا ان الوزير ابن مقلة اصبح مسلوب الارادة والنفوذ في دولة الخلافة ، فلم يكن منفذا لاوامر الخليفة القاهر فحسب ، بل منفذا ايضا لاوامر محمد بن ياقوت الذى ازدادت منزلته علوا وبخاصة بعد خروجه على راس جيش من الساجية والحجرية لمحاربة هارون بن غريب الخال صاحب الدينور وما سبذان وحلوان والذى زحف الى بغداد مطالبا بزيادة المال لرجاله ؛ ولكن ابن ياقوت حاربه وقتله وسير راسه مع رؤوس عدد من قواده الى بغداد حيث امر الراضي بنصب تلك الرؤوس على باب العامة وخلع على ابن ياقوت والبسه طوقا وسوارا وكان ذلك في جمادى الاخرة سنة ٣٢٢هـ (٦٤) .

لم يستكن ابن مقلة لغلبة محمد بن ياقوت على الامور ، بل راح يدبر ضده للتخلص منه ، وقد وافته الفرصة المناسبة لتحقيق بغيته ، حينما اظهر الراضي انه يريد ان يولي جملة قواد نواحي عديدة من دولته ، وانه يرغب ان يخلع عليهم فركب الوزير ابن مقلة ومحمد بن ياقوت وكاتبه ابو اسحاق القراريطي الى دار السلطان لحضور مراسم التقليد وذلك في يوم الاثنين لست خلون في جمادى الاولى سنة ٣٢٣ هـ ويبدو ان الوزير عزم في تلك الاثناء على التخلص منهما بمساعدة بعض اعوانه ، فالقي القبض على ابن ياقوت وادخل الى حجرة منفردة ، حيث جرد من سيفه ومنطقته وحبس فيها ، كما ادخل القراريطي الى حجرة اخرى وجرى عليه مثل الذى جرى على صاحبه على ان ابن مقلة لم يكتف بحبس هذين اللذين يعتبرهما من الد خصومه ، بل ارسل جندا الى دار المظفر بن ياقوت ؛ فقبضوا عليه وحملوه الى دار السلطان ، وحبس مع اخيه محمد بن ياقوت ، ووضع الثلاثة تحت حراسة مشددة(٦٥) .

والجدير بالذكر ان الخليفة الراضي لم يحرك ساكنا ازاء هذا التصرف من جانب وزيره ، مما يدل على تأييده لاجراءاته المذكورة . ولا يستبعد ان تكون تلك الاجراءات قد تمت بعلم الخليفة ورضاه ؛ للتخلص من ابني ياقوت بعد ان ازداد نفوذهما وتدخلهما في امور الدولة .

---

(٥٨) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٤ .
(٥٩) ن . م . : ٥ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٥\١١٤ .
(٦٠) مسكويه ، تجارب الامم : ١/٢٩٣ – ٢٩٤ .
(٦١) ن . م . : ١\٢٩٥ .
(٦٢) ن . م . : ١/٢٠٥–٢٠٦ .

(٦٣) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٢١ .
(٦٤) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٠٦ – ٢٠٩ .
(٦٥) ن . م . : ١\٢١٨ ، ابن الاثير ، الكامل : ٨/٢٠٥ .

بعد ان تخلص الوزير ابن مقلة من اخطر منافسيه الذين حاولوا فرض هيمنتهم على الخلافة والوزارة معا ، عول اعتماده على ابنه ابي الحسين فأستخلفه على جميع الدواوين والاعمال ، وصار اليه الحل والعقد ، حتى بات وكأنه وزير ثان مع ابيه وبخاصة بعد ان خلع الراضي عليه خلع الوزارة وخاطبه بها ، مع حداثة سنه ، اذ كان عمره وقتئذ ثماني عشرة سنة(٦٦) .

اما احوال بغداد فانها لم تهدأ بسبب ضعف الخلافة التي لم ينقذها تدبير الوزير ابن مقلة ، فقد ساءت الامور الى حد بعيد ، وشغب الجند مطالبين بأرزاقهم ، وعندما لم يجابوا الى طلبهم ، فانهم قصدوا دار الوزير ونهبوا اصطبلاته ، واهانوا جماعة في مجلسه ، ثم عاثوا في طرقات بغداد وتعرضوا للمارة بها ، فانزعج الناس من ذلك . وهنا لم يجد الوزير بدا من اطلاق ارزاقهم فسكنوا الى حين ، ثم عاودوا الشغب ثانية فهجموا على دار الوزير ونهبوا احدى خزائنه (٦٧) ، دون ان يقوى على منعهم .

وانتهز الحنابلة شغب الجند والفرسان ، فعمدوا هم الاخرون الى اثارة المشاكل والاضطرابات ، وتقويت شوكتهم ، فكبسوا دور القواد والعامة ، واعترضوا في البيع والشراء ، وتعرضوا للناس في الدروب(٦٨) ، فركب بدر الخرشني ، صاحب الشرطة لتهدئة الامور ، فنادى في جانبي بغداد الا يجتمع من الحنابلة اثنان في موضع واحد ، وقبض على جماعة منهم وزج بهم في السجن(٦٩) .

اما في خارج بغداد ، فحدثت احداث اخرى اقضت مضجع الوزير ابن مقلة فقد تحرك ابو عبد الله البريدي ضامن اعمال خراج وضياع الاحواز ، ولكن ابن مقلة سكنه وارضاه .

وحدث حادث اخر من جانب ناصر الدولة الحمداني ، تسبب في ازعاج الخليفة الراضي وخروج ابن مقلة الى الموصل ، خلاصته ان ابا العلاء سعيد بن حمدان (عم ناصر الدولة الحمداني) كان قد تضمن الموصل وديار ربيعة سرا على مال يؤديه للخلافة ، فلماقصد ابن اخيه ناصر الدولة بن عبدالله بن الحسن في الموصل ليعلمه بذلك ، رفض هذا دفع مال الضمان ، واستشاط غضبا على عمه فامر غلمانه بقتله فقتلوه(٧٠) .

ولما ورد خبر ذلك الى الراضي امتعض ، وامر وزيره ابن مقلة بالتأهب للخروج الى الموصل والايقاع بناصر الدولة ، وهنا راجت شائعة تقول بان على بن عيسى هو الذى حرض ناصر الدولة على الامتناع عن دفع المال للخلافة وحثة على منع حمل الميرة من الموصل الى بغداد . ولا يستبعد ان يكون لتلك الشائعة ظل من الحقيقة فمن المحتمل ان علي بن عيسى كان يهدف من وراء تحريضة لناصر الدولة الحمداني احراج خصمه ابن مقلة من الناحية المالية لتعود الفوضى والاضطرابات ، ومن ثم يعجز عن تسيير امور الوزارة . وعلى اية حال فقد وجد ابن مقلة في ذلك مسوغا لمصادرة علي بن عيسى ، فحبسه والزمه بتأدية خمسين الف دينار ، فضلا عن مصادرة ماقيمته عشرة الاف دينار من عقاراته وضياعه(٧١) .

تأهب الوزير ابن مقلة للخروج الى الموصل ، فأستخلف ابنه ابا الحسين مكانه ببغداد ، واطلق سراح علي بن عيسى من السجن ، واستحلفه على ان « لا يسعى في مكروهه ولا يتكلم فيه بما يقدح في حاله ولا فيما يفسد امره ولا يسعى في الوزارة لنفسه ولا لغيره من الناس (٧٢) » . ثم حشد واستجمع العساكر فسار الى الموصل في شعبان سنة ٣٢٣ هـ لمحاربة ناصر الدولة الحمداني(٧٣) . فلما وصل اليها ، وجد ان ناصر الدولة قد غادرها ، فتعقبه الى بلد الزوزان ولم يظفر به . وحينئذ عاد الوزير ابن مقلة الى الموصل ، فلبث فيها مدة يجبي مالها ، ويستلف من التجار والمجهزين للدقيق لتغطية نفقات جيشه « فأجتمع له من ذلك اربعمائة الف دينار (٧٤) » .

ويبدو ان مقام الوزير ابن مقلة قد طال في الموصل حتى اتاه كتاب ابنه ابي الحسين من بغداد، يعلمه ان الامور قد اختلت ، وان تأخر لم يأمن حدوث مايبطل به امرهم . وذكر ابن الاثير ان بعض اصحاب ناصر الدولة الحمداني قد احتالوا على ابن الوزير وبذلوا له عشرة الاف دينار ليكتب الى ابيه يستدعيه ليعود ناصر الدولة الى الموصل(٧٥) .

---

(٦٦) ن . م . : ٣٢١/١ .
(٦٧) ن . م . : ٣٢٢/١ .
(٦٨) ابن الاثير ، الكامل : ٣٠٧/٨ .
(٦٩) مسكويه ، تجارب الامم : ٣٢٢/١ .

(٧٠) ن . م . : ٣٢٤/١ .
(٧١) ن . م . : ٣٢٤/١ – ٣٢٥ .
(٧٢) ن . م . : ٣٢٥/١ .
(٧٣) ابن الاثير ، الكامل : ٣٠٩/٨–٣١٠ .
(٧٤) مسكويه ، تجارب الامم : ٣٢٦/١ .
(٧٥) ابن الاثير ، الكامل : ٣١٠/٨ .

ومهما يكن فقد انزعج الوزير مما بلغه ، فقرر العودة الى بغداد ، وقبل عودته استعمل على الموصل وديار ربيعة ؛ علي بن خلف بن طناب ، وقلد اعمال المعاون هناك ، ماكرد الديلمي ، وهو من الساجية ، ثم انه وفى التجار ما استلفه منهم ؛ وفي الوقت نفسه ارسل كتاباً الى ابنه ابي الحسين اوصاه فيه بمداراة علي ابن عيسى ، وسبب ذلك هو ان الوزير ابن مقلة كان ارسل رسولا من عنده الى ناصر الدولة الحمداني يدعوه الى الطاعة ويبذل له الامان ، غير ان هذا لم يأمن جانبه كما يظهر ذلك من قوله للرسول :- « ليس بيني وبين هذا الرجل (يعني ابن مقلة) عمل ولا اقبل ضمانه لانه لاعهد له ولا وفاء ولا ذمة ولا اسمع منه شيئا اللهم الا ان يتوسط ابو الحسن علي بن عيسى بيني وبينه ويضمن لي عنه ، فاسكن الى ذلك واقبله (٧٦) » .

وبعد ذلك انحدر ابن مقلة من الموصل في منتصف شوال(٧٧) عائدا الى بغداد من غير ان يحقق المهمة التي خرج من اجلها ، وبعودته هذه وجد امامه مشاكل كثيرة ، في مقدمتها امتناع ابي عبدالله البريدى عن تأدية ضمان الاحواز وايوائه احمد بن علي الكوفي الذى كان احد المقربين للوزير وابنه ، والذى تنكر لهما بعد ارسالهما اياه الى البريدى ، حيث راح يصغر له امر الخلافة ويصف له ادبارها بسبب سوء تدبير الوزير .

وقد سعى ابن مقلة الى مداراة البريدى خشية تغير نيته عليه ، فكتب اليه كتابا بخطه جاء فيه : « الويل للكوفي الفاضل ، فيما انفذ حتى انفذته ليصلحك لي فافسدك علي واطمعك ، واصغيت بالشره اليه ، والله لاقطعن يديه ورجليه ، فأما انت فأرجو الا تصر على كفر نعمتي واحساني اليك . وان تنيب بك الروية الى رعاية حقوق اصطناعي لك فترضيني من نفسك ، وتعينني في مثل هذه الحالة الصعبة ، التي لم يدفع من جلس مجلسي في دولة من الدول الى مثلها ، وان تجيرني مما قد اظلني بمال تحمله ، فتحفظ به نعمتك التي احداها في يدى والاخرى في يدك ان شاء الله(٧٨) » .

هذا واننا لانعلم فيما اذا كان ابو عبدالله البريدى قد اجاب الوزير ابن مقلة على كتابه ام لا ؟ فالراجح انه لم يجبه بشيء بل ظل يماطله حتى سيطر ابو بكر بن رائق على مقاليد الامور ببغداد .

(٧٦) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٢٧/١ .
(٧٧) ابن الاثير ، الكامل : ٢١٠/٨ .
(٧٨) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٢٩/١ .

لقد استمر ابن مقلة في الوزارة ، ولكننا نكاد لانحس بأى اثر له في الناحيتين السياسية والادارية ؛ وكل ماوصل الينا من اخباره ، هو تقليده الحسن بن هارون على بلاد الجبل ، ومن بعده محمد بن خلف النيرماني على البلاد نفسها وذلك في سنة ٣٢٣هـ (٧٩) . وقلد في السنة التالية (٣٢٤ هـ) محمد بن طغج اعمال المعاون بمصر مضافة الى ماكان يتقلد من اعمال معاون الشام ؛ وفي السنة نفسها امر باطلاق المظفر بن ياقوت في حبسه من دار السلطان (٨٠) .

على ان الامور لم تجر لصالح ابن مقلة ؛ اذ ارتفعت الاسعار في سنة ٣٢٤هـ وضج العامة واشتبكوا مع الجند في مسجد الرصافة وباب الطاق ورموهم بالحجارة وقد تدخل ابن مقلة لتخفيف حدة الغلاء ، فاشار بأن يسعر مكوك الدقيق بثلاثة دراهم، واجاز ايضا تعامل الناس بالغليظ من الدراهم والممسوح طلبا للرفق بهم(٨١) ؛ ولكن جهوده في هذا المجال ذهبت سدى اذ تفاقمت الازمة باستحقاق الجند اعطياتهم ، فالتجأ الوزير الى الاقتراض من مياسير التجار مقابل صكوك يكتبها لهم ، ولكن هؤلاء لم يجيبوه الى ماطلب خوفا على اموالهم ان لاتسترد، وهنا لم يتردد في القبض على بعضهم واخذ اموالهم وبضاعتهم بالاكراه ، ومثال ذلك ماجرى على ابن جبير الدقاق حيث اخذ منه ماله ؛ وامر الوزير ان يفرق الدقيق على الاشراف والفقراء ، فاستحسن الناس ذلك ، فانفرجت الازمة ومالت الاسعار الى الاعتدال بوصول زواريق كثيرة محملة الى بغداد(٨٢) .

عزلـه عـن الوزارة :

لم توقف اجراءات ابن مقلة روح السخط بين مناوئيه الذين كانوا يتربصون به الدوائر ، وفي مقدمة هؤلاء الساخطين عليه المظفر بن ياقوت الذى ظل يسعى لاخذ الثار منه بعد ان صح عنده انه هو الذي قتل اخاه وكان السبب في ازالة امر اهله .

وافلح المظفر هذا بتحريض الحجرية على الوزير ، فتنكروا له ومالأهم الساجية فوثبوا جميعا

(٧٩) ن . م . : ٣٢١/١ .
(٨٠) ن . م . : ٣٣٢/١ .
(٨١) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٧١ .
(٨٢) ن . م . : ٧٦ .

بالوزير وقبضوا عليه (٨٣) ، وذلك في يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى من سنة ٣٢٤هـ (٨٤) ، ووجهوا الى الراضي يعلمونه بما جرى ، ويسألونه استيزار غيره .

ويبدو ان الخليفة الراضي لم يكن بأمكانه تدارك الموقف بل انه وجه اليهم يستصوب فعلهم بأنهم لو لم يفعلوا ذلك لفعله هو بنفسه ، ثم ترك اليهم اختيار وزير جديد .

ولما بلغ الناس عزل الوزير هجموا على داره ودار ابنه الملاصقة لها ونهبوهما وطرحوافيهما النار، ونهبوا ايضا جماعة من كتابه ، كما كتبوا على حيطان داره :ـ

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ماياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وحين تصفو الليالي يحدث الكدر (٨٥)

وهنا سعى الخليفة الراضي الى اسناد منصب الوزارة الى مؤهل لها ، ينوء باعبائها ويرضى عنه الغلمان الحجرية ، الذين اشاروا عليه باستيزار علي ابن عيسى لامانته وكفاءته ، غير ان هذا رفض تسنم الوزارة ، واقترح اسنادها الى اخيه عبد الرحمن بن عيسى فلاقى اقتراحه هذا هوى في نفس الراضي ، فقلد عبدالرحمن الوزارة والدواوين وخلع عليه (٨٦) .

اما ابن مقلة فانه سلم الى خلفه عبدالرحمن بن عيسى الذي عامله بالبغضاء والجفاء وضربه بالمقارع وصادر امواله ، حيث اخذ خطه بالف الف دينار . وبعد ان جرى عليه من المكاره الشيء الكثير توسط امره ابو بكر بن قرابة وضمن ماعليه (٨٧) .

وهكذا ظل ابن مقلة بعيدا عن الوزارة ، يرقب الاحداث عن كثب ، فلما راى عجز الوزير عبدالرحمن ابن عيسى عن تصريف الامور وعزله ، فضلا عن عجز وزيرين آخرين اعقباه زج بنفسه في خضم الاحداث الصعبة مما تسبب في قطع يده اليمنى ولسانه على نحو ما سنذكره بعد قليل .

---

(٨٣) ن . م . : ٨١ .
(٨٤) مسكويه ، تجارب الامم : ١/٣٣٦ .
(٨٥) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٨٢ .
(٨٦) مسكويه ، تجارب الامم : ١/٣٣٦ .
(٨٧) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٨٣ .

نهايتــــــه :

اذا كان ابو علي بن مقلة قد عاش ردحا من حياته في امن ونعمة ناشية (٨٨) فأن الوشاية كانت تترصده والمكائد تتصيده ، مما تسبب في نهاية حياته نهاية ماساوية مؤلمة .

ان محاولة ضبط الصورة التي انتهت فيها حياة ذلك الوزير الطموح ، تستلزمنا متابعة ماجرى عليه ، بدءا من استيلاء ابن رائق على مقاليد الامور ببغداد في سنة ٣٢٦ هـ وانتهاء بوفاته في سنة ٣٢٨ هـ .

عمد ابن رائق الى مصادرة ضياع ابي علي بن مقلة وابنه ، فسعى ابو علي الى استرداد الضياع المقبوضة بوساطة جماعة لدى ابن رائق ، ولكن هذا ماطله مرارا . وحينذاك لم يجد ابن مقلة بدا من الكيد له ، فأخذ يحرض الخليفة الراضي عليه من جهة ، ويطمع الامير (بجكم التركي) بأبن رائق من جهة اخرى ، فكتب الى الراضي يشير عليه بالقبض على ابن رائق واسبابه ويضمن مقابل ذلك أن يستخرج له ثلاثة الاف الف دينار ، واشار عليه ايضا بتنصيب بجكم مكانه (٨٩) . وكانت مكاتبته للراضي قد جرت على يد علي بن هارون بن المنجم النديم (٩٠) .

لقد ظن ابن مقلة ان تصريف الامر سيكون في صالحه ، فهم بتنفيذ تدبيره على ابن رائق بعد ان توثق لنفسه من الخليفة ، فخرج من داره متخفيا ليلة الاثنين لليلة بقيت من شهر رمضان لمقابلة الراضي ، فلما وصل اليه رفض هذا مقابلته ، وامر باعتقاله في حجرة بدار السلطان ، وفي الصباح ارسل الى ابن رائق يخبره بتدبير ابن مقلة عليه وماجرى له (٩١) . فكان ذلك بداية لنهايته المأساوية اذ ما ان حل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من شوال سنة ٣٢٦ هـ ، حتى اخرجه الراضي من سجنه ، فأمر بقطع يده اليمنى (٩٢) ، اى انه امر بقطع كف صناع

---

(٨٨) انظر على سبيل المثال : المحسن بن علي التنوخي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ١\٧٠ . الدلجي ، الفلاكه والمفلوكون : ١٢٨ . لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية (الترجمة العربية) : ١٨٩ . ادم متز الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى (الترجمة العربية) : ١/١٧٤ .
(٨٩) مسكويه ، تجارب الامم : ١/٢٨٦ .
(٩٠) ياقوت : معجم الادباء : ٥/٤٤٠ .
(٩١) مسكويه ، تجارب الامم : ١/٢٨٧ .
(٩٢) ن . م . : ١/٢٨٨ . ابن الاثير ، الكامل : ٢٤٥-٢٤٦ .

واداة من ادوات الزينة والجمال في دولته وذلك هو الحمق بعينه ، والغفلة في اقبح صورها(٩٢) .

على ان الراضي لم يطلق سراح ابن مقلة بعد الذى احله به ؛ بل رده الى سجنه متوجعا متحسرا على يمنيه ، ويكفي هنا ان نصور حاله في نكبته هذه بما حكاه ثابت بن سنان (٩٤) قائلا : « استدعاني الراضي وامرني بالدخول اليه وعلاجه فصرت اليه فوجدته في حجرة مقفلة عليه ، ففتح الخادم الباب فرايته بحال صعبة فدمعت (عينه) حين رآني ، ووجدت ساعده قد ورم ورما عظيما ، وعلى موضع القطع خرقة غليظة ... مشدودة بخيط قنب ، فحللت الشد ، ونحيت الخرقة فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين الدواب ، فنفضته عنه واذا راس الساعد اسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص في ذراعه لشدة الورم وابتدأ ساعده يسود (فعرفت) ان سبيل الخيط ان يحل ويجعل موضع السرجين كافور ويطلى ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور ... فحللت الخيط وفرغت المخزن في موضع القطع وطليت ساعده ... فرجعت اليه نفسه وانصرفت ثم ترددت اياما كثيرة الى ان عوفي وكنت اذا دخلت اليه يسالني عن خبر ابنه ابي الحسين فاعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح ويبكي على يده ... (٩٥) » .

هذه هي صورة النكبة القاسية التي حلت بأبي علي بن مقلة ، الذى لم يبق امامه سوى ان يندب حظه العاثر ، فقال متوجعا متحسرا على يمينه : « قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتب بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص (٩٦) » ! ! وراح يتمثل بهذا البيت من الشعر :

اذا مامات بعضك فابك بعضا
فبعض الشيء من بعض قريب

ومن قوله المؤثر في نكبته وغدر الدنيا به :

ما سئمت الحياة لكن توثقت
بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى
حرموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بجهدي
حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش
ياحياتي بانت يميني فبيني(٩٧)

وقد وصف بعض المؤرخين حال هذا الرجل في اخر ايامه بعد القوة وحياة الابهة ، وتسنمه الوزارة ثلاث دفعات في ظل ارباب السيوف ، فيقال انه كان لايجد من يخدمه حتى كان يستسقي الماء بنفسه من البئر فيجذب حبل الدلو بيده اليسرى ثم يمسكه بفيه (٩٨) .

والغريب انه كان يراسل الراضي من السجن بعد قطع يده ، يطمعه في المال ويطلب اليه اعادة استيزاره ، ولكن الراضي لم يسمع له ، بل صب عليه جام غضبه وهو متمكن منه شر تمكين ، فأمر بقطع لسانه بعد يده ، ثم نقل الى سجن ضيق ، ولحقه شقاء شديد الى ان مات فاستراح من عذابه الاليم ، وذلك في شوال سنة ٣٢٨هـ (٩٩) ، ودفن بدار الخليفة ، ثم ان اهله طالبوا فيه فنبش وسلم اليهم ، فدفنوه في داره ، ثم نبش ونقل الى دار اخرى هي دار زوجته(١٠٠) .

وهكذا انتهت حياة الوزير ابي علي بن مقلة ، الذى ولي الوزارة ثلاث دفعات ، ووزر لثلاثة خلفاء ، وسافر ثلاث سفرات اثنتين منفيا الى شيراز وواحدة في وزارته الى الموصل ، ودفن بعد موته ثلاث مرات .

---

(٩٢) على الجندى واخرون ، اطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والاسلام : ٤٧٣ .

(٩٤) هو ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب ، من اسرة اشتهرت بالطب ، وورث هو الصنعة عن ابيه وجده . (القفطي اخبار العلماء بأخبار الحكماء : ١٣٠ ، ١٣٢) .

(٩٥) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٨٧/١ — ٢٨٨ .

(٩٦) ن . م . : ٢٨٨/١ .

(٩٧) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١١٦/٥ .
ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب : ٢\٣١١ .

(٩٨) ابن الاثير ، الكامل : ٣٤٦/٨ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١١٦\٥

(٩٩) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ١٤٢ . ابن الاثير ، الكامل : ٣٤٦/٨ .

(١٠٠) ابن الاثير ، الكامل : ٣٤٦/٨ . ابن الطقطقى ، الفخرى في الاداب السلطانية : ٢٧٢ — ٢٧٣ .

المصادر والمراجع

ابن الاثير ، عزالدين علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) :

١ ـ الكامل في التاريخ ١٢ جزءا (دارصادر ـ دار بيروت ، بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)

ابن تغرى بردى ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ) :

٢ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢ جزءا (النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣) .

ابن الجوزى ، علي بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٩٧هـ) :

٣ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٦ ـ ١٠ (حيدر اباد الدكن ١٩٥٩) .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨) :

٤ ـ تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر ايام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، ٧ مجلدات (دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٥٦ـ١٩٦١) .

ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١ هـ) :

٥ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٨ أجزاء ، تحقيق احسان عباس (دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ـ١٩٧٢) .

ابن الطقطقى ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) :

٦ ـ الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (بيروت ١٩٦٦)

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ) :

٧ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ٨ اجزاء (المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت) .

ابن النديم ، محمد بن احمد بن اسحاق (ت ٣٨٠ هـ) :

٨ ـ الفهرست (مطبعة الاستقامة ، مصر)

انور ، الدكتور . أ . سهيل :

٩ ـ الخطاط البغدادى علي بن هلال المشهور بابن البواب ، ترجمة محمد بهجة الاثرى وعزيز سامي (مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٥٨) .

التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ) :

١٠ـ نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، ٨ أجزاء ، تحقيق عبود الشالجي (بيروت ١٩٧١ ـ ١٩٧٣) .

الثعالبي ، ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ) :

١١ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٥)

١٢ـ من غاب عنه المطرب (المطبعة الادبية ، بيروت ١٣٠٩ هـ) .

الجندى ، علي واخرون :

١٣ـ اطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والاسلام ط ١ (القاهرة ١٩٥٩) .

الدلجي ، احمد بن علي (ت ٨٠٨ هـ) :

١٤ـ الفلاكة والمفلوكون ، (مطبعة الشعب)مصر ١٣٢٢هـ) .

الصابي ، هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ) :

١٥ـ الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق احمد عبد الستار فراج (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨) .

الصولي ، ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ) :

١٦ـ اخبار الراضي والمتقي لله ، عني بنشره ج .هيورث . دن (مطبعة الصاوى مصر) .

القرطبي ، عريب سعيد (ت ٣٦٦ هـ) :

١٧ـ صلة تاريخ الطبرى (ليدن ١٨٩٧) .

القلقشندى ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) :

١٨ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ١٤ جزءا (النسخه المصورة بالاوفست عن الطبعة الاميرية) .

الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد :

١٩ـ عصر الخليفة المقتدر بالله (مطبعة النعمان ، النجف ١٩٧٤) .

لسترانج ، كي :

٢٠ـ بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس ط ١ (المطبعة العربية ، بغداد ١٩٦٢) .

متز ، ادم :

٢١ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة عبد الهادى ابو ريدة ط ٣ (القاهرة ، ١٩٥٧) .

المسعودى ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦) .

٢٢ـ التنبيه والاشراف (بيروت ، ١٩٦٥)

مسكويه ، احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) :

٢٣ـ تجارب الامم ، جزءان ، اعتنى بنشره هـ . ف . امدروز (مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٩١٥ـ١٩١٦) .

مؤلف مجهول :

٢٤ـ العيون والحدائق باخبار الحقائق ، الجزء الرابع ـ القسم الثاني ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود (مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٤) .

الهمداني ، محمد بن عبدالملك (ت ٥٢١ هـ) :

٢٥ـ تكملة تاريخ الطبرى ، ط ٢ (المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١)

ياقوت الحموى ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) :

٢٦ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء ، ٧ أجزاء ، بأعتناء مرغليوث (مطبعة هندية ، مصر ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥) .

٢٧ـ معجم البلدان ، ٥ أجزاء (بيروت ١٩٥٧) .

كتاب الألفات لابن خالويه

تحقيق الدكتور

علي حسين البواب

كلية الشريعة واللغة العربية ـ ابها

السعودية

القسم الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة :

اذا كانت لغتنا العربية قد شهدت ثراء في التآليف اللغوية على مر العصور، فان القرن الرابع الهجري يعدّ بحق عصر ازدهار المباحث اللغوية، فقد اجتمع في هذا القرن عدد كبير من ائمة اللغة وعلمائها: فابوعلي الفارسي، وابن جني والجوهري، وابن فارس؛ والأزهري، وابن دريد، والفارابي، والقالي، والزبيدي، وابو بكر بن الانباري وغيرهم كثيرون، هم بعض علماء اللغة في ذلك القرن، وتراثهم اللغوي شاهد على ما كان لعصرهم من انتعاش العلوم العربية بعامة، والبحث اللغوي بصفة خاصة.

في تلك الفترة المزدهرة سياسيا وثقافيا عاش ابن خالويه(١) : وهو ابو عبدالله، الحسين بن احمد(٢) بن خالويه بن حمدان، ولا تتعرض كتب التراجم لسنة ولادته، ولكنها تذكر أن اصله من « همدان »، ثم دخل بغداد سنة ٣١٤ هـ، وتلقى العلوم على اكابر علماء بغداد، كابن مجاهد احد ائمة القراء(٣)، وابي عمر الزاهد(٤) وابن دريد(٥) اللغويين، وابي بكر بن الانباري(٦) وابي سعيد السيرافي(٧) النحويين وغيرهم. ثم انتقل الى الشام، واتصل بالحمدانيين في حلب، فاكرموه واستقر عندهم، وكان له في مجلس سيف الدولة مع المتنبي مخاصمات ومباحث تفيض بها كتب الأدب. وقد وصف ابن خالويه بانه: امام في العربية، حافظ للغة، بصير بالقراءة، ثقة مشهور. واجمع المؤرخون على انه توفى بحلب سنة ٣٧٠ هـ.

ولابن خالويه مؤلفات كثيرة اذكر منها : الآل ؛

---

(١) اعتمدت في هذه الترجمة الوجيزة للمؤلف على :
- ابن خلكان ـ وفيات الاعيان : ١٧٨/٢ .
- القفطي ـ انباه الرواه : ٣٢٤/١ .
- ياقوت ـ معجم الادباء : ٢٠/٩ .
- السبكي ـ طبقات الشافعية : ٢١٢/٢ .
- ابن الجزرى ـ غاية النهاية : ٢٣٧/١ .
- السيوطي ـ بغية الوعاة : ٥٢٩/١ .

وينظر مقدمة كتاب « الحجة »، وخاتمة كتاب : اعراب ثلاثين سورة » وكلاهما للمؤلف.

(٢) هكذا ورد اسمه في الكتب المذكورة، عدا انباه الرواة، فقد سماه : الحسين بن محمد ...

(٣) ينظر ترجمته في غاية النهاية : ١٣٩/١ .

(٤) ينظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٣٢٩/٢ .

(٥) ينظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٣٢٣/٢ .

(٦) ينظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٣٤١/٢ .

(٧) ينظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٣٤٢/٢ .

و الأمالي ، والتذكرة ، والجمل ، والاشتقاق ، وشرح الدريدية ، والمقصور والممدود ، والمذكر والمؤنث وغيرها . وقد طبع من مؤلفاته : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، والحجة في القراءات السبع ، ومختصر في شواذ القراءات ، وليس في كلام العرب .

واقدم هنا مؤلفا لابن خالويه يظهر لاول مرة، وهو كتاب «الألفات» ، وهذا الكتاب ذكره للمؤلف ابن خلكان ، والقفطي ، وياقوت ، والسيوطي(٨) . والمؤلف لم يسم الكتاب صراحة بهذا الاسم ، ولكنه سئل شرح اصول الهمزات التي في اوائل الاسماء والحروف ، وما جاء من ذلك في كتاب الله تعالى خاصة ... فراى أن يؤلف كتابا « يذكر فيه جميع الألفات ، وكل ما ورد من ذلك في التنزيل وغيره ؛ ليكون كتابي هذا جامعا للألفات كلها .... »(٩) ولذلك اخترت للكتاب عنوان « الألفات » . واشير الى ان شيخه ابن الانباري الف كتاب « شرح الألفات »(١٠) ، ولكن الترتيب والمادة مختلفة بين الكتابين .

اما نسبة الكتاب لابن خالويه فهي جلية لا شك فيها : فالمترجمون ـ كما اسلفت ـ ذكروا له كتابا بهذا الاسم ، وقد كتب في اول المخطوطة التي احقق الكتاب عنها : قال ابو عبدالله الحسين بن خالويه النحوي رحمة الله عليه ..... ، ومادة الكتاب ، واسلوبه لا تدع مجالا للشك في نسبة الكتاب للمؤلف، والاهم من ذلك أن كثيرا مما جاء في الكتاب من الاراء والاحكام يطابق نصا او معنى ما جاء في كتبه الاخرى كالحجة والاعراب وليس ، وقد احال المؤلف في « الاعراب » على هذا الكتاب(١١) .

اما مادة الكتاب فتناول فيها المؤلف ما سماه « الألفات » ، وقد تحدث فيه عن الف الوصل في الافعال والاسماء والحروف والادوات ، وعن الف الاصل ، والف الفصل ، والف القطع ، فهي على ذلك اربعة اقسام . ولكنه تعرض خلال الكتاب للحديث عن كتابة الهمزة متوسطة او متطرفة ، وعن تخفيفها وابدالها وغير ذلك . فالالف عنده شامل لها وللهمزة . وقد الف في موضوع ، « الالف » و « الهمزة » في العربية عدة مؤلفات لا حاجة لذكرها في هذه المقدمة المختصرة .

وقد قدم المؤلف للكتاب بمقدمة اشار فيها الى ان كتابه جامع للالفات كلها ، ومن ثم عدها سبعة وسبعين قسما ، ومن هذا التقسيم يتضح التصنع والمبالغة ، وتفتيت النوع الواحد الى اقسام عديدة ليظهر الجمع والاستقصاء؛ وهو في المقدمة لايفرق بين الهمزة والالف ، وبين الاصلي والزائد . ولكنه عاد فاعترف بأن « اكثرها فروع » . واقتصر في الشرح على الاقسام الرئيسة منها .

وعقد المؤلف في آخر الكتاب فصلا لمعاني صيغة « افعل » واستخداماتها ، ولعله فعل ذلك لوقوع الهمزة في اول هذه الصيغة ، فأوجد لنفسه مبررا لالحاق هذا الفصل بالكتاب .

وتتمثل قيمة هذا الكتاب في انه احد مؤلفات التراث العربي ، الذي من واجب كل غيور على لغته وامته أن يعمل على اظهاره وخدمته ، ومؤلف الكتاب من العلماء القدماء المشاهير ، والكتاب يحوي بعض المسائل الصرفية الخاصة بالحذف والابدال، وفيه بعض القواعد الاملائية ، ويهتم مؤلفه بالقراءات القرآنية ، كما اننا نجد في الكتاب بعض القواعد الكتابية المتعلقة بالهمزات ، والف الفصل ، وغيرها مما تغيرت طريقة كتابتها في أيامنا هذه .

وصف المخطوطة ، ومنهج التحقيق

لم يتعرض احد من المحدثين ، ممن تناولوا ابن خالويه بالدراسة ، او ترجموا له ، او حققوا بعض كتبه ـ لم يتعرض احدهم لذكر شيء عن كتاب « الألفات » ، لان كل ما عرف عن الكتاب هو اسمه فقط ، ولم يطلع احدهم عليه ، أو يقف على نسخة منه .

وقد عثرت على هذا الكتاب ضمن المجموع رقم (١٢ مجاميع تيمور) المخطوط بدار الكتب

(٨) ينظر ترجمة المؤلف في وفيات الاعيان ، وانباه الرواة ، ومعجم الادباء ، وبغية الوعاة .

(٩) الصفحة الاولى من الكتاب .

(١٠) طبع هذا الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ العدد ٣٤ سنة ١٩٥٩ م

(١١) اعراب ثلاثين سورة : ٣١ .

المصرية ، وفي المجموع عدد من الرسائل والكتب ، وهو مكتوب بخط نسخي عادي ، وقد رقمت صفحات المخطوط كلها؛ وليس كل ورقة على حدة كما هو الغالب في ترقيم المخطوطات . وقد عزمت على تحقيق هذا الكتاب ـ بعد ان تأكدت من صحة نسبته لابن خالويه ، فبحثت في فهارس المخطوطات، وكتب التراجم الحديثة لعلّي اقف على نسخة اخرى للكتاب فلم افلح .

ويقع كتاب ابن خالويه في اثنتين وثلاثين صفحة من المخطوط المذكور ، من صفحة ١٨٠ الى صفحة ٢١١ . وفي كل صفحة واحد وعشرون سطرا ، ومعدل كلمات السطر الواحد حوالي اثنتى عشرة كلمة . وقد كُتِبَ سنة ١٠٣٩ هـ كما نص على ذلك الناسخ في آخر صفحة ولكنه لم يذكر اسمه ، أو اسم من نسخ الكتاب له ؛ او المصدر الذي استنسخ عنه .

واول صفات المخطوطة انها مليئة بالاخطاء النحوية والاملائية ؛ كثيرة التحريفات والسقط ، وقد اخطأ الناسخ في كتابة الآيات القرآنية ، أما الاشعار فقل أن تجد بيتا كتب صحيحا او مستقيم الوزن . وقد اقتضى هذه الاخطاء الكثيرة الى اصلاح ما امكن منها دون اشارة الى ذلك ـ كما هو المتبع في منهج تحقيق الكتب ، وذلك انني لو اشرت الى كل خطأ املائي اونحوي اوتحريف وقع فيالمخطوطة ـ لامتلأت الرسالة بالحواشي والتعليقات التي لا طائل تحتها ولا جدوى منها .

أما الزيادات التي يقتضيها النص ـ وهي غير قليلة ـ فقد اثبتها بين قوسين معكوفين ، ولم أشر لذلك في الحواشي اكتفاء بالتنبيه على ذلك هنا ، واعتمادا على ان كل ما هو بين معكوفين من تدخل المؤلف في النص .

وفي الرسالة الفاظ غير واضحة ، تركت منها مـا لـم أتمكن من تصويبه ، واشرت الى ذلك في الحواشي .

وقد اشرت الى بداية كل صفحة من صفحات المخطوطة ، وذكرت رقمها .

وكان من عملي في تحقيق النص :

تخريج الآيات القرآنية ؛ بذكر رقم الآية والسورة . واكتفيت بالقول من الآية ... اشارة الى انها جزء من الآية . كما اشرت الى القراءات المختلفة التي اوردها المؤلف ؛ ومصادرها . وقد خرّجت الحديثين الشريفين اللذين ساقهما في الكتاب .

ـ اثبات الابيات الشعرية على اقرب صورة ارادها المؤلف ـ بعد تصويب ما فيها من اخطاء اعتمادا على المصادر المختلفة ؛ ثم نسبتها ان امكن .

ـ تخريج بعض النصوص والآراء ، وذكر ما يلزم من الاقوال المساعدة على فهم النص ، والاحالة على بعض المراجع للافادة . وقد استعنت في كثير من ذلك بكتب المؤلف : الاعراب ، والحجة ، وليس .

ـ وقد عرّفت بالاعلام المحتاجة لذلك باختصار ، وشرحت بعض ما غمض من الالفاظ .

وبعـــد :

فاني اسأل الله تعالى ان يجعل عملي المتواضع هذا خالصا لوجهه ، وارجو ان اكون قد قدّمت شيئا للغتنا العربية وان كنت قد وفقت في شيء فمن الله ، وما قصرت فيه واخطات فمن نفسي .

ولـه الحمـد والمنّـة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه ، وسلّم .

قال أبو عبدالله الحسين بن خالويه النحوي ، رحمة الله عليه :

الحمد لله حقّ حمده ، وصلّى الله على محمد عبدِه ، وآله .

أما بعد ، وفّقنا الله وإياكَ ، فإنّكَ سألتني شرحَ أصول الهمزات التي في اوائل الأسماء والأفعال والحروف ، وما جاء من ذلك في كتاب الله تعالى خاصة ، إذْ كانت كثيرة الدَّوْرِ في القرآن ، مختلفة الألفاظ : فتارةً تكون مفتوحة أو مضمومة ، وأخرى مكسورة ، وتجيء موصولة ، ومقطوعة ، وسِنْخيّة(١) ، وزائدة لا تغيّر معنى ، وزائدة تفيد معنى بدخولها ، وسبيلُ ما كان بهذه الصفة أن يُبَيَّن ويُلَخَّص بما يقرب من فهم القارىء والمتعلّم ، بتفصيل أصوله ، وشرح فروعه .

فاعلمك ـ أَرْشَدَكَ اللهُ للذي يُزْلِف إليه ـ أنّي قد أجبتك إلى ما سألت ، ولم أقتصر على تبيين الهمزات المُبْتَدأ بها دون الألفات المتوسّطات والمتطرّفات ، إذْ كان احتياج القارىء إلى معرفة هاتين كاحتياجه إلى تلك ، فرأيت أن أؤلف كتاباً أذكر فيه جميع الألفات ، وكلّ ما ورد من ذلك في التنزيل وغيره ، ليكون كتابي هذا جامعاً للألفات كلّها ، وأن لا يشذّ عنه شيء من الأصلية والزائدة / والمنقلبة عن الياء والواو ، والمبدلة من النون ، وأَجْمَعُ ألقابَها في أول الكتاب / وأُتْبِعُها بتفسير ألف ألف على النسق ، ليسهل حفظه . وما توفيقي إلى بالله ، عليه توكّلْت وإليه أنيب

باب القاب هذه الألفات(٢)

وهي تنقسم سبعة وسبعين قسماً :

ألف وصل ، وألف أصل ، وألف فصل ، وألف قطع ، وألف استفهام ، وألف أمر بلفظ

---

(١) السنخية من السنخ ، وهو الأصل ، اى : الأصليّة .

(٢) يلاحظ على التقسيمات التي ذكرها المؤلف ان العدد الذى ذكره ـ وهو سبعة وسبعون غير مطابق لما ساق من الألفات ، وان اكثرها فروع لاصول معدودة ، وانه اورد هذه الالفات دون توضيح او استشهاد وبعضها محتاج لذلك .

الاستفهام ، وألف تكون توبيخاً ووصلا وقطعا ،وألف توبيخ ، وألف تعزير ، وألف التسوية ، وألف لفظه القطع وهو أصل ، وألف التوقيف ،وألف يولّد بها الاستفهام والخبر وتكرّر ، وألف تحتمل أربعة معان باختلاف ، وألف تكون في الاسم المنفرد فمتى حرّكت صارت جمعا ، وألف الإيجاب ، وألف الادماج منقلبة عن ياء ،وألف منقلبة عن واو ، وألف بدل من هاء ، وألف تعوّض من النون الخفيفة ، وألف تبدل من التنوين في الوقف ، وألف مقصورة وألف ممدودة تكونان علامتي تأنيث ، وألف إشارة إلى حاضر وأخرى إلى غائب ، وألف الترنّم بعد الصوت ، وألف تدخل في أبنية الأسماء والأفعال،وألف تحجز بين النونات ، وألف تكون بدلا من حرف مشدّد، وألف تكون علامة للرفع والتثنية،وأخرى تكون علامة للتثنية خاصة وألف تكون علامة للنصب ، وألف تكون علامة للجر ، وألف تزاد على هاء التأنيث ، وألف تدخل مع التاء للجمع ، وألف تزاد وحدها للجمع بإزاء ياء التصغير قبل آخرها ، وألف تزاد في الجمع متطرّفة ، وألف تزاد مع نون الجمع ، وأخرى تزاد في صفة المذكر في فَعْلان ومؤنّثه فَعْلى ، وأخرى بلفظها ولا مؤنّث له ، وأخرى بلفظها / واختلف النحويون فيها ، فجعلها بعضهم — أعني الكلمة فَعّالا ، وبعضهم فَعْلانا ، وألف تفخّم تفخيما شديدا في لغة أهل الحجاز ولا تعد في الثمانية والعشرين حرفا ، وألف تكون استفهاما متى تحرّك الحرف الثاني دخلت عليه ، فإن سكن كان خبرا ، وألف مثلها متى سكن ما بعدها أشبه الشك ، وألف مقصورة يحتمل أن تكون سِنْخيّة وملحقة ، وأخرى بلفظها يحتمل أن تكون ملحقة وبدلا من التنوين وزائدة للتأنيث ، وألف تزاد عامة للفتحة في رؤوس الآي وقوافي الشعر ، وألف تكون بإزاء المخاطب، وألف تكون المكْنِيّ فيستوى كناه المرفوع والمنصوب والمجرور فيها ، وأخرى كذلك يولّد بها المرفوع والمنصوب والمجرور ، وألف تكون مع الاسم الظاهر ألفا ومع المكْني ياء ، وألف تكون ضدّا لما ذكرت في بعض اللغات فتصير مع الظاهر ياء ، وأخرى تكون مع الظاهر ألفا ومع المكنى واوا ، وألف تكون مع الظاهر والمكنيّ جميعا ألفا ، وألف في لفظ التثنية والمراد جماعة أو اثنان ، وألف تبدل من ياء المتكلم ، وألف تكون علامة للرفع والنصب ، وألف تعوّض من عين ، والف تبدلها من واو في الأفعال ولا تبدلها في الأسماء ، وألف تحرّكها في الترخيم مع آخر الاسم ، وأخرى لا تحذفها في الترخيم وان كانت قبل آخر الاسم ، وألف في آخر كلمة تحذفها

وقد تعرض كثير من اللغويين والنحويين لالقاب الالف والهمزة ، ينظر في ذلك :

لسان العرب ، وتاج العروس : حرف الألف الليّنة، والجنى الداني للمرادى : ٣٠–٣٦ ، ورصف المباني : ٨–٥٨ ، ومغنى اللبيب :١٧–٢٩ ، صفة ٤٨٤–٤٨٧ ، وشرح التصريف الملوكي ١٣٥–١٥٠ ، وادب الكاتب ٢٨٥–٢٩٥ .

في الدَّرْج وتثبتها في الوقف اتّباعا للمصحف ، وألف في المصحف بدل من التنوين وجعلها بعضهم ياء ولاماً في الفعل ، وألف تحذفها تارةً وأخرى اتّباعاً للقرّاء والمصاحف متّفق على إثباتها خطاً ، وألف تثبت فيما لا ينصرف / في الوقف خاصة ، وأخرى تثبت فيما لا ينصرف اتّباعا لرؤوس الآي ، وألف تثبت في المصحف اتّفق القرّاء على حذفها ولو ثبتت لفظا ، وألف قدّموها وحكمها التأخير ، وألف تقرأ موصولة ومقطوعة : فمتى قُطع كان جمعا ، ومتى وُصل كان فعلا ماضيا ، وألف زيدت مع واو تشبيها بألف الفصل – أعني في المصحف ، ومنها ما اختلف القرّاء فيه فجعلها بعضهم ألف قطع ، وجعلها آخرون ألف وصل ، وألف تثبت في آخر ما لا ينصرف في بعض المواضع دون بعض اتّباعاً للمصحف ، وألف متى أثبتها في الاسم انصرف ومتى حذفها لم ينصرف وقد جاء ذلك في القرآن العظيم ، وألف أتت ممدودة لتحجز بين الساكنين فهمزها بعضهم ، وألف أتت كذلك ولو حذفت ما أخلّت بالكلام ، وألف تأتي مقصورة وممدودة بلفظ واحد ، وأخرى تأتي مقصورة وممدودة لمعنيين مختلفين ، وألف مقصورة معربة ، وأخرى منوّنة غير معربة ، وأخرى غير منوّنة ولا معربة ، وألف قلبت ياء لئلا يجتمع ثلاث ألفات ، وأخرى تقلب واوا في النسب ، وأخرى تقلب في التثنية لئلاّ تحذف لسكون ألف التثنية ، وأخرى تحذف في التثنية لا غير ، وأخرى تقلب واوا في التصغير ، وألف تثبت بعد واو متحرّكة في موضع واحد من القرآن ، وألف اتفقت المصاحف أو أكثرها على كتبها ياء واتّفق القراء على تفخيمها ، وألف التأنيث – ومن القراء من يجعلها ياء بالاضافة الى النفس ، وألف كتبت في المصحف ياء وهي منقلبة عن واو لعلّة تباينها ، وأخرى كتبت في المصحف بالياء وهي من الواو ، / وألف التأسيس وهي تقع في قوافي الشعر .

واعلم أن هذه الأقسام أكثرها فروع فلا يهولنّك عددها ، فإني سأشرحها بأخصر لفظ وأوجز بيان ، لتنال معرفة ذلك عن قرب إن شاء الله تعالى . وإنّما تقصّيْتُ ذلك لإنّي رأيت بعض النحويين قد خطّأ السلف في كُتُبهم بعض هجاء المصحف ، ولحّنَ آخرون كثيرا من القرّاء ، وذلك لقلّة المعرفة بمجاز كلام العرب ، وقصور هممهم عن افتنان العرب في أَلِفاتها ، وإنّما أسأل الله تعالى العون على جميع أموري ، والسلامةَ في الدين والدنيا ، فإنّه لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، وهو ربّ العرش العظيم .

باب معرفة الف الوصل [في الأفعال](٣)

اعلم أنّ ألف حكمُها أنْ تدخل على الفعل دون الاسم والحرف ، وذلك أنّ الأفعال

(٣) عرّف ابن جني في المنصف ١/٥٣ الف الوصل بانها همزة تلحق اول الكلمة توصلا الى النطق ←

هي المتصرّفة والتي يسكن أوائلها ، فأتى بألف الوصل ليتوصّل بها إلى الساكن ؛ لأن اللسان لا يَطَوَّع بالنطق بالساكن • وإنما دخلت ألف الوصل في أسماء معدودة سوف أذكرها ، وقد دخلت ألف الوصل في جميع كلام العرب على حرفين ، ونبيّن ذلك أيضاً •

فألف الوصل تُمتحن بثلاثة أشياء ـــ أعني في الفعل الثلاثي : بسقوطها في الماضي ، وسقوطها في الدَّرْج ، وبفتح أول المستقبل ، وذلك[٤] نحو الألف في اضرب واعلم وادخل ؛ ألا ترى أنّك تقول : يازيدُ اضْرب عمراً ، وَاعْلم ،وادْخل[٥] • قال الله تعالى : « أن اضْرب بعصاك الحجر »[٦] ، « واعْلموا أنّما غنمتم من شيء »[٧] ، « وإياكَ نستعينُ • اهْدنا الصراط المستقيم »[٨] • فكلُّ هذه الألفات ساقطة في الدرج لأنّها ألف وصل ، ولا تدخل أبدا إلا على ساكن في ابتداء الكلمة ، فإنْ وصلتَها بكلام قبلها أسقطها لفظا وأثبتها خطّا ، إلا ما كثر استعماله فحذفت / لفظا وخطّا ، وهو قوله « بسم الله »[٩] ؛وذلك أن الخط مبناه على الوقف لا على الوصل •

فإذا حرّكت فاء الفعل استغْنَى عن ألف الوصل ، وذلك نحو كلّم يُكَلّم ، ودَحْرَج يُدَحرج ، وقال يقول ، وباع يَبيع • تقول في هذا إذا أمرت : عَلّم ، ودَحْرج ، وقُل ،

بالساكن وهرباً من الابتداء به ؛ اذ كان ذلك غير ممكن في الطاقة فضلا عن القياس ... وهذه الهمزة انما حرّكت لسكونها وسكون مابعدها ،وهي في الأصل زائدة ساكنة . وقال المالقي في رصف المباني ٣٨ : وكان الوجه ان يقال لها همزة ايصال لا وصل ، لأنها لاتصل ولكن توصل الناطق الى النطق بالساكن بعدها ...... وقد ذكر الرضي في شرح الشافية ٢/٢٦ ، والمالقي في الرصف ٣٩ الافعال التي تكون همزاتها للوصل وهي :ماضي ومضارع تسعة أفعال من مزيد الثلاثي هي انفعَلَ ، وافعَلّ ، وافعَالّ ، وافتَعَلَ ،واستفعَلَ ، وافعنلَل ، وافعنلى ، وافعَوعَلَ ، وافعَوّل . واثنان من الرباعي المزيد هما : افعَنلَل وافعَلَلّ ؛ وصيغة امر الثلاثي اذا لم يتحرك فاء المضارع . وينظر اوضح المسالك لابن هشام ٤/٣٦٧ .

(٤) بدأ المؤلف بالتمثيل لسقوط همزة الوصل في الدرج مخالفا الترتيب الذي ذكره .

(٥) في الاصل (واجلس) ، وصوب مراعاة لماقبله .

(٦) من الاية ١٦٠ سورة الاعراف .

(٧) من الاية ٤١ سورة الانفال .

(٨) الآيتان ٤،٥ من سورة الفاتحة . ويلاحظ ان الهمزة تسقط من (اهدنا) في الدرج اذا قرانا الآيتين متصلتين .

(٩) قال المؤلف في اعراب ثلاثين سورة ٩ : فإن قيل: لم اسقطت الالف من «بسم» والاصل «باسم»؟ فقل : كثرت على السنة العرب عند الاكل والشرب والقيام والقعود . « قال ابن قتيبة في ادب الكاتب ٢٣٦ : تكتب «بسم الله» اذا افتتحت بها كتابا، اوابتدات بها كلاما بغير الف لانها كثرت في هذه الحال على الالسنة في كل كتاب يكتب عندالفزع والجزع ، وعند الخبر يرد ، والطعام يؤكل ، فحذفت الالف استخفافا . وينظر ادب الكتاب لابي بكر الصولي : ٣٥ .

وبعْ . وذلك أنّ الأمر مبنى على الفعل المستقبل ، فإذا صادفته [ساكنا] أدخلت عليه ألف الوصل كقولك : جَلَسَ يَجلس ، وضرب يضْرب ، تقول [اجلس و] اضرب . فإذا صادفته متحركا استغنيت عنها .

وأصلُ قلْ : اقْوُلْ[١٠] ، فاستثقلت الضمة على الواو ، لأنّ الواو من حروف المدّ واللين[١١] ، وهي لا تحتمل ، فنقِلت حركة الواو إلى القاف ، فلما تحرّكت القاف استغْنى عن ألف الوصل ، فصار قُولْ ، فوجدوا اللام ساكنة والواو ساكنة ، فحذفوا الواو لالتقاء الساكنين ، وكان أولى بالحذف من اللام ، لان اللام حرف صحيح ، والواو عليل ، والعليل أولى بالحذف من الصحيح ، لأنك إنْ حذفتَها كانت هناك ضمّة تدلّ على الواو . وكلّ فعل صحّت لامه واعتلّت عينه كان حذفُ [عينه] عند سكون لامه لالتقاء الساكنين لا للجزم . ومثل قال يقول ، زال يزول ، وحال يحول .

فإن كانت عين الفعل ياء وحذفتها لالتقاء الساكنين بقيت كسرة تدلّ عليها ، وذلك نحو : بع وكِلْ وسِرْ ، في باع يبيع ، وكال يكيل ، وسار يسير . والأصل : ابْيِعْ مثل اضرب ، فاستثقلت الكسرة على الياء كما استثقلوا الضمة هناك على الواو ، فنقلوها إلى الياء ، واستغنوا عن ألف الوصل لتحرّك الباء ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين[١٢] .

وإذا كان المحذوف ألفا بقيت فتحة كقولك: خَفْ ونَمْ ، من خاف يخاف ، ونام ينام . والأصل ، يَخْوَف ويَنْوَم ، وفي الأمر اِخْوَفْ واِنْوَمْ[١٣] ، فنقلت فتحة الواو إلى الخاء[١٤] ، وحذفوا / ألف الوصل لتحرّك الخاء ، وحذفت الواو لسكونها وسكون الفاء . يُقاس على ذلك جميع ما يرد .

---

(١٠) على وزن انْصُرْ .

(١١) قال ابن منظور في اللسان ــ لين : وحروف اللين الالف والياء والواو ، كانت حركة ماقبلها منها او لم تكن ، فالذى حركة ماقبله منه كنار ودار وفيل وقيل وحول وغول ، والذى ليس حركة ماقبله منه انما هو الياء والواو كبيت وثوب ، فاما الالف فلا يكون ما قبلها الا منها . وقال الشيخ أحمد الحملاوى في شذا العرف ٢٧ : ان سكن حرف العلة وانفتح ما قبله سمى لينا كثوب وسيف ، فان جانسه ما قبله من الحركات يسمى مداً . ولاتنفك الالف عن كونها حرف علة ومدولين لسكونها وفتح ماقبلها دائما بخلاف اختيها . وسيتحدث المؤلف على ذلك في الصفحة التالية .

(١٢) الساكنان هما العين والياء بعد نقل حركتها الى الباء .

(١٣) مثل اعمل .

(١٤) وذلك في الفعل « اخوف »

واعلم أن كل فعل إذا صحت عينه واعتلت لامه كانت ساكنة في الرفع ، مفتوحة في النصب ، محذوفة في الجزم[١٥] . واعتلاله أن يكون واوا أو ألفا أو ياء ، فهؤلاء الثلاثة الاحرف سمين حروف العلة لأنهن ضعفن عن احتمال الحركة ، وسمين لينا لأنهن لان مخرجهن ، وسمين مدا لامتداد الصوت بهن . فإذا حذفت واو بقيت ضمة نحو : لم يَدْعُ ، ولم يَغْزُ . وإذا حذفت ياء بقيت كسرة نحو : لم يعصِ ، ولم يرمِ ، وإذا حذفت ألف بقيت فتحة نحو : لم يَسْعَ ، ولم يَخْشَ .

وهذا الفصل من الكتاب بيَّنْتُه لك لتعرف به أصول الأفعال ، والمعتل من الصحيح ، ودخول الألفات على فاءات الفعل عند سكونها ، وحذفها عند تحركها . ونعود الآن الى ذكر ألف الوصل .

فأما سقوط الألف في الماضي[١٦] فقولك : ذهب وضرب وعلم ، كقوله تعالى : « وضرب الله مثلا »[١٧] ، « وعلم أن فيكم ضعفا »[١٨] . وفتح أول المضارع[١٩] كقولك : يضرب ويعلم ويجلس ، ونحوه قوله تعالى : « ويضرب الله الأمثال للناس »[٢٠] ، « قد يعلم ما أنتم عليه »[٢١] . ومثل ذلك : قبل يقبَل ، ودخل يدخُل ، وركِب يركَب .

فإذا أمرت من هذه الأفعال التي قدَّمتُ ذِكرَها نظرْتَ : فكلما وجدت ثالث الفعل من المستقبل مفتوحاً او مكسورا كسرت الألف لالتقاء الساكنين ، هي وما دخلت عليه ، وذلك أنها لا تدخل أبدا إلا على ساكن ، وحملها في نفسها السكون ، فكَسَرْتَ على أصل ما يجب في الساكنين إذا التقيا . فتقول : إرْكَب بكسر الألف ، إذهَب ، إجلِس ، « إهدِنا الصراط المستقيم »[٢٢] ،

---

(١٥) يلاحظ في هذه العبارة ان المقصود بالفعل هو المضارع ، لانه الذى يرفع وينصب ويجزم ، وان ماقاله يصدق على المعتل اللام دون اشتراط صحة عينه ، والمقصود بـ « ساكنة في الرفع » ان الضمة تكون مقدرة على آخر المعتل اللام : امامفتوحة في النصب ، فان الفتحة لاتظهر على المعتل الآخر بالالف .

(١٦) ذكر هنا العلامة الثانية التي يعرف بها الف الوصل في الفعل ـ وهى سقوطها في الماضى .

(١٧) من الآية ٧٥، ٧٦، ١١٢ ـ سورة النحل .

(١٨) من الآية ٦٦ ـ سورة الانفعال .

(١٩) هذه هي العلامة الثالثة .

(٢٠) من الآية ٢٥ ـ سورة ابراهيم .

(٢١) من الآية ٦٤ ـ سورة النور .

(٢٢) سورة الفاتحة : ٥ .

«إضرب بعصاك الحجر »[٢٣]،«اركب معنا»[٢٤]،« اهبط بسـلام »[٢٥] ، « اهبطوا مصرا »[٢٦] ، « انفروا خفافا »[٢٧] ، « اخشـَوا يوماً »[٢٨] ،« اصفح عنهم »[٢٩] ؛ « امشوا واصبروا»[٣٠].

فإذا كان ثالث الحروف من المضارع مضموماضممت ألف الوصل استثقالا للخروج من الكسر الى الضم ، فكأنهم أتبعوا الضمَّ الضمَّ ، إذ ْكانت فاء الفعل ساكنة ، وليست حاجزاً حصينـا ، ولا يعتدّ بها[٣١] ، فتقول : أقْتُلْ، أخْرُج، أعْبُرْ،بضم الالف لضمة التاء والراء والباء ، ومثل ذلك قوله تعـالى : « أعْبُـدوا ربّكـم »[٣٢] ،« أنْقُص منـه قليـلا »[٣٣] و « أدْخُلـوا مساكنكم »[٣٤] .

فإنْ قال قائل : أخبرني عن هذه الهمزة التي في اوائل الأفعال ، ألف هي أم همزة - فالجواب في ذلك أنّها همزة باجماع البصـريين والكوفيين ،وإنّما يُعَبَّر عنها بالألف تقريباً على المتعلّم ،إذ كانت ألفا في الخط[٣٥] . وإنّما امتنعت الألف أن تحلّ أولاً لأنّها لا تكون أبدا إلا ساكنة ولا

(٢٣) من الآية ٦٠ – سورة البقرة ، ومن الآية ١٦٠ سورة الأعراف .

(٢٤) من الآية ٤٢ – سورة هود .

(٢٥) من الآية ٤٨ – سورة هود .

(٢٦) من الآية ٦١ – سورة البقرة .

(٢٧) من الآية ٤١ – سورة التوبة .

(٢٨) هكذا في الاصل . وفي القرآن الكريم في الايـة ٣٣ – سورة لقمان « واخشوا يوما » ولو اثبت الواو لبطل الاستشهاد بالاية في هذا الموضع .

(٢٩) هكذا في الاصل ، وفي الايـة ٨٩ – الزخـرف « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » ، وهو كسابقة لو اثبت الفاء لما صح ان يستشهد بههنا .

(٣٠) مـن الآيـة ٦ – سـورة ص . والاصـل في« امشوا » : « امشيوا » ، استثقلوا الضمة على الياء فنقلوها الى الشين بعد أن ازالوا الكسرة ،واسقطوا الياء لسكونهـا وسكـون الـواو . امـا « واصبروا » فلا تظهر فيه الهمزة المكسورة لسقوطها في الدرج .

(٣١) ذكر ابن جني في المنصف ٥٣/١ ،وابن الانباري في كتاب شرح الالفات ٢٨٦ ؛والمؤلف في الاعراب ٢٨ انه اذا كان مابعد الساكن مفتوحا او مكسورا فهمزة الوصل مكسورة ، واذا كان مضموما فتضم الهمزة كراهية الخروج من الكسر الى الضم اللازم ، وليس بينهما حاجز الا حرف ساكن .

(٣٢) من الآية ٢١ سورة البقرة .

(٣٣) سورة المزمل ٣ ؛ وتمامها « او انقص منـه قليلا » .

(٣٤) من الآية ١٨ – سورة النمل .

(٣٥) نقل ابن الانباري في شرح الالفات ٤٤٧ بعض آراء العلماء في ذلك : فقطرب يرى أنها همزة كثر الكلام بها فتحركت لان الالف لاتحتمل ، وهي في قال وباع وعماد وحمار الف لايشك فيها ، فلو كانت في اضرب الفا ما تحركت . ورد ثعلب هذا القول عليه وقال : لو كانت همزة لثبتت في الابتداء والوصل كما ثبتت همزة أمر واصر واذن في كل حال . وقال الفراء وسيبويه ومن اخذ بقولهمـا : هي الف ، اذ كانت صـورتها صورتها ؛ وانما دخلت الالف في اضرب واصنع وما اشبههما من اجل ان الضاد والصاد ساكنتان لا يمكن الابتداء بهما فدخلت الالف ليقع الابتداء بها والاعتماد عليها . وقال المالقي في الرصف ٣٨ : بعضهم يسميها الفا مراعاة لاصلها من السكون الذي هو مدّ صوت ، وبعضهم يسميها همزة مراعاة للنطق بها ، وهو الاليق .

يبتدأ به ، ولأنه تكون الألف ثانيـاً ، وثالثا ،ورابعاً نحو عثمان ، وخامسـاً نحو حَبَنْطَى وزعفران ، وسادسا نحو قَبَعْثَرَى[٣٦] .

والهمزة لا صورة لها في الخط ، ولـكن تُصوَّر إمّا واوا ، وإمّا ألفا، وإمّا ياء، وسأبين لك ذلك بألفاظ تسهل معرفتها عليك إن شاء الله تعالى :

اعلم أنّ الهمزة لا تخرج من أن تكون أولا أو وسطا أو آخرا : فإن حلّت أولا كُتبت ألفا، مكسورة كانت أو مفتوحة أو مضمومة ، وذلك نحو : أذِن ، وأُذُن ، وإذ ، وأمر . وإذا وقعت متوسّطة نظرت : فإذا كانت ساكنة كتبتها على حركة ما قبلها ؛ فإذا كان قبلها ضمّة كُتبت واوا، وإذا انكسر ما قبلها كتبت ياء ، وإذا انفتح ماقبلها صُوِّرتها ألفـا . فالمضموم نحو : يؤمنون ، ويؤتون ويُؤْثرون . والمفتوح مثـل : يأتون ويأمرون . والمكسور نحو ذِئْب وبِئْر . فإذا تحرّكت الهمزة كُتبت بحركة نفسها إذا كـانت متوسّطة : فتقول : سُئِل بالياء لأنّها مكسورة، وسَأَل / بالألف لأنّهـا مفتوحة ، وسَـؤُول بالواو لأنها مضمومة[٣٧] .

فإن حلّت الهمزة طرفا وسكن ما قبلها لم تُصَوَّر خطّا ، وتثبتُ لفظـا ، وذلك نحو : الجُزْء ، والخَبْء ، والدِّفْء ، لأنّها خفيت في الوقف فأسقطوها خطّا[٣٨] .

فإن حلّت الهمزة آخرا وتحرّك ما قبلهـا بنيتها على حركة ما قبلها ، فتقول : اقرأ ، ولن يقرأ ، ويقرأ ، كلّ ذلك بألف لانفتاح ماقبلها، ولن يُقْرِئ بالياء لكسـرة الراء ، ومقروء بالواو لضمّة الراء .

---

(٣٦) الحبنطى : الممتلىء غيظا أو بطنة. والقبعثرى :الجمل العظيم .

(٣٧) ينظر أدب الكاتب : ٢٨٥-٢٨٧ ، وصبـح الأعشى للقلقشندي : ٢٠٨/٣ وما بعدها .

(٣٨) تشير هذه الفقرة الى قاعدة املائية تركت في العربية ، وقد اشار اليها القدماء : ففي معاني القرآن للفراء ٩٦/٢ في قوله تعالى « لكم فيهادفء » : قال : كتبت بغير همز ، لان الهمزة اذا سكن ما قبلها حذفت من الكتاب ، وذلك لخفاء الهمزة اذا سكت عليها ، فلما سكن ماقبلها ولـم يقدروا على همزها في السكت كان سكوتهم كانه على الفاء .
وقال ابن قتيبة في ادب الكاتب ٢٩٠ : اذا كانت الهمزة آخر الكلمة وما قبلها ساكن حذفت في الرفع والخفض ، وكذلك اذا كانت في موضع نصب غير منون ، فان كانت في موضع نصب منون الحقتها الفا نحو قولك : اخرجت خبئا ... واشار الى مثـل ذلـك الصولـي في أدب الكتـاب ٢٤٨ ، والقلقشندي في صبح الاعشى ٢١٢/٣ . وقال سيبويه ـ الكتاب ٥٤٥/٣ : وقال الذين يخففون : « الا يسجدوا لله الذي يخرج الخب في السموات والارض » (النمل ٢٥) ، حدثنا بذلك عيسى ، وانما حذفت الهمزة هاهنا لانك لم ترد ان تتم واردت اخفاء الصوت ، فلم يكن ليلتقى ساكن وحرف هذه قصته ، كما لم يكن ليلتقى ساكنان .... »وينظر الكشاف للزمخشري ١٤٥/٣ ، وفتح القدير للشوكاني ١٣٤/٤ .

واعلم أنّ ألف الوصل تكون مكسورة ومضمومة في الفعل الثلاثي[٣٩] نحو : افْتَعَل ، وانْفَعَل، واستَفْعَل ، وافعَلّ، وافعَنْلَل،وافْعَوَّلَ ونحوهنّ[٤٠] ، فكلّها مكسورة في الأمر والماضي والمصدر.وذلك نحو : إستَغفَرَ وإستغفارا ، واستَغفِر يا زيد ، « إتَّبَعْتَ أهواءهم »[٤١] ، « إستقم كما أمرت »[٤٢] ،إنْطَلَق إنطلاقا ، إنْطَلِقْ يا زيد ، استَقَام استقامة ، استقِمْ يا زيد . كلّ ذلك مكسورة الألف في الابتداء بها ، ساقطة في الدَّرْج .

فإن رُدّت هذه الأفعال الى ما لم يُسَمّ فاعله ضَمَمْتَ الألف فيهنّ أجمع ، وضممت أيضاً ثالث الفعل كقولك : اُستُغفِر، اُنطُلِق،اُتُّبِع ، اُفتُتِل . ومن ذلك قوله تعالى : « إذ تبرّأ الذين اتُّبِعوا » إذا وقفت على « الذين »تبدأ « اُتُّبِعوا » . فأمّا ما بعدها فمكسورة ، أعني : « وقال الذين إتَّبعوا » و « من الذين إتَّبعوا »[٤٣] . ومثله « خبيثةٍ اُجتُثَّتْ » تبتدىء بالضم[٤٤] ، ووزنه « اُفْتُعِلَتْ » ،وأصله « اُجتُثِثَتْ » فأدغمت الثاء في الثاء . ومنه : « فمن اُضْطُرَّ »[٤٥] « اُفْتُعِلَ » من الضرّ ، والأصل : اُضْتُرِرَ ، فأدغمت الراء في الراء ، وقلبت تاء الفعل طاء لمجيئها بعد الضاد، وكلّ تاء بعد صاد أو ضاد أو طاء أو ظاء تقلب طاء[٤٦] . ومثله : « واصْطَبِر لعبادته »[٤٧] افتَعِلْ من الصبر ، والأصل : اصْتَبِرْ . فقلبت .ومثله « وهم يَصْطَرِخُون »[٤٨] والأصل : يصترخون . فاعرف ذلك .

---

(٣٩) المقصود بالثلاثي هنا : مزيد الثلاثي .

(٤٠) من امثلتها على الترتيب : احتمل ، وانتصر ،واستقبل ، واخضر ، واقعنسس ، واجلوذ . وزاد الرضي في شرح الشافية ٢/٢٦٠ : افعالّ كاحمارّ ، وافعنلى كاسلنقى ، وافعوعل كاعشوشب . وينظر رصف المباني : ٣٩ .

(٤١) في الآية ١٢٠ ــ سورة البقرة . قال تعالى :« ولئن اتبعت اهواءهم » ولا تظهر كسرة الهمزة الا اذا ابتدات « اتبعت »

(٤٢) قال تعالى في سورة هود ١١٢ : « فاستقم كماامرت » ، وقال في سورة الشورى ١٥ : « واستقم كما امرت » .

(٤٣) يشير هنا الى قوله تعالى في الآيتين١٦٦،١٦٧من سورة البقرة : «اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لناكرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ....» ويلاحظ المؤلف قدم قوله تعالى « وقال الذين اتبعوا » على قوله تعالى « من الذين اتبعوا » مخالفا الترتيب في الآيتين الكريمتين .

(٤٤) الآية ٢٦ من سورة ابراهيم ، وتمامها : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار » وتبتدىء «اجتثت» بالضم اذا وقفت على « كشجرة خبيثة » .

(٤٥) من الآية ١٧٣ من سورة البقرة .

(٤٦) قال الزنجاني : اعلم أنه متى كان فاء افتعل صادا او ضادا او طاء او ظاء قلبت تاؤه طاء . شرح الجرجاني على تصريف الزنجاني : ٥٤ .وينظر أوضح المسالك ٤/٣٩٩ .

(٤٧) من الآية ٦٥ ــ سورة مريم .

(٤٨) من الآية ٣٧ ــ سورة فاطر .

وقوله تعـــالى : « فليؤدّ الذي اؤتمن أمانته »[٤٩] إذا وقفت على « الذي » مضطرا الا مختاراً ــ ابتـــدأت « أوتمن » . والأصـــل«اؤْتمن» ، فكرهوا الجمع بين همزتين فى ابتداء الكلمة ، فليّنوا الثانية فصارت واوا لانضمـام ما قبلها . وأجاز الكسائي أن تبتدىء «أؤْتمن» بهمزتين على الأصل[٥٠] . وكـــذلك أجاز إذاوقفت على قوله تعالى : « ... مَنْ يقول إئذَن لي ولا تفتنّي »[٥١] : « إئذن » والاختيار الأول.ووزن « أؤتمن » أفتُعل من الأمانة ، على وزن اعتُمِن[٥٢] ، فالهمزة الثانية ســاكنة في الابتداء. وروى خلف[٥٣]،عن يحيى بن آدم[٥٤]، عن أبي بكر بن عيّاش[٥٥] ، عن عاصم[٥٦] أنه قرأ في الدَّرْج : « فَلْيُؤدِّ الذي اُؤْتُمِن أمانته » ، بإشمام الضمّ ، وذلك خطأ فاحش ،لأن فاء الفعل في افتعل لا يجوز حركتها[٥٧] .

وأمّا قولهم : خُذ ومُرْ وكُلْ وجُــرْ ، إذاأمرت من أخذ يأخذ ، وأكل يأكل ، وأمر يأمر ، وأجر الرجلُ الأجيرَ يأجِرُ ، وأجــرك اللهُ يأجِرُك ، وأن الأصل اؤْخذ فكرهوا الجمع بين الهمزتين في ابتداء الكلمة ، فحذفوا الهمزة الثانيةالتي هي فاء الفعل تخفيفاً ، واستغنوا عن الف الوصل ، إذ كانت لا تدخل إلاّ على ســاكن ،فصار خُذ وكُل ؛ هذا قول الأكثر والأفصح . ومن العرب مَن يقول : أؤْخذ واُؤْمُر[٥٨] ،فكره الجمع بين همزتين ، فتلين الثانية فتصـــير

---

(٤٩) من الآية ٢٨٣ ــ سورة البقرة . وقال ابن قتيبة في ادب الكاتب ٢٤٢ عن الاية : كتبت على قطع « اؤتمن » من «الذي» . وفي اتحاف فضلاء البشر للدمياطى ١٦٧ : واجمعوا على الابتداء بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة ، لان الاصـــل :« اتمن » مثل اقتدر ، وقعت الثانية بعــد همزة مضمومة فوجب قلبها واوا ، فاما في الدرج فتذهب همزة الوصل فتعود الهمزة الساكنة الى حالها لزوال موجب قلبها واوا ؛ حينئذ يبدلها مبدل الساكنة .

(٥٠) شرح الالفات لابن الانبارى : ٤٦١

(٥١) من الآية ٤٩ ــ سورة التوبة .

(٥٢) في صبح الاعشى ١٦٩/٣ عن ابي عمرو الداني ان الهمزة تمتحن في موضعها من الكلام بالعين .

(٥٣) هو خلف بن هشام ، البزّار ، احد القراء العشرة . توفى سنة ٢٢٦هـ . ينظر غاية النهاية: ٢٧٢/١ .

(٥٤) هو يحيى بن آدم بن سليمان ، امام كبير حافظ روى عن ابن عياش والكسائي وغيرهما. توفى سنة ٢٠٣هـ . ينظر غاية النهاية ٣٦٣/٢ .

(٥٥) هو شعبة بن عياش ، الكوفى ، راوية عاصم ،توفى سنة ١٩٣ هـ . غاية النهاية ٣٢٦/١ .

(٥٦) هو عاصم بن بهدلة بن ابى النجود . شيـــخ القراء بالكوفة ، واحد القراء السبعة . توفى سنة ١٢٩هـ . غاية النهاية ٣٤٦/١ .

(٥٧) نقل المؤلف في الحجة ١٠٥ عن عاصم وحمزة انهما قرآ باشمام الهمزة الضمة في الوصل . وقال : هذا وهم ، لانها الف وصل دخلت على الفاصل .

(٥٨) ينظر رصف المباني ، ٤٠ .

واوا ، فإذا تقدّمها كلام حركت ألف الوصل وزدت الهمزة التي هي فاء لقوله تعالى : « وَأْمُرْ أهلَكَ بالصلاة »(٥٩) ، ولم يثقل : وأْوْكُل ، وأوْخُذ ، وأرى ذلك لكثرة الاستعمال له(٦٠) .

ونحو ذلك : سَلْ إذا أمرت من سأل يسأل ؛ والأصل اسأل مثل اذهب ؛ فالهمزة عند العرب مُستَثقَلة ، لأنها تخرج من أقصى الحلق ويصيب الانسان عليها كالتهوّع(٦١) ؛ فربّما حرّكوها جملة ؛ وربّما جعلوها حرفاً لينا ، فنقلوا فتحة همزة اسأل الى السين ، فلما تحرّكت السين استُغنِي عن ألف الوصل فحذفوها ، وحذفت [الهمزة] لسكونها وسكون اللام ، أعني التي هي عين الفعل ، فتقول : سَلْ زيداً . قال الله تعالى :« سَلْ بني اسرائيل »(٦٢) ، فإن/شئت أتيت بها على الأصل فقلت اسأل كما أنّ [بعض] العرب وهم عبد القيس يقولون : إسَلْ ، فيبقون ألف الوصل بعد حذف الهمزة ونقل الحركة ، كأنهم توهّموا أن السين ساكنة(٦٣) ، وهذا شاذ لا يقاس عليه ، لأن ألف الوصل لا تدخل إلاّ على ساكن كما أخبرتك .

وشذوذ هذا وقلّته لشذوذ قراءة نافع(٦٤) قوله تعالى : « فتَخَطَّفُه الطير »(٦٥) ، جمع بين الساكنين لأنه توهّم حركة الأصل ، يعني حركة التاء في « تخطفه » . وكذلك « لا تَعْدوا في

---

(٥٩) من الآية ١٣٢ سورة طه .

(٦٠) في شرح التصريف الملوكي ٢٦٤ ان الهمزة حذفت من خذ وكل ومر تخفيفا، اذ الاصل اؤخذ، واؤكل و اؤمر ؛ فاستغنى عن همزة الوصل لزوال الهمزة الساكنة. وينظر ادب الكاتب ٢٤٨.

(٦١) التهوع : تكلف القيء . والهمزة عند المحدثين صوت حنجري ؛ شديد ؛ لامجهور ولا مهموس . ينظر الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ٩٠ ؛ والاصوات للدكتور كمال بشر ١٣٦ .

(٦٢) من الآية ٢١١ سورة البقرة .

(٦٣) قال القرطبي في تفسيره ٢٧/٣ : للعرب في سقوط الف الوصل في « سل » وثبوتها في « اسأل » وجهان : احدهما حذفها في احداهما وثبوتها في الاخرى وجاء القرآن بهما . والثاني انه يختلف اثباتها واسقاطها باختلاف الكلام المستعمل فيه ، فتحذف الهمزة في الكلام المبتدا مثل قوله تعالى : « سل بنى اسرائيل » وقوله : « سلهم ايهم بذلك زعيم » وتثبت في العطف مثل قوله تعالى : «واسأل القرية» وقرا ابو عمرو في «سل» :« اسل » على نقل الحركة الى السين وابقاء الف الوصل .
وفي اللسان ـ سال ان الفارسي حكى ان اباعثمان سمع من يقول : اسل يريد اسال ، فيحذف الهمزة ويلقى حركتها على ما قبلها ، ثم يأتى بالف الوصل لان هذه السين ـ وان كانت متحركة ـ فهي في نيّة السكون . وقد تعرض المؤلف لذلك في الحجة ١٢٨ ، ٢٣٣ . وكتاب ليس ٣١ .

(٦٤) هو نافع بن عبد الرحمن بن ابى نعيم ، احد القراء السبعة ومقرىء المدينة ، توفى سنة ١٧٠ هـ ينظر غاية النهاية ٢/٣٣٠ .

(٦٥) من الآية ٣١ سورة الحج . وفي الحجة لابن خالويه ٢٥٣ انه يقرا بفتح الخاء وتشديد الطاء ؛ وذلك انه اراد « تتخطفه » ، فنقل فتحة التاء الى الخاء ، وادغم التاء في الطاء فشدّد لذلك . ونقل ابو زرعة في الحجة ٤٧٦ تلك القراءة عن نافع . وفي فتح القدير ٤٥١/٣ : قرا ابو جعفر ونافع بتشديد الطاء وفتح الخاء ، وينظر اتحاف فضلاء البشر ٣١٤ .

السبت »[٦٦] و « إنّ الله نِعِمّا يعظكم به »[٦٧] ، على أنّ أبا عمرو وغيره قد وافقه على هذا الحرف .

ومثل نقل الحركة الى ما قبلها وحذف الهمزة اختصارا قولهم : قَدَ َفْلح، ومَنْ بُوكَ ؟ ومن جل ذلك ، يريد ، قد أفلح ، ومَنْ أبوك ، ومن أجل ذلك ، وقد قرئ ذلك في القرآن العظيم رواية عن ورش[٦٨] عن نافع[٦٩] .

ومثله حذفهم الهمزة من مضارع رأى يرى، والأصل : يَرْأى ، فنقلوا فتحة الهمزة الى الراء، وهي عين الفعل[٧٠]، وحذفوها لسكونها وسكون لام الفعل وهي الياء ، ونحوه [أرى و] نرى وترى .

ومن العرب مَنْ يأتي بها على الأصل[٧١] ،فيثبت الهمزة في المضارع كما أثبتها في الماضي[٧٢]، وأنشد أبو زيد :

---

(٦٦) من الآية ١٥٤ سورة النساء، وفي الحجة لابي زرعة ٢١٨ أن نافعا قرأ : « لاتعدوا » ساكنة العين مشددة الدال . والاصل : « لاتعتدوا » ثم سكن التاء وادغم في الدال. وقرأ ورش: «لاتعدوا» بفتح العين ونقل فتحة التاء الى العين مثل «يهدى». وذكر ابن خالويه في الحجة ١٢٨ عن نافع انه قرأ باسكان العين وتشديد الدال ، وانه قبيح لجمعه بين ساكنين ليس احدهما حرف مد ولين في كلمة واحدة ، والحجة له انه سكن وهو يريد الحركة ، وذلك من لغة عبد القيس . ونقل العكبرى مثل هذا القول ـ املاء مامن به الرحمن ١/ ٢٠٠ . وينظر تقريب النشر ١٠٦ ، واتحاف فضلاء البشر ١٩٦ ، وفتح القدير ١/٥٣٣ .

(٦٧) من الآية ٥٨ سورة النساء. قال ابن خالويه في الحجة ١٠٢ : الحجة لمن اسكن العين وجمع بين ساكنين فاحتمل ذلك لانه جعل « نعم » و« ما » كلمة واحدة فخففها باسكان . وذكر العكبرى: ١١٥/١ أن اسكان العين والميم مع الادغام بعيد لما فيه من الجمع بين الساكنين . وقيل : ان الراوى لم يضبط القراءة ، لان القارئ اختلس كسرة العين فظنه اسكانا . وينظر قراءات اللفظ المختلفة في فتح القدير ١/ ٢٩٠ ، واتحاف فضلاء البشر ١٩١ .

(٦٨) هو عثمان بن سعيد ، انتهت اليه رئاسة الاقراء بمصر في زمانه . توفى سنة ١٩٧ هـ . ينظر غاية النهاية : ١/٥٠٢ .

(٦٩) نقل المؤلف في اعراب ثلاثين سورة ١٠٠ عن ورش عن نافع انه قرأ «قدآفلح» بنقل حركة الهمزة الى الدال تخفيفا ، والعرب تقول : من بوك أيريدون : من ابوك ؟ وقال سيبويه ٥٤٥/٣ . واعلم ان كل همزة متحركة كان قبلها ساكن فاردت ان تخفف حذفتها والقيت حركتها على الساكن الذي قبلها ! وذلك قولك : من بوك ؟ ومن مك ؟ وكم بلك ؟ اذا اردت ان تخفف من الاب والأم والابل . ومن العكبرى ١٤٧/٢ في اول سورة« المؤمنون » : من القى حركة الهمزة في «قدافلح» على الدال وحذفها فعلته أن الهمزة صيرت الفا ، ثم حذفت لسكونها وسكون الدال قبلها في الاصل : ولا يعتد بحركة الدال لانها انسبة.
وينظر اتحاف فضلاء البشر ٣١٧ .

(٧٠) أي : الهمزة .

(٧١) في الاصل (ومن العرب من يثبت زيادة على الاصل فيثبت الهمزة ...) وما اثبته مناسب للمقام .

(٧٢) أى يقال : راى يراى كسعى يسعى . قال ابن دريد في الجمهرة ١٧٥/١: وتركت العرب الهمزة في

أُري عَيْنَيَّ ما لَمْ تَرْأياهُ   كِلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
ألا أَبْلِغْ أبا إسحقَ أنّي   رأيتُ البُلْقَ بيضاً مُصْمَتاتِ (٧٣)

وقال الفرزدق :

راحَتْ بمَسْلَمَةَ البِغالُ عشيَّةً   فارْعَيْ فَزارةُ لاهَناكِ المَرْتَعُ (٧٤)

يريد : لا هَنَأكِ ، فحذفت الهمزة . وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

سَالتاني الطلاقَ إذْ رَأتاني   قلّ ما لي ، قدْ جِئتُماني بنُكْرِ (٧٥)

وقال الآخر :

ولا يَرْهَبُ ابنَ العمِّ منّي صَوْلتي   ولا أختَتي مِن صولةِ المُتَهَدِّدِ (٧٦)

مستقبل رايت لكثرة استعمالهم اياه في كلامهم ، وربما احتاجوا الى همزه فهمزوه . وقال سيبويه في الكتاب ٣/٥٤٦ : وحدثني ابو الخطاب انه سمع من يقول اراهم ، يجيء بالفعل من رايت على الاصل من العرب الموثوق بهم .
وينظر اعراب ثلاثين سورة ٧٥ ، ١٨٨ .

(٧٣) البيتان لسراقة البارقي ، وهما في ديوانه ٧٨ . والاول سابق على الثاني وبينهما بيت ثالث . وابو اسحق : هو المختار بن ابي عبيد الثقفي احد الثائرين على بني امية ، وقد وقع سراقة في اسر المختار ، فزعم له انه راى ملائكة على خيول تحارب معه فاطلق سراقة . والاول في نوادر ابي زيد ١٨٥ ، والمحتسب لابن جنى ١/١٢٨ ، وجمهرة اللغة ١/١٧٦ ، وشرح الشافية ٣/٤١ ، واللسان راى ، والاعراب للمؤلف ٧٥ ، ١٥٤ . والشاهد فيه الاتيان بالمضارع من « رأى » دون تخفيف . وقد نقل في اللسان ان الاخفش رواه « مالم ترياه » على التخفيف الشائع ، وعليه لاشاهد فيه . والترهات جمع ترهة : الباطل .

(٧٤) البيت في الكتاب ٣/٥٥٤ ، والمقتضب ١/١٦٧ ، والخصائص ٣/١٥٢ ، والمحتسب ٢/١٣٧ ؛ وشرح الشافية ٣/٤٧ وغيرها . قال سيبويه : فابدل الالف مكانها (اى الهمزة من هناك) ، ولو جعلها بين بين لانكسر البيت .

(٧٥) البيت في الكتاب ٣/٥٥٥ ، وشرح الشافية ٣/٤٨ ، وهمع الهوامع ٢/١٠٦ . والشاعر يتحدث عن زوجتيه . والشاهد فيه ابدال الهمزة الفامن (سالتانى) .

(٧٦) البيت لعامر بن الطفيل ، وهو في ديوانه ٥٨ ، وبصائر ذوى التمييز للفيروزابادى ٥/٣٨ ، واللسان والتاج ختا ، ختا . وتختلف رواية صدر البيت ، والشاهد فيه قلب همزة (أختتيء) ياء .

ديوان الناشئ الأكبر
أبي العباس عبدالله بن محمد الأنباري
المتوفى سنة ٢٩٣هـ

القسم الأول

تحقيق وتقديم

هلال ناجي

الاعظمية ص . ب ٤٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الديوان

حياة الشاعر وشعره

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه :

يعدّ ما ذكره ابن النديم(١) او في ما ذكر في نسب الشاعر فهو عنده : عبدالله بن محمد بن عبدالله بن مالك ، وهذا يوافق ما ذكره ابن حجر في لسان الميزان(٢) . امّا بقية المصادر فقد اكتفت بذكر اسمه واسم ابيه، كنيته: ابو العباس(٣) . وفي لقبه قيل : إنّه الناشيء الانباري المعروف بابن شِيرْ شير .

قال ابن خلكان(٤) : « والناشي : بفتح النون وبعد الالف شين معجمة وبعدها ياء ، وهو لقب عليه » .

قلت : ورفع الخلاف في لفظ هذا اللقب ، هل هو ناشي على ما ذكر ابن خلكان المعروف بدقة ضبطه ؟ ام هو ناشيء بالهمزة على ما ذكرته كثير من المصادر(٥) وقيل في سبب هـذا اللقب : إنه دخل مجلساً فيه أهل الجدل ، فتكلم وهو فتى حدث السن ، على مذهب المعتزلة ، فجوّد وقطع من ناظره . فقام شيخٌ منهم فقبّل راسه وقال : لا اعدمنا الله مثل هذا الناشـي ان يكـون فينا ، وينشو في كل وقت مثلـه لنا . واسـتحسن ابو العباس هذا الاسم فلقب به(٦) .

والأنباري : قال ابن خلكان : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الالف راء فياء ؛ ، هذه النسبة إلى الانباري وهي مدينة قديمة على الفرات في جهة بغداد تفصل بينهمـا دجلة ، وهي في الجانب الغربي ، وبغداد في الجانب الشرقي ، وبينهما وبين بغداد عشـرة فراسخ ،

(١) الفهرست ص ٢١٧ .
(٢) لسان الميزان ٣٢٤/٢ .
(٣) وفيات الاعيان ٩١/٢ والنجوم الزاهرة ١٥٨/٣ وطبقات الشعراء ١٧) ومروج الذهب ٤٥٣/٢ والعبر ٩٥/٢ وتاريخ بغداد ٩٣/١٠ والمنتظم ٥٧/٦ والانساب ٥٥١ والشذرات ٢١٤/٢ والانباه ١٢٨/٢ والبداية والنهاية ١٠١/١١ وهدية العارفين العمود ٤٤٢ .
(٤) وفيات الاعيان ٩٢/٢ .

(٥) طبقات الشعراء ٤١٧ ومروج الذهب ٤٥٣/٢ وتاريخ بغداد ٩٣/١٠ والمنتظم ٥٧/٦ والوافي ١٢٩/١٥ .
(٦) الفهرست ٢١٧ ولسان الميزان ٣٢٤/٢ والوافي ١٢٩/١٥.

خرج منها جماعة من العلماء ، وهو جمع واحده نِبْر ، بكسر النون وسكون الباء . والأنبار : اهراءُ الطعام ، وإنما قيل لهذه البليدة الأنبار لأن الأكاسرة كانوا يخزنون بها الطعام فسميت بذلك(٧) .

قلتُ : وفي العراق اليوم محافظة تعرف بهذا الاسم وهي الى الغرب من محافظة بغداد ، ومركزها مدينة الرمادي . وللأنباريين في عصرنا هذا محلّة تعرف باسمهم في مدينة الكاظمية واخرى في مدينة المسيب . والأنباريون كذلك بطن من عشيرة البو عامر ومواطنهم نواحي اليوسفية التابعة لمحافظة بغداد .

قال ابن خلكان : وشِرْ شير ، بكسر الشين الأولى والثانية المعجمتين وبينهما راء ساكنة ثم ياء مثناة من تحتها وبعدها راء ، وهو في الأصل : اسم طائر يصل إلى الديار المصرية في البحر في زمن الشتاء ، وهو اكبر من الحمام بقليل ، واظنه من طير الماء ؛ وهو كثير الوجود بساحل دمياط ، واظنه يأتي من صحراء الترك ، وباسمه سُمّي الرجل(٨) .

قلت : ذكر الدميري الشرشور وقال : طائر اغبر على لطافة الحمرة . ولقد انفرد السمعاني بقوله انّ الشاعر هو : ابو العباس عبدالله بن محمد ابن شرشر(٩) ولقبه الشمشاطي بشر شير ، وليس ابن شرشير في بعض المواضع من كتابه(١٠) . ولقبه ابن معصوم بالجدلي(١١) ، ولقبه ابن منقذ بالكلمي(١٢) .

ولقد ترجم ابو الطيب اللغوي لرجل يعرف بالناشي قال : إنّه وضع كتباً في النحو ، مات قبل ان يستتمّها وتؤخذ عنه . ونسب لمحمد بن يزيد قوله : لو خرج علم الناشي الى الناس لما تقدمه احد(١٣) .

وقد وهم محقق كتاب « مراتب النحويين » الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم ، إذ ظنّ أن هذا الناشي هو صاحبنا ، كما وهم الدكتور

(٧) وفيات الاعيان ٩٢/٢ - ٩٣ .
(٨) وفيات الاعيان ٩٢/٢ .
(٩) الانساب ص ٥٥١ .
(١٠) الانوار ومحاسن الاشعار ص ٢٨٤ و ٢٩٧ .
(١١) انوار الربيع .
(١٢) البديع في نقد الشعر ١٣٦ .
(١٣) مراتب النحويين ٨٥ .

يوسف حسين بكار(١٤) وبرهان هذا الوهم أنّ الناشي النحوي الذي ترجم له ابو الطيب اللغوي وترجم له السيوطي ايضاً(١٥) ؛ قد اخذ عن سيبويه والأخفش ـ على ما ذكر ابو الطيب ؛ والسيوطي ـ ؛ و سيبويه توفي عام ١٨٠هـ وتوفي الاخفش عام ٢٢٥هـ فلا يمكن لأبي العباس الناشي ان يأخذ عنهما .

وقد لقّب صاحبنا فيما بعد بالناشىء الأكبر تمييزاً له عن الناشىء الأصغر الذي نبغ في القرن الرابع الهجري .

اطراف من سيرته :

لم تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ مولده . واكتفت بالاشارة إلى انّه من اهل الانبار وبها نشأ(١٦) . والأنبار وإن كانت على ضفة الفرات إلاّ انها مدينة صحراوية تحيط بها الصحراء من كل ناحية . ولعلّ نشأته الأولى في هذه المدينة الصحراوية التي شهر اهلها عبر العصور بهواية الصيد والطرد ، والمحاطة بالصحاري الزاخرة بأنواع الحيوانات ، كان الدافع الأول في ولعه بكتابة الطرديات . وكما لم تحفظ المصادر شيئاً عن تاريخ مولده ، فإنها لم تذكر لنا شيئاً عن اصوله . لكننا يمكن أن نستنتج انّه كان عربي الأصول من ابياته التي نقد بها الكندي مُسَفّهاً خلطه نسب يونان بقحطان(١٧) .

ابا يوسف اني نظرتُ فلم أجد
على الفحص رأياً صحّ منك ولا عقدا
وصرت حكيماً عند قوم إذا امرؤ
بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عندا
اتقرن إلحاداً بدين محمدٍ ؟ !
لقد جئت شيئاً يا اخا كندة إدّا
وتخلط يونانا بقحطان ضلّة
لعمري لقد باعدت بينهما جدا

فمثل هذه الابيات المنبئة عن تعصب للعرب، كتبها على الاغلب شاعر من اصول عربية .

وليس بين ايدينا ما يساعدنا على معرفة

(١٤) مجلة الاديب اللبنانية يونية ١٩٧٤ ص ٢٢ .
(١٥) المزهر ٤٠٩/٢ .
(١٦) المنية والأمل لابن المرتضى ص ٩٢ - ٩٣ والبداية والنهاية ١٩٨/٢ .
(١٧) مروج الذهب ٢١٦/١ .

التاريخ الدقيق لدخوله بغداد ؛ فالمصادر سكتت عن هذا ، واكتفت بالقول انه دخل بغداد واقام بها مدة طويلة(١٨) .

ويبدو انه اخذ مذهب الاعتزال وهو فتى صغير السن ؛ والى هذا تشير واقعة تلقبه بالناشي التي تقدم ذكرها .

غير ان دخوله إلى بغداد فيما يبدو كان في الفترة التي مال فيها مجد المعتزلة السياسي إلى الغروب . فالمعروف ان الفترة ما بين ١٠٠هـ الى ٢٣٧ هجرية تمثل العصر الذهبي للمعتزلة فكريا وسياسيا ، ولقد كانت نهاية هذا العصر على ايدي المتوكل سنة ٢٣٧هـ ، فقد عزل قضاتهم وصادر ضياعهم واملاكهم ، وانفى بهم في دياجير السجون، بعد أن كانت(١٩) مبادئهم هي الآراء الدينية الرسمية للبلاط العباسي ايام المامون والمعتصم والواثق .

نبغ الناشىء إذن في فترة مالت فيها شمس الاعتزال للغروب سياسيا ، ومع ذلك ، فإنه لم يكن منقطعا عن الاتصال برجال السلطة ، فإننا نجد في بقايا شعره ما يشير الى صلة بابي الصقر اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد على الله العباسي الذي استوزر عام ٢٦٥هـ ، وكانت نهايته عام ٢٧٨هـ ؛ حين قبض المعتمد على الله ؛ عليه وعلى جماعته ونهبت منازلهم(٢٠) .

فلقد تكلم قوم في الشعر عند ابي الصقر من حيث لا يعلمون ، فكتب اليه ابو العباس الناشىء قصيدته التي اولها(٢١) :

لعن الله صنعة الشعر ما ذا
من صنوف الجهال فيها لقينا ؟!

ولكن يبدو ان صلته بهذا الوزير لم تكن وطيدة ؛ وانه لم يكن يصله بما يأمل ، والى هذا اشار الناشىء في بيتين كتبهما إليه(٢٢) :

تبلّج بروح اليأس او روحة الغنى
او الصدق لي فيالوعد اوطلب العذر

(١٨) انباه الرواة ١٢٨/٢ والشذرات ٢١٤/٢ ووفيات الاعيان ٩١/٢ .
(١٩) تاريخ الطبري ٤٥/١١ وتاريخ اليعقوبي ٥٩٧/٢ .
(٢٠) الكامل في التاريخ ٤٤٢/٧ .
(٢١) العمدة ١١٣/٢ ـ ١١٤ .
(٢٢) البصائر والذخائر ١١٨/٢ .

فما لي تقى يحيى ولا حلم يوسف
ولا صبر ايوب ولا مدة الخضر

ففي هذين البيتين من البرم والضيق ما فيهما . ومثل هذه الصلة لا يمكن ان توصف بانها طيبة . وإذ لم نظفر بخبر وزير او امير اتصل به الناشىء غير أبي الصقر ؛ ادركنا صواب القول انه لم يكن على صلة طيبة برجال الحكم انما كان سببه على الاكثر انحدار شمس المعتزلة نحو المغيب بعد عام ٢٣٧هـ .

يمكن القول ان حياة الناشىء ببغداد دارت على محاور :

الأول : دعم الفكر الاعتزالي ، سار فيه على نهج المعتزلة مدافعا عن ارائهم شعراً ونثرا . وبقايا كتابه « الاوسط في المقالات » انموذج جيد من كتاباته النثرية العقائدية .

وهو يهاجم شعرا خصوم المعتزلة من مرجئة ومشبهة فيقول :

ما في البرية اخرى عند فاطرها
ممن يقول باجبار وتشبيه(٢٢)

وهو يهجو داود بن علي إمام اهل الظاهر بقوله(٢٤) :

أقول كما قال الخليل بن احمد
وإن شئت ما بين النظامين في الشعر
عذلت على ما لوعلمت ببعضه
فسحت مكان اللوم والعذل من عذر
جهلت ولم تعلم بانك جاهل
فمن لي بأن تدري بانك لا تدري

وله رد نثري على داود بن علي لم يصلنا(٢٥)

وهو يفخر بعلم الكلام والجدل الذي شهر به المعتزلة فيقول(٢٦) :

كلام يخوض غمار البحار
ويصعد في شاهقات الجبال
بدائعه تطرب السامعين
وينمى سناها نماء الهلال

(٢٢) البدء والتاريخ ١٤١/٥ .
(٢٤) تاريخ بغداد ٢٧٥/٨ .
(٢٥) لسان الميزان ٣٣٤/٣ .
(٢٦) الابانة ص ١٥٥ .

وقال يفتخر بالكلام ورجاله(٢٧) :

ونحن اناس يعرف الناس فضلنا
بألسننا زينت صدور المحافل
تنير وجوه الحقّ عند جوابنا
إذا اظلت يوما وجوه المسائل
صمتنا فلم نترك مقالاً لصامت
وقلنا فلم نترك مقالاً لقائل

ويمضي الناشيء في وصف اصحابه من رجال الكلام مفتخراً ومعتزاً(٢٨) :

فلو شهدت مقاماتي وانديتي
يوم الخصام وماء الموت يطّرد
في فتية لم يلاق الناس مذ وجدوا
لهم شبيهاً ولا يكفون إن فقدوا
مجاورو الفضل افلاك العلا سبل الـ
تقوى محل الهدى عمد النهم الوطد
كانهم في صدور الناس افئدة
تحسّ ما اخطئوا فيها وما عمدوا
يبدون للناس ما تخفي ضمائرهم
كانهم وجدوا منها الذي وجدوا
دلوا على باطن الدنيا بظاهرها
وعلم ما غاب منها بالذي شهدوا
مطالع الحقّ ما من شبهة غسقت
إلاّ ومنهم لديها كوكب يقد

ثم هو يمضي الى ما هو ابعد من هذا، فينظم قصيدة في الكلام « عدتها اربعة آلاف بيت(٢٩) » .

والمحور الثاني : مناهضة عباقرة العالم :

وهو مظهر من مظاهر نبوغه وفطنته ، فقد نقض كثيراً من علوم معاصريه . نقد علم النحو واحكمه ، ونظر في علله وهو متكلم ؛ فتبين له بقوة الكلام نقض اصوله ، فنقضها وصنف فيها(٣٠) .

والف كتبا ينقض بها كتاب المنطق لأرسطو ؛ حتى قال ابو سعيد السيرافي في مجلس ابن الفرات الوزير لشيخ المناطقة متى بن يونس : وهذا الناشيء أبو العباس قد نقض عليكم ، وتتبع طريقكم ، وبين خطأكم ، وابرز ضعفكم ، ولم تقدروا الى اليوم ان تردوا عليه كلمة واحدة مما قال ، وما زدتم على قولكم « لم يعرف اغراضنا ، ولا وقف على مرادنا ، وإنما تكلم على وهم » وهذا منكم لحاجة ونكول ، ورضى بالعجز والكلول(٣١) .

وادخل على قواعد العروض شبهاً ناقضة لها ، ومثله بامثلة غير امثلة الخليل(٣٢) . وبلغت حدّة ذهنه انّه كان ينظم في خلاف كل معنى قالت فيه الشعراء(٣٣) .

لقد كان الناشيء « ذكيا ذكاءً حاداً وصرف ذكاءه في مناهضة العباقرة من عالمه والعالم الخارجي(٣٤) » .

المحور الثالث : تمتعه بلذات العيش :

تكشف لنا الصبابة من شعر الناشي انّه كان ميالاً لمجالس الأنس ، حفياً بمجالس الشراب والقيان والغناء ، وإنّه كان غزلاً محببا إلى قلوب الغواني .

فكثيراً ما كان يقصد باب الحديد ، وهو « اعمر موضع ببغداد وانزهه ، لما فيه من البساتين والشجر والنخل والرياحين ، ولتوسطه البلد وقربه من كل احد(٣٥) » وكان في العادة عامراً بأهل البطالة والطرب والـلذاذات ومشحونا بالمتنزهين ، فيمضي فيها اجمل ايامه ، ولتلك الايام التي خلفت في قلبه اجمل الذكريات نراه يحنّ ويقول(٣٦) :

ما جليدٌ يوم الندى بجليد
بعدت والمزار غير بعيد
خبّرت عن ضميرها عبراتٌ
صرن عونا على الفؤاد العميد
يا ليالي اللذات بالله عودي
بين قبرونا وباب الحديد
بين تلك الربى وقد نسج الوبلُ
بكفّ الربيع رَيْطَ البرود

---

(٢٧) زهر الآداب ص ٨٥٣ .
(٢٨) زهر الآداب ص ٨٥٣ .
(٢٩) لسان الميزان ٣٣٤/٢ .
(٣٠) انباه الرواة ١٢٨/٢ .
(٣١) ارشاد الاريب ١١٩/٢ .
(٣٢) انباه الرواة ١٢٨/٢ .
(٣٣) تاريخ بغداد ٩٢/١٠ .
(٣٤) العصر العباسي الثاني ص ٤٩٣ .
(٣٥) الدبارات ص ١٦ .
(٣٦) الدبارات ص ١٧ — ١٨ .

خدّه ضدّ صدغه مثل ما الـ

وعد إذا ما خبرت ضد الوعيد

طائب انطبل طابلات من الزمر

وعاد السرور إذ عاد عودي

كان الناشيء كثير القصد للمتنزهات ، وفي واحد منها اجتمع مع عدة إخوان على الشراب ، ومعهم قينة محسنة ، فاقترح بعض الحضور عليها هذا الصوت :

« اديرا المدام ولا بدّ لي »

وكانت منغمة الصوت ، فغنته فاحسنت ، فما بقي في المجلس احد إلاّ اقترحه ، وذهب اكثر نهارهم فيه . وكانت المغنية تهوى الناشيء ويهواها ؛ فقال الناشيء : قد اسرفتم في هذا ، ولكني اقول :

وليت قضاء ولم تعدل

سفاهاً وقلت فلم تفعل

هجرتَ فاشمتَ بي الحاسدين

واشفقت من عذّل العذّل

ّلمن لم أباكر غداً قهوة

تصفق بالبارد السلسل

مداماً إذا جار بي حكمها

ركبتَ على السَنَن الأعدل

إذا ما انتشى الحرّ من كأسها

دعته إلى الخلق الافضل

ترى آخر القوم قد الحقـ

ته ايدي نداماه بالأول

يراح إلى الخير معتادها

فيعطي الجزيل ولم يسأل

« اديرا المدام ولا بدّ لي

من السكر منها ولا عذرلي »

وقد آذنونا بوقت الرحيل

فإن كنت تهويني فارحلي

فلما سمعت الجارية المغنية هذا البيت وقعت في قلبها النيران ، فقامت ولبست ثيابها على غفلة وجدتها من مولاتها ، وخرجت معه ، فاحتبسها الناشيء عنده شهراً ثم ردّها(٢٧) .

وهذا الخبر يعكس ما كان للناشيء في قلوب بعض القيان من حبّ عارم كان يدفعهن الى الارتماء بين احضانه ، وهو يعكس ايضا إلفه لمجالس الشراب والغناء ، وقدرته على ارتجال الشعر ، وتمتعه بلذات العيش .

وذات يوم اجتمع في دار محمد بن خلف بن المرزبان : الناشيء واحمد بن ابي طاهر ومحمد بن عروس ، ودعا لهم مغنية ، فجاءت ومعها رقيبة غاية في الجمال ، فلما شربوا اخذ الناشيء رقعة وكتب فيها :

فديتك لو انهم انصفوا

لردوا النواظر عن ناظريك

تردّين اعيننا عن سواك

وهل تنظر العين إلاّ إليك

وهم جعلوك رقيباً علينا

فمن ذا يكون رقيباً عليك

الم يقرئوا ويحهم ما يرون

من وحي حسنك في وجنتيك

فشغف الحاضرون بالابيات ، فقال ابن ابي طاهر : احسنت والله واجملت ، قد والله حسدتك على هذه الأبيات ، ووالله لاجلست ، وقام وخرج من ساعته ، ولم يعد الى الشرب بقية يومه(٢٨) .

والخبر يحمل في طياته دلالات لا تخفى ، فالناشيء كان غزلاً شغوفاً بالجمال ، وكان ذا قدرة على الارتجال مع الاجان ، ومثل هذه القدرة تجعله قبلة في مجالس الشرب ، فما أثار غيرة ابن ابي الطاهر وحده .

إن ايامه الوضيئة التي نهل منها اللذات نهلاً تصورها ابياته التي قالها حين سار من العراق إلى مصر(٢٩) :

قد لهونا بها زمانا وحينا

ووصلنا الاسحار بالأسحار

واغتبقنا على صبوح ولهو

وحنين النايات والاوتار

---

(٢٧) طبقات الشعراء ص ٤١٨ .

(٢٨) ديوان المعاني ٢٢٨/٢ ـ ٢٢٩ وانباه الرواة ١٢٩/٢ والمنتظم ٢٨/٦ ووفيات الاعيان ٩٢/٣ وشذرات الذهب ٢١٤/٢ ـ ٢١٥ وتاريخ بغداد ٩٣/١٠ والاغاني ١٨١/١٨ ومخطوطة الوافي ١٢٩/١٥ .

(٢٩) مروج الذهب ٤٥٣/٣ ـ ٤٥٤ .

بين ورد ونرجس وخزامي
وبنفسج وسوسن وبهار
واقاح وكل صنف من النو
ر الشهي الجني ومن جلنار

ظل قلب الناشىء يخفق للجمال ويفرد له ، فخلف لنا باقة رائعة من شعر الغزل وإن شغفه بالخمرة ومجالسها ترك للشعر العربي قطعا منتقاة في وصف الخمرة وكؤوسها وآدابها ومجالسها وقيانها ، من اروعها قوله(٤٠) :

لا عيش إلا بكف جارية
ذات دلال في طرفها مرض
كأن في الكأس حين تمزجه
نجوم رجم تعلو وتنخفض
تحمل في كأسها مشعشعة
ليس لها قيمة ولا عوض

ولعل واحدة من ابرز المتع التي تعلق بها الناشىء هي متعة الصيد . فلقد كان الولع بالصيد في عصره ضربا من الترف الحضاري الذي امتاز به ذلك العصر ، وهو لون من الترف شاع وانتشر ، وسار فيه الناس على مذهب خلفائهم .

إن طرديات الناشىء التي تشكل القسم الاكبر من شعره الذي جمعناه تعكس صورة من صور ولعه وشغفه البالغ بهذه المتعة الحضارية الجديدة .

وبعد تلك هي المحاور الثلاث التي دارت حولها حياة الناشىء في عاصمة الخلافة العباسية.

وبعد إقامة طويلة ببغداد امضى فيها جل حياته، رحل شاعرنا إلى مصر(٤١) وليس في المصادر التي بين ايدينا ما يساعد على التعرف على تأريخ هذه الرحلة(٤٢) غير اننا يمكن أن نجزم من خبر رواه الطبراني انه كان بمصر سنة ٢٨٠هـ حين انشده شيئا من شعره .

ولسنا نعرف سببا لهذه الرحلة ، وما ذكره المرزباني في الساقط من معجمه ، ونقله عنه

(٤٠) البديع في نقد الشعر ص ٢٢٦ .
(٤١) وفيات الاعيان ٩١/٣ والوافي ١٢٩/١٥ والشذرات ٢١٤/٢ وانباه الرواة ١٢٨/٢ وتاريخ بغداد ٩٢/١٠-٩٣.
(٤٢) تاريخ بغداد ٩٣/١٠ .

الخطيب البغدادي(٤٣) والسمعاني(٤٤) من أن الناشىء « اخذ نفسه بالخلاف على اهل المنطق والشعراء والعروضيين وغيرهم ، ورام أن يحدث لنفسه اقوالا ينقض بها ما هم عليه، فسقط ببغداد فلجأ الى مصر ، فشخص إليها وأقام بها بقية عمره » لا يمكن ان يكون سببا لهذه الهجرة التي فارق بها موطن أحلامه وذكرياته .

فالمرزباني قد انفرد بهذا الخبر الذي نقله عنه متاخرون جاءوا بعده ، والمرزباني نفسه من وفيات عام ٣٨٦هـ فهو ليس من معاصري الناشىء ثم إن الذين وقفوا على كتب الناشىء ومنهم القفطي قد ردوا اقوال المرزباني هذه . قال صاحب الانباه(٤٥) :

« واذا وقف الواقف على تصانيفه وانصف ظهر له اثر الاجتهاد والإمتاع ، حتى أن غير المنصف ينسبه الى الهوس ، وليس الأمر كذلك ، وإنما هي قوة وفطنة » .

ومما يعزز تحامل المرزباني عليه قوله : « وشعره كثير وهو مع كثرته قليل الفائدة »(٤٦) . وكلام المرزباني هذا مناقض لراي الصفدي ، وهو من اعلام النقد إذ قال عن شاعرية الناشىء : « وهو معدود في طبقة البحتري وابن الرومي(٤٧)» ومناقض ايضا لقول ابن كثير عنه : « كان جيد الذهن ... وكان شاعرا مطبقا »(٤٨) ومناقض كذلك لقول التوحيدي فيه : « وإن كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره ، وله مذهب حلو ، وشعر بديع ، واحتفال عجيب(٤٩) » . ومناقض لقول ابن خلكان عنه : « كان من الشعراء المجيدين ، وهو في طبقة ابن الرومي والبحتري وانظارهما(٥٠) » .

وإذا لم يكن ما ذكره المرزباني سببا في هذه الرحلة ، فهل يكون سببها اتهامه بأنه كان ثنويا ، فسقط من طبقة اصحابه المتكلمين على ما ذكر ابن النديم(٥١) قلت : إن هذا الاتهام مردود بما قاله

(٤٣) تاريخ بغداد ٩٢/١٠ .
(٤٤) الانساب ص ٥٥١ .
(٤٥) الانباه ١٢٨/٢ .
(٤٦) تاريخ بغداد ٩٢/١٠ .
(٤٧) مخطوطة الوافي بالوفيات ١٢٨/١٥ .
(٤٨) البداية والنهاية ١٠١/١١ .
(٤٩) البصائر والذخائر ١١٧/٢ .
(٥٠) وفيات الاعيان ٩١/٣ .
(٥١) الفهرست ص ٢١٧ .

ابن حجر : « ولا تغتر بقول ابن النديم ، فإنّ هذا من كبار المسلمين(٥٢) » .

الواقع انّ المصادر لم تكشف لنا سبب هذه الهجرة . ونلاحظ من خلال النصوص القليلة التي وصلتنا انه فارق العراق على مضض ؛ فهو يقول حين سار من العراق مفارقاً إلى مصر(٥٣) :

يا ديار الأحباب هل من مجيب
عنك يشفي غليل نائي المزار
ما اجابت ولكن الصمت منها
فيه للسائلين طول اعتبار
إن تكن اوحشت فبعد انيس
او خلت منهم فبعد قرار

حتى يقول :

فرمتنا الايام احسن ما كنّا
على حين غفلة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع
ونأينا بعد اقتراب الديار

ولسنا نعرف عن حياته بمصر الشيء الكثير، فالدكتور محمد كامل حسن ، يورد عنه امورا لا نعرف سندها العلمي ، فهو يرى : ان الناشيء لم يتصل بأمير من امراء مصر ، وانه مارس التعليم فيها(٥٤) .

وهذه الاخبار يجب ان ننظر إليها بحذر ، ذلك انّ الباحث المذكور لم يكن دقيقا فيما اورده عن الناشيء في المصدر ذاته .

فقد قال : إن للناشيء قصيدة في نسب الرسول تقع في الف بيت !! وهذا وهم ، صوابه انها في سبعة وسبعين بيتا .

وقوله : إن الناشيء كان بائساً في حياته ، مردود بما ورد في شعر الناشيء من يسر حاله :

« وعبدي وبرذوني ونضرة حالي »

ثم انتهى الى القول « وربما اخذ كشاجم شيئا من اشعار الناشيء مستشهدا بها عندما وضع كتابا في المصايد والمطارد » ومثل هذا الكلام يدل على قلة بضاعة الكاتب وانه لم يقف على كتاب المصايد والمطارد المطبوع . ولسنا نعرف شيئا ذا بال عن ايامه بمصر ، غير نبأ هجائه للشاعر المصري منصور بن اسماعيل التميمي الفقيه الضرير ، وقد ردّ عليه الأخير ردّاً نبيلاً إذ قال(٥٥) :

إن ذكر السّياق ـ أصلحك اللـ
ـه ـ وذكر المبيت في اللحد وحدي
حمّياني عن الحديث بما لو
ذاع لم تشتغل بمدحي وذمي
فاهجني باطلا فمالك عندي
ابداً غير ما لغيرك عندي

ونحسب أن الغربة التي عاناها الشاعر في اعوامه الأخيرة ، والجحود الذي لاقاه ممّن لم يعرفوا قدره ومواهبه الخارقة ؛ والإحساس الحاد باقتراب النهاية ، قد دفعته مجتمعةً إلى اعتزال الناس ، وايثاره العزلة فقال(٥٦) :

خبرتُ الانام فما إن وجد
تُ على محنة من يساوي نقيرا
فلما تبينت انني التمست
من الناس شيئاً بعيداً عسيرا
فزعتُ إلى الانس بالانفرا
د ، فكان التقلل منهم كثيرا

وهكذا عاش الشاعر في أعوامه الأخيرة مؤثراً العزلة بعد تجارب مرة قاساها .

وفاته :

اجمعت المصادر على أن الناشيء توفي سنة ٢٩٣هـ بمصر(٥٧) . وشذّ كحالة ، إذ ذكر أنه توفي سنة ٣٠٣هـ مخالفا الاجماع ، ولم يذكر سنده(٥٨) وهذا الوهم كرره كاتب الهامش في الصحيفة ٢٩٩ من كتاب فضل الاعتزال . وفي هدية العارفين انه توفي سنة ٢٩٢هـ(٥٩) وهو خطأ كذلك .

ولم تذكر المصادر علة وفاته، ولكن الصفدي

(٥٢) لسان الميزان ٣٣٤/٣ .
(٥٣) مروج الذهب ٥٣/٣ ـ ٥٤ .
(٥٤) ادبنا العربي في مصر الولاة ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٥٥) معجم الشعراء ص ٢٨٠ .
(٥٦) العزلة ص ٥٧ .
(٥٧) تاريخ بغداد ٩٢/١٠ والانباه ١٢٩/٢ والوفيات ٩٢/٣ والشذرات ٢١٤/٢ وحسن المحاضرة ٥٥٩/١ والمختصر في اخبار البشر ٦١/٢ والكامل في التاريخ ٥٤٧/٧ والعبر ٩٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٥٨/٣ ومروج الذهب ٥٣/٣) .
(٥٨) معجم المؤلفين ١١١/٦ .
(٥٩) العقود ٤٤٢ .

انفرد بذكر رواية صعبة التصديق ، تدور حول ظروف وفاته قال : « قيل إنّ سبب موته كان عجبا ، وهو انه كان في جماعة على شراب . فجرى ذكر القرآن وعجيب نظمه ، فقال ابن شرشير : يقولون لوشئت وتكلم بكلام عظيم ، فانكروا عليه ذلك فقال : آتوني بقرطاس ومحبرة ! فاحضر انيه ذلك . فقام ودخل بيتا ، فانتظروه ، فلما طال انتظاره ، قاموا ودخلوا إليه ، فإذا القرطاس مبسوطا ، وإذا الناشىء فوقه ممتدا ، فحركوه فإذا هو ميت »(٦٠) .

وربما كان هذا الذي ذكره الصفدي من تلفيقات خصومه وحساده .

مذهبه :

كان الناشىء الأكبر معتزلياً ، ترجم له مصنفو طبقات المعتزلة ، كالهمذاني(٦١) واحمد بن يحيى بن المرتضى(٦٢) .

كما ترجم له ابن النديم ضمن باب (ذكر قوم من المعتزلة)(٦٣) .

وقال ابن كثير عنه « وكان متكلما معتزليا »(٦٤) .

وقد وهم الدكتور شوقي ضيف حين ظنه شيعيا ، وقال « وكان شيعيا وربما شيعيته هي التي جملته يترك بغداد عاصمة الدولة العباسية إلى مصر(٦٥) » ومصدر الوهم هنا هو خلطه بين الناشىء الاصغر (علي بن عبدالله بن وصيف) ، وكان شيعيا معروفا ، وبين صاحبنا وبينهما قرن من الزمن .

تلاميذه ومن روى عنه :

لقد عدّ ابنُ الفقيه الهمداني الناشىء الأكبر من مفاخر بغداد وفضائلها التي يفخر بها العراق على مصر(٦٦) .

ويشير ابن الرومي في قصيدة له يهجو بها شاعرنا إلى ان اشعار الناشىء كانت تدرّس في زمنه :

كيـــف لا يشـــتدُّ وســـ
ـــواسي واشـــعارك تدرّس(٦٧)

ومثل هذه الإشارات تؤكد لنا حقيقة مهمة: هي انّ صاحبنا كان عملاقاً من عمالقة الفكر في زمنه ، وكان استاذاً له تلامذة يدرسون اشعاره وربما تصانيفه . وإذا كانت المصادر قد شحّت فلم يصلنا من اسماء تلامذته ما يروي ظمأ ، فقد ذكر السمعاني علمين منهما هما : ابو القاسم الطبراني ، ومحمد بن خلف المرزبان ، واكد انهما وغيرهما ممن رووا عنه(٦٨) .

مصنفاته :

للناشىء مصنفات كثيرة ضاع اغلبها ، فمما وصلنا منها :

١ ـ مسائل الامامة : وهو الكتاب الأول من كتاب فيه اصول النحل التي اختلف فيها اهل الصلاة .

٢ ـ الكتاب الاوسط في المقالات . وقد وصلتنا مقتطفات منه جمعها الصفي ابو الفضائل ابن العسّال النصراني ، وربما كان بقية كتاب المقالات الذي ذكره الهمذاني في طبقات المعتزلة .

وهذان الكتابان نشرهما المستشرق الالماني يوسف فان اس في بيروت سنة ١٩٧١ ضمن مطبوعات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ، وقد ضمت النشرة النص العربي ، وترجمته الألمانية ، وفهارس متنوعة .

٣ ـ تفضيل السودان على البيض ، وقد وصلتنا منه مخطوطة(٦٩) .

٤ ـ مفاخرة بين الذهب والزجاج ، عارضها السيوطي . وقد وصلتنا منه مخطوطة(٦٩)

اما بقية مصنفاته فقد ضاعت ، ووصلت من بعضها نقول ، وكذلك ديوانه ضاع وتناثرت قصائده . وفيما يلي عرض لهذه المصنفات :

---

(٦٠) انظر مخطوطة الوافي بالوفيات ج ١٥ ص ١٢٩ .
(٦١) فرق وطبقات المعتزلة ص ٩٨ وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
(٦٢) المنية والأمل ٩٢ .
(٦٣) الفهرست ص ٢١٧ .
(٦٤) البداية والنهاية ١٩٨/٢ .
(٦٥) العصر العباسي الثاني ص ٤٩٣ .
(٦٦) بغداد مدينة السلام ص ٦٩ .
(٦٧) ديوان ابن الرومي الجزء الثالث ص ١١٩٧ .
(٦٨) الأنساب للسمعاني ص ٥٥١ .
(٦٩) بروكلمان (الطبعة الثانية) ١٢٨/١ .

١ – ديوان شعره : ذكر ابن النديم ان ديوانه في خمسين ورقة(٧٠) . وهذا يعني انه يقع في ألفي بيت ، وهو امر يخالف ما ذكرته المصادر من كثرة اشعاره(٧١) وقد ضاع هذا الديوان فيما ضاع من تراثنا الشعري ، وسعينا الى جمع ما تناثر منه في شتيت المظان والمصادر ؛ مخطوطة ومطبوعة ، حتى استوى المجموع الذي نقدمه اليوم مشروحاً ومضبوطا بالشكل .

٢ – قصيدة له في اربعة آلاف بيت على رويّ واحد وقافية واحدة(٧٢) في الكلام(٧٣) وهذه القصيدة هي التي قال عنها ابن الجراح : إنّ الناجم ذكرها وذكر أن الشاعر انشده إياها(٧٤) . وذكر الصفدي وابن خلكان والقفطي انّ في القصيدة المذكورة فنوناً من العلم(٧٥) . واوضح المسعودي انّ هذه القصيدة نونية منصوبة ، وقد ذكر فيها اهل الآراء والنحل والمذاهب والملل(٧٦) .

٣ – له كتب كثيرة نقض فيها كتب المنطق(٧٧) .

٤ – له رد على داود بن علي إمام المذهب الظاهري ، ردّه عليه ابنه محمد بن داود(٧٨) الأصفهاني المتوفى سنة ٢٩٦هـ ، واسم كتابه « الانتصار على محمد بن جرير ، وعبدالله ابن شرشير ، وعيسى بن ابراهيم الضرير »(٧٩) .

٥ – له كتاب في العروض ذكر فيه أنواعاً مما خرج فيه الخليل بن احمد الفراهيدي عن تقليد العرب الى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع الجدل(٨٠) . وقال

(٧٠) الفهرست ص ١٩٢ وقد حرف اسم الناشىء الى (القاسمي) !

(٧١) مروج الذهب ٤٥٣/٢ وتاريخ بغداد ٩٢/١٠ .

(٧٢) طبقات المعتزلة للهمداني ص ٣٠٠ والانساب ص ٥٥١ والمنية والامل ص ٩٢ والنجوم الزاهرة ١٥٨/٣ وحسن المحاضرة ٥٥٩/١ وهدية العارفين (العمود ٤٤٢) .

(٧٣) الفهرست ٢١٧ ولسان الميزان ٣٢٤/٢ .

(٧٤) تاريخ بغداد ٩٢/١٠ .

(٧٥) الوفيات ٩١/٣ والانباه ١٢٨/٢ ومخطوطة الوافي بالوفيات ١٢٨/١٥ .

(٧٦) مروج الذهب ٤٥٣/٢ .

(٧٧) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٣٠٠ وتاريخ بغداد ٩٢/١٠ والانساب ٥٥١ .

(٧٨) لسان الميزان ٣٢٤/٢ .

(٧٩) مروج الذهب ٢٠٥/٤ .

(٨٠) مروج الذهب ٤٥٣/٢ .

ابن خلكان : إنّ الناشىء ادخل على قواعد العروض شُبَهاً ، ومثّلها بغير امثلة الخليل ؛ وكل ذلك بحذقة وقوة وفطنة(٨١) .

٦ – ارجح أنّ له كتابا في النحو ؛ فقد ذكر مؤرخوه انّه « كان بقوة علم الكلام نقض علل النحاة(٨٢) » وهذا النقض في رأيي قد تمّ في كتاب صنفه لهذا الغرض .

يعزز رأيي هذا قول القفطي : « علّم النحو واحكمه ، ونظر في علله وهو متكلّم ، فتبين له بقوة الكلام نقض اصوله ، فنقضها وصنّف فيها(٨٣) » .

٧ – له مصنفات واسعة في انواع من العلوم(٨٤) .

٨ – طرديات على اسلوب ابي نواس(٨٥) .

وقد ظفرنا بطائفة حسنة منها ، اضفناها لأشعاره الأخرى .

٩ – كتاب « تفضيل الشعر » ؛ وهو اقدم كتاب في النقد الادبي . وإنّ النصوص القليلة التي وصلتنا منه دفعت ناقداً كبيرا ومؤرخا معروفا من مؤرخي الأدب العربي إلى القول: بأنّ النقد الادبي ولد في حضن الاعتزال على ايدي الجاحظ ، وبشر بن المعتمر والناشىء الاكبر(٨٦) وقد رأيت خدمة لتراث هذا النابغة أن اجمع هذه النصوص القليلة في هذا الوضع . وان ارتبها ترتيبا زمنيا بحسب المصادر التي استقيتها منها .

[١]

قال الناشىء أبو العباس الكبير : اوّل الشعر إنما يكون بكاءً على دِمَنٍ ، او تأسّفاً على زمن ، او نزوعا لفراق ، او تلوّعا لاشتياق ، او تطلّعا لتلاق ، او إعذاراً إلى سفيه ، او تغمّداً لهفوة ، او تنصّلاً من زلّة ، او تحضيضاً على اخذ بثار ، او تحريضا على طلب اوتار ، او تعديداً للمكارم ، او تعظيما لشريف مقاوم ، او عتابا على طويّة قلب ، او عتابا من مقارفة ذنب ، او تعهداً لمعاهد احباب ، او تحسّراً على مشاهد إطراب ،

(٨١) وفيات الاعيان ٩١/٣ .

(٨٢) وفيات الاعيان ٩١/٣ وشذرات الذهب ٢١٤/٢ .

(٨٣) الانباه ١٢٨/٢ .

(٨٤) مروج الذهب ٤٥٣/٢ .

(٨٥) هدية العارفين العمود ٤٤٢ .

(٨٦) تاريخ النقد الادبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : احسان عباس ص ١٦ .

او ضربا لامثال سائرة ، او قرعاً لقوارع غائرة ، او نظماً لحكم بالغة ، او تزهيداً في حقير عاجل ، او ترغيبا في جليل آجل ، او حفظاً لقديم نسب ، او تدوينا لبارع أدب[٨٧] .

[٢]

وقال الناشىء ابو العباس في نقد الشعر : الشعر قيد الكلام ، وعقال الادب ، وسور البلاغة، ومحل البراعة ، ومجال الجنان ، ومشرح البيان، وذريعة المتوسل ، ووسيلة المتوصل ، وذمام الغريب ، وحرمة الأديب ، وعصمة الهارب ، وعدة الراهب (ورحلة الداني ، ودوحة المتمثل ، وروحة المتحمل) ، وحاكم الاعراب ، وشاهد الصواب[٨٨]

[٣]

قال الناشىء في كتاب « نقد الشعر » : ومخاطبات النساء تحلو في الشعر ، وتعذب في القريض ، لاسيما لغانية قد اطر الفتاء شاربها ، وزوى الإباء حاجبها ، واشعك الجمال قوامها ، وافرد الحسن تمامها ، وابخل الهوى عينيها ، وامرض الزهو جفنيها ، وارابت الصبابة الفاظها، وفتر الرنو الحاظها ، وارهف الظرف اعطافها ، والانت النعمة اطرافها ، ولذ للراشف مبسمها ، واطرد ماء النعيم بين رياضها وجناتها ، وترقرق جريال الشباب على سحناتها ، وجدل للضم قدها ، ومالت للجاذب جمائرها ، ودالت للقاضب عذائرها ، وشخصت للوتر ماكمها ، وظمئت للذبول فصولها ، وسهلت للعيون حجولها، وطابت للمتنسم ملاغمها، وارخت للمتنعم فواغمها، فكيف اذا هي برزت من حجابها ، وسفرت عن نقابها ، وتهادت بين اترابها ؛ وقد هز الريح اردانها ، واستعر الراح اكنافها ، بل كيف هي إذا املتها سائلها ، واكلتها ؛ مقاولها ، واعرضت عنه صدوفا ، وتأوهت منه عزوفا ، وقد قطب التيه جبينها ، واستغفش الآنف عرنينها ، واستخفها الطرب ، واستهواها العجب ، فافترت مبتسمة عن شتيت انيابها ، ومعسول رضابها ، وكيف مقر نفس عاشقها إذا هي لسنته بعتابها ، ولحنته بسبابها ؛ وقد لاثت ذوابل اثوابها ، وحسرت فواضل اسلابها ، وطفقت تعد ذنوبه بحناجرها ، وتأبى معاذيرها بمكاسرها ، وهل تطوع لها أمنية إذا اعتبته من صدها ، وبذلت له مصون ودها ، ثم اسعفته بزورة ، وسنت لها عين راقبها ، وغيلت بها نفس عاقبها ، وقد التفعت إليه مُلاءَ ليل ، او وطئت إليه اعقاب قيل ، فقد خزل الاين اباطلها ، وبل البهر غلائلها ، وحصدت له اعاليها وأسافلها ؛ وأوجل الوجل فرائصها ، واوجأ المجل اخامصها ، ثم طفقت تستعتب نفسها وتستكفها ، حتى إذا اسمحت بها قرينتها ، واسجحت لها سجيتها ، وسكن إلى الايناس قلقها ، وأسرع الى الابناس علقها ناسمته من حديثها بما هو اقر لعينه ، واشهى إلى نفسه من طول بقائها ، ودوام نعمائها ، ولنا في هذا الباب ما لم يخرج عن مذهب القوم منه :

فديتك لو انهم يعقلون
لردوا النواظر عن ناظريك
الم يقرءوا ويحهم ما يرون
من وحي قلبك في مقلتيك
وقد جعلوك رقيبا علينا
فمن ذا يكون رقيبا عليك[٨٩]

[٤]

وكقول بعض المحدثين : قصر جرير في قوله :

إن العيون التي في طرفها مرض
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فقال : « في طرفها » فاضاف الجمع الى الواحد . والطرف هو العين ؛ فكانه قال :

إن العيون التي في عينها مرض ، وقال : « قتلننا ثم لم يحيين قتلانا » فجاء بما لبس في العادات من الإحياء بعد القتل . وقال : احسن منه قولي :

لا شيء اعجب في عينيك إنهما
لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

وكذلك قال في قول النابغة :

وإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

---

(٨٧) البصائر والذخائر ٢٦٠/٢ — ٢٦١ .

(٨٨) البصائر والذخائر ٢٧٣/٢ وفيه تحريف كثير وفي زهر الاداب ٦٣١ .

(٨٩) البصائر والذخائر ٦١٩/٢ — ٦٢١ .

إنّ هذا ليس بغاية في التبالغ ، لأنه جاء بما له قسيم يفعل مثل فعله ، وهو أن النهار يدرك ما يدرك الليل . وإنما كان يتمّ له ما قصد لو اتى بشيء لا قسيم له . وذكر انّ قوله :

كأنه الدهر في إدراك غايته
او المنايا إذا جاءت على عَجَل

ابلغ منه ، لأنه جاء بما لا قسم له . وقال ومنه قولي :

هم للعداة كآجال مُسَوَّمة
إن حاولوا فوتها آلوا ولم يئلوا

وقال : الآجال لا يفوتها شيء ، ولا قسيم لها ، فهي ابلغ من الليل ، إذ كان النهار قسيمه .

وما هو في هذه العيوب إلاّ كما حدثنا ابو علي الحسين بن ابراهيم الآمدي ، قال : حدثنا ابو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، قال : اخبرنا محمد بن يزيد المبرد ، قال : تلاحى مسلم ابن الوليد وابو نواس ، فقال مسلم : ما اعلم لك بيتاً يخلو من سَقَط . فقال ابو نواس : اذكر شيئا من ذلك . قال : بل انشد انت اي بيت شئت . فانشده :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا
وأمله ديكُ الصباح صياحا

فقال مسلم : قف عند هذا . لمَ امله ديك الصباح ؟ ، وهو يبشره بالصبوح ، وهو الذي ارتاح إليه ؟!

قال ابو نواس : فانشدني انت . فانشده :

عاصى الشباب فراح غير مُفنَّد
واقام بين عزيمة وتجلّد

فقال ابو نواس : ناقضت ، ذكرت انه راح، والرواح لا يكون إلاّ بالانتقال من مكان إلى مكان ، ثم قلت : « واقام بين عزيمة وتجلد » ، فجعلته منتقلاً مقيما في حال ، وهذا متنقضٌ .

قال ابو العباس : وكلا البيتين صحيح ، ولكن من طلب عيباً وجده ، ومن طلب مخرجاً لم يفته)(٩٠) .

---

(٩٠) ما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز القيرواني ـ تحقيق الدكتور المنجي الكعبي ص ٢٧ ـ ٢٩ .

تعليق لمحقق الديوان : هذا النص مقتبسٌ من كتاب تفضيل الشعر للناشىء الأكبر ولم ينتبه الدكتور الكعبي إلى ذلك ، وفاته إن المقصود بعبارة (بعض المحدثين) الناشىء الأكبر بالذات . وادلتنا على ما نذهب إليه هي :

١ ـ إن البيت الذي نسبه القائل لنفسه وفضّله على جرير هو للناشىء الأكبر ؛ اوردته المصادر منسوبا إليه ، كالفهرست ص ٢١٧ والعمدة ج/١ ٢٠١ وديوان المعاني ١/٢٣٥ .

٢ ـ وبدليل ما جاء في العمدة ٢٠١/١ ونصه : « كالذي فعل الناشىء ابو العباس في اشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر ، فشكرها ، ونوّه بها ، ونبّه عليها : وفضّلها على اشعار الفحول : مثل جرير وغيره ، منها قول جرير :

إنّ العيون التي في طرفها مرض
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك به
وهنّ اضعف خلق الله انسانا

وزعم ـ بعد إقامة ما حسبه برهانا ـ إن قوله :

لا شيء أعجبُ من عينيك إنهما
لا يضعفان القوى إلاّ إذا ضَعُفا

خير منه، واسلم من الاعتراض، واكثر اعتراضا » .

٣ ـ وبدليل ثالث هو عبارة (قال ابو العباس) ، الواردة في آخر النص ، فابو العباس كنيته الناشىء وليست كنية القزاز .

وهذه امور تقطع بأن النص بكامله للناشىء الأكبر ، لا لسواه .

[٥]

وقال [الناشىء] في هذا الكتاب [وهو كتاب الشعر] : الشعر ما كان سهل المطالع ، فصل المقاطع ، فحل المديح ، جزل الافتخار ، شجيّ النسيب ، فكِهَ الغزل ، سائر المثل ، سليم الزلل ، عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب المعذرة ، منجِبَ المعتبة ، مطمع المسالك ، فائت المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعاني ، نائي الاغوار ، ضاحي القرار ، نقي المستشف ، قد

هريق فيه ماء الفصاحة ، واضاء له نور الزجاجة، فانهلّ في صادي الفهم ، واضاء في بهيم الراي . لمتامله ترقرق ، ولمستشفعه تألّق ، يروق المتوسم ، ويسرّ المرسّم ، قد ابدت صدوره متونه ، وزهت في وجوهه عيونه ، وانقادت كواهله لهواديه ، وطابقت الفاظه معانيه ، وخالفت اجناسه مبانيه ، فاطّرد لمتصفحه ، وانار لمستوضحه ، واشبه الروض في وشي الوانه ، وتعمم افنانه ؛ وإشراق نوّاره ، وابتهاج انجاده باغواره ؛ واشبه الوشي باتفاق رقومه ، واتّساق رسومه ، وتسطير كفوفه ، وتحبير نونه ، وحكى العقد في التئام فصوله ، وانتظام وصوله ، وازديان ياقوته بدره ، وفريده بشذره ، فلو اكتنف الإيجاز موارده ، وصقلت مداوس الدربة مناصله ، وشحذت مدارس الأدب فياصله ، جاء سليماً من المعائب ، مهذبا من الأدناس ، تتحاشاه الأبن ، وتتحاماه الهجن ، منهديا إلى الأسماع بهجته ، وإلى العقول حكمته .

وقد قلت في الشعر قولاً جعلته مثلا لقائليه، واسلوبا لسالكيه ، وهو :

الشعر ما قوّمتَ زيغ صدوره
وشددت بالتهذيب أسْرَ متونه
ورأبتَ بالإطناب شعْبَ صدوعه
وفتحت بالإيجاز غور عيونه
وجمعت بين قريبه وبعيده
ووصلت بين مجمّه ومعينه
وعقدت منه لكلّ امر يقتضي
شبهاً به فقرنته بقرينه
فإذا بكيت به الديار واهلها
اجريت للمحزون ماءَ شئونه
ووكلته بهمومه وغمومه
دهراً فلم يَسْرِ الكرى بجفونه
وإذا مدحت به جواداً ماجداً
وقضيته بالشكر حق ديونه
اصفيته بنفيسه ورصينه
ومنحته بخطيره وثمينه
فيكون جزلاً في اتّفاق صنوفه
ويكون سهلا في اتّساق فنونه
وإذا اردت كناية عن ريبة
باينْتَ بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه
ببيانه وظنونه بيقينه
وإذا عتبتَ على اخٍ في زلّة
ادمجتَ شدّته له في لينه
فتركته مستأنساً لدماثة
مستيئساً لوعوثه وحزونه
وإذا نبذت إلى التي علقتها
إن صارمتك بفاتنات شئونه
تيمتها بلطيفه ورقيقه
وشغفتها بخفيّه وكمينه
وإذا اعتذرت إلى اخٍ في زلّة
واشكلْتَ بين محيله ومبينه
فيحورُ ذنبكَ عند من يعتدّه
عتباً عليك مطالبا بيمينه
والقول يحسن منه في منثوره
ما ليس يحسن منه في موزونه(٩١)

[٦]

وقال بعضهم ـ واظنه ابا العباس الناشىء ـ العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات :

اعلى ، وهو علم ما غاب عن الحواس فأدرك بالعقل او القياس .

واوسط ، وهو علم الآداب النفسية التي اظهرها العقل من الأشياء الطبيعية ، كالأعداد والمساحات ، وصناعة التختيم ، وصناعة اللحون.

واسفل ، وهو العلم بالأشياء الجزئية ، والاشخاص الجسمية .

فوجب ـ إذا كانت العلوم افضلها ما لم تشارك فيه الجسوم ـ أن يكون افضل الصناعات ما لم تشارك فيه الآلات .

وإذا كانت اللحون عند الفلاسفة اعظم اركان العمل الذي هو احد قسمي الفلسفة ، وجدنا الشعر اقدمَ من لحنه لا محالة ، فكان اعظم من الذي هو اعظم اركان الفلسفة ، والفلسفة عندهم علم وعمل . هذا معنى الكلام المنقول عنه مختصراً وليس نصاً(٩٢) .

---

(٩١) زهر الآداب ٦٢١ ـ ٦٢٢ .

(٩٢) العمدة ٢٥/١ ـ ٢٦ .

[٧]

كالذي فعل الناشىء أبو العباس في اشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر، فتشكرها ، ونوّه بها ، ونبّه عليها ، وفضّلها على اشعار الفحول : مثل جرير وغيره ، منها قول جرير :

إنّ العيون التي في طرفها مرض
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك به
وهنّ أضعف خلق الله إنسانا

وزعم ــ بعد إقامة ما حسبه برهاناً ــ إنّ قوله :

لا شيء اعجب من عينيك إنهما
لا يضعفان القوى إلاّ إذا ضَعُفا

خير منه ، وأسلم من الإعتراض ، وأكثر اختصار[٩٣] .

تعليق لمحقق الديوان : لابدّ هنا من التنبيه على وهم وقع فيه بروكلمان عند حديثه عن كتاب « تفضيل الشعر » للناشىء ، فقد قال في الذيل ١٨٨/١ (الطبعة الالمانية) ما ترجمته : في كتابه تفضيل الشعر الذي ضمّ اربعة آلاف بيت شعر على قول الخطيب أورد ابيات لشعراء مشهورين وفي مقابلها ابيات شعرية افضل من وضعه هو . حتى قال : وقد ألّف كذلك دائرة معارف مقفاة في حوالي اربعة آلاف بيت .

أقول : ومصدر الوهم في هذا الكلام ، ان الخطيب البغدادي لم يقل إن كتاب تفضيل الشعر ضم اربعة آلاف بيت، ونص عبارته (وكان شاعراً، وله قصيدة على روي واحد وقافية واحدة تكون اربعة آلاف بيت ؛ ذكرها الناجم وذكر انه انشده إياها . وكان يقول في خلاف كل معنى قالت فيه الشعراء)[٩٤] .

فالخطيب البغدادي ذكر المطولة فقط ، والتي تقع في اربعة آلاف بيت، وهي في علم الكلام، او في فنون من العلم على ما ذكرنا . ولم يتعرّض مطلقا لكتاب « تفضيل الشعر » ولم يشر إليه ، فيكون وهم بروكلمان مصدره سوء فهمه لعبارة الخطيب .

(٩٣) العمدة ٢٠١/١ ــ ٢٠٢ .
(٩٤) تاريخ بغداد ٩٢/١٠ .

ثم إنّ ايّ مصدر من المصادر القديمة لم يقل إنّ للناشىء قصيدتين عدة كلّ منهما اربعة آلاف بيت ، أو إنّ كتاب تفضيل الشعر ضمّ اربعة آلاف بيت .

تعليق ثان لمحقق الديوان :

يلاحظ في النصوص المتقدمة اختلاف في اسم مصدرها ؛ فهو عند التوحيدي كتاب « نقد الشعر » وعند الحصري « كتاب في الشعر » وعند ابن رشيق كتاب « تفضيل الشعر » ؛ ولأن بعض النصوص المستقاة من البصائر والذخائر وزهر الآداب مشتركة ، وهي بأجمعها متماثلة من الداخل ، مما نرجح كونها من كتاب واحد للناشىء

امّا النصوص المستقاة من العمدة و « ما يجوز للشاعر في الضرورة » ؛ فهي متشابهة ومتماثلة ؛ مما يقطع بانها من كتاب واحد للناشىء

وهنا يثور تساؤل خلاصته : هل إنّ كتاب « نقد الشعر » هو كتاب « تفضيل الشعر » ، أم هما كتابان مستقلان ؟ في رأينا إنهما كتاب واحد ــ والله اعلم ــ .

١٠ــ وللناشىء آراء مذهبية في كتاب « مقالات الاسلاميين »[٩٥] وفي كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل »[٩٦] جديرة بالملاحظة

١١ــ ومما حفظه الرقيق القيرواني من اقوال الناشىء في فضل الخمر قوله : « من الناس قوم نقصت حواسهم ، وعزبت آراؤهم ، وفسدت أفكارهم ، فجهلوا فضل الشراب ، وما في المنادمة من استعمال المروءة واستكمال الفتوة ، ومن الفائدة في مؤانسة الإخوان ومعاشرة الخلان ، وإثارة الحكم والآداب ، ونفي الهموم والاوصاب ، والانبساط من الهموم والحصر ، والافاضة في غرائب الشعر والخبر ، وعابوا ذلك واتوا ما هو شر منه »[٩٧] .

*

هذا ما وقفنا عليه من اخبار آثاره ومصنفاته

لقد اثارت آراء الناشىء الأكبر دويّاً ضخما في حياته ، فلا بدع ان ترى الأشعري ــ الذي كان

(٩٥) مقالات الاسلاميين ١٩٧/٢ .
(٩٦) الفصل ١٩٤/٤ .
(٩٧) المختار من قطب السرور ص ٧٥ ــ ٧٦ .

من ائمة الاعتزال ثم انشق عليهم مؤسساً مذهب الأشاعرة يؤلف كتابا في الرد على الناشىء الاكبر في مذهبه على الأسماء والصفات على ما ذكر ابن عساكر في كتابه « تبيين كذب المفتري فيما تنسب الى ابي الحسن الأشعري »(٩٨) .

ولا بدع ايضا ان يجابه بمعارضة شديدة ، لاسيما وقد اثار على نفسه العروضيين والنحاة والمناطقة ؛ وكثيراً من خصوم الاعتزال ؛ وعدداً من ابرز الشعراء والفلاسفة واصحاب المذاهب . وربما كانت هذه الخصومات وراء هجرته من العراق إلى مصر .

صلاته بشعراء عصره : عاصر الناشىء الاكبر علمَين من اعلام الشعر العربي هما : ابن الرومي (٢٢١ — ٢٨٣هـ) ، والبحتري (٢٠٦ — ٢٨٤هـ) وقد اكّد عدد من مؤرخي الأدب العربي ونقاده كابن خلكان والصفدي وغيرهما انه كان من طبقتهما(٩٩) والسؤال : كيف كانت علاقة الناشىء بهذين الشاعرين الكبيرين ؟

امّا ابن الرومي فقد كان شيخ الهجائين في عصره ، وكان لا يمدح شخصاً إلاّ عاد وهجاه . وكان فيما يبدو حاسداً المكانة الفكرية العالية التي تبواها الناشىء بجدارة — ، وحدث انّ الناشىء سئل عن ابن الرومي فقال : إنّه « موسوس زائل العقل » ، فأثار ذلك حفيظة ابن الرومي فهجاه بقوله(١٠٠) :

يُرجِفُ القِردُ بانسي
زائلُ العقلِ موسوَسْ
حاول القردُ تَعمري
عكسَ امرٍ ليس يعكس
اتُراه يتظنّى
ان عين الشمس تطمس ؟
إن اُوسوس فحقيقٌ
ينشعَدُ القرد وانحس
اصبح الناشىءُ ممّن
يتغنّى وهو اخرس
نافقاً عند اناس
تعسوا ، والدهر اتعس
قل له عني وإن اصـ
بحتَ اطرى [بل] واكيس(١٠١)
تِهْ على الدهر وقل ما
شئتَ واظلم وتغطرس
لم يقدّس منك شيءٌ
ونك الجِدُّ المقدس
كيف لا يشتدُّ وسـ
واسي ، واشعارك تدرس !
وضياءُ الشمس لا يقـ
بِسُ ، والظلماءُ تقبِس ؟!
لم أكن انقس شيئاً
وعلى مثلك انفس ؟ !
قيل لي : إنك شعّر
تَ ، فضاقَ المتنفّس
ثم عَززْتَ فؤادي
بعدما حار وأبلس
قلتُ : إنّا لبخيرٍ
إن اخونا لم يقرّس
ما اقتنى مثلك دهر الـ
سوء إلاّ حين افلس

والقصيدة تنضح بروح الحسد الذي كان يأكل قلب ابن الرومي ، وهو يرى المكانة التي تبواها الناشىء عند الناس ، حتى خيّل إليه انّ خط الناشىء مقدس لمّا صارت اشعاره تدرس ، وصار يتيه على الدهر ويظلم ويتغطرس .

وبسبب من ضياع ديوان الناشىء فاننا لا نعلم ماذا كان ردّه على ابن الرومي .

وامّا البحتري (٢٠٦ — ٢٨٤هـ) فقد كان هو الآخر من خصوم الناشىء الاكبر ، ولم يحفظ لنا التاريخ الادبي سبب هذه الخصومة ، وإن كنت ارجّح انّ البحتري كان شاعر المتوكل العباسي . والمتوكل هو الخليفة الذي قام بتصفية

(٩٨) انظر مقالة الدكتور مصطفى جواد المعنونة « الشعر التعليمي عند العرب وفضل الناشىء الاكبر في تاسيسه » مجلة المعلم الجديد عدد ٦ سنة ؟ (١٩٣٩ ص ٤٥٢—٤٥٨) وانظر ايضا هامش ص ٢٩٩ من كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة .

(٩٩) وفيات الاعيان ٩١/٢ ومخطوطة الوافي بالوفيات ١٢٨/١٥

(١٠٠) ديوان ابن الرومي : تحقيق الدكتور حسين نصار ١١٩٦/٢ — ١١٩٧ .

(١٠١) رواية البيت في الديوان مختله فاصلحناها باضافة ما بين عضادتين .

نفوذ المعتزلة ، فعزل قضاتهم ، وصادر ضياعهم واملاكهم ، والقى بالكثير منهم في السجون ، وظلّ يمعن في مطاردتهم واضطهادهم حتى مكّن خصومهم من السخرية منهم وهجائهم شعراً . وكان هذا كله ردة فعل للتشدد والتطرف الذي سار عليه الخلفاء العباسيون قبل المتوكل وهم واقعون تحت سيطرة المعتزلة — من اكراه اهل الحديث بالقوة على القول بخلق القرآن .

وإذ كان البحتري شاعر المتوكل العباسي ، فلا بدع أن يعمد الناشىء وهو معتزلي إلى هجائه ثأراً من المتوكل بشكل غير مباشر .

إنّ القصيدة الفريدة التي حفظها لنا ابو حيان التوحيدي والتي هجا فيها الناشىء البحتريَّ ، تمثل ضرباً موجعا اليما من الهجاء ، جمع الفحش إلى جانب رسم الصورة الساخرة ، قال الناشىء(١٠٢) :

قلتُ لها لا تكثري
خذي فؤادي او ذري
حَبْثَكِ ما فارقني
في سفري او حَضَري
فليت شعري ما الذي
عندكِ ؟ قالت لي : حري
قلتُ : فهاتيه إذاً
قالت : نعم السُحُر
فلم ازل في ليلتي
مغتبطاً بالنظر

الى آخر الأبيات .

ومثل هذا التعريض من أوجع الهجاء واقتله وقد فتشت طويلا في ديوان البحتري بحثا عن ردٍّ له ، او كشفاً عن اهجية له في الناشىء فلم اعثر .

*

إنّ الناشىء الاكبر زجّ نفسه في خصومه شاعر آخر بعد هجرته الى مصر ، وهو الشاعر منصور بن إسماعيل التميمي المصري الفقيه (المتوفى سنة ٣٠٦هـ)(١٠٣) وعلى الرغم من انّ منصورا هذا لم يكن من اهل مصر ، بل هو من راس العين في الجزيرة ، وهاجر الى بغداد في شبابه ، ومدح « المعتز » ، ثم انتقل الى مصر وامضى فيها بقية حياته وبها توفي ؛ إلاّ أنّ المذكور كان فقيها بارزاً وله تصانيف في الفقه منها : « الهداية » و « الواجب » ، و « زاد المسافر » ، وكثير من شعره في الأمثال والحكم والزهد ، ومثل هذا الشاعر تكون له مكانة اجتماعية كريمة وجمهور يغضب لغضبه ، ويعادي خصومه .

ونعتقد ان هجاء الناشىء لمثل هذا الشاعر ، والردّ الهادىء الذي ردّ به منصور على الناشىء ، قد اساءا لمترجمنا .

*

وبعد فهذا طرف من صلات الناشىء لشعراء عصره لم تسعفنا النصوص في التوسع فيه .

*

خلائقه : إذا كان شعر الشاعر اصدق صورة لحياته ، فإنّ ما بين ايدينا من شعر الناشىء الأكبر يعكس صورة رجل نبيل جواد شجاع ، يكره ان يتحلى بغير ما هو فيه ، يرى أن حلية الفتى فضله وقيمته نبله ؛ وان اقواله لن تزينه إذا ما خالفها فعله . يأنف عتاب الأصدقاء لأنه يغري بالعقوق ، ويترك الانسان بلا اصدقاء . شديد الصون لسرّ ، شديد الاعتزاز بالعقل ، يرى السكوت على الجهّال خير جواب لهم ، وتشير بعض اشعاره إلى إيثاره الصدق ، وحفظ الود ، ومعاداة النفاق .

ملامح الاعتزال في شعر الناشىء الأكبر :

إنّ المبادىء الأساسية الخمسة التي قام عليها مذهب الاعتزال هي :

١ — التوحيد
٢ — العدل
٣ — الوعد والوعيد
٤ — المنزلة بين المنزلتين
٥ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولقد اثمر الفكر المعتزلي تراثا ادبيا وفكرياً ضخماً ، ولكن الخصومة الشديدة التي كانت بين السنة والمعتزلة ربما كانت وراء إبادة معظم هذا التراث وإتلافه ، حتى قال نيبرج في مقدمة كتاب الانتصار لأبي الحسين الخياط : « هو من تركة

(١٠٢) البصائر والذخائر ٨٣/٢ .
(١٠٣) انظر ترجمته في معجم الادباء (الارشاد) ١٨٥/٧—١٨٦ وشذرات الذهب ٢٤٩/٢ وطبقات الشيرازي ١٠٧ ووفيات الاعيان ٢٨٩/٥ والاعلام ٢٣٥/٨ ونكت الهميان ٢٩٧ وحسن المحاضرة ١٦٨/١ وطبقات السبكي ٢١٧/١ والمنتظم ١٥٢/٦ والمغرب (قسم مصر) ٢٦٢/١ .

المعتزلة ، ولا يخفى على عالم انّ هذا الصنف من الكتب العربية فلما انتهى إلى هذا العصر ، وذلك لما نزل بمنازله من الإحراق والتدمير ، وصبّ على رؤوس اصحابه من التقبيح والتكفير ، والقليل الباقي منه قد بلغنا عن إحدى طرق ثلاث : منه ما تحنت عليه الزيدية في اليمن اعتناء بمذهبهم الذي هو أقرب ما يكون إلى مذهب الاعتزال ؛ ومنه ما ادخره العلماء رغبة في الانتفاع بما فيه من علوم شتى ، ممّا لا علاقة له بعلم التوحيد ، ومنه ما أغلق عن أيدي مضايقيه خفية أو صدفة .. »(١٠٤)

من هذا المنطق يمكن ان نفهم اسباب ضياع المصنفات الكثيرة التي أبدعها الناشىء الأكبر ، ومنها ديوان شعره ، ومطولته الشعرية العجيبة في علم الكلام ، وكتابه النقدي الرائد « تفضيل الشعر » .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي خصائص الادب المعتزلي التي برزت في شعر الناشىء ؛ او ما هي ملامح الاعتزال التي انماز بها شعره ؟؟

١ ـ من هذه الخصائص مناظرة المخالفين لآراء المعتزلة من اصحاب الفرق الأخرى وهجوهم وبسط الأفكار الاعتزالية شعراً .

فالمعتزلة شنوا حربا عوانا على الجبرية وعلى المشبهة فقال شاعر منهم يمدح أبا الهذيل العلاف:

آل امر الاجبار شرّ مآل
وانثنى مذعنا بخزي مذال
بين نابي ابي الهذيل حسامٌ
بيد الدين مرهف في صقال
قد رأيناه والخليفة يسطو
بيمين من رأيه وشمال
قل لأهل الإجبار شاهت وجوه
وقلوب ولدن تحت الضلال
من يقم في دجى من الشك فالنـ
ـور مناط بغرة الاعتزال

وعلى هذا الطريق سار الناشىء في قوله :

ما في البرية اخزى عند فاطرها
ممن يقول بإجبار وتشبيه

ويمضي الناشىء باسطاً الفكرة الاعتزالية في نفي الصفات عن الله تعالى فيقول :

لو كان لله شبه من خليقته
كانت دلائله من خلقه فيه
قد كان مقتضيا من نشو صانعه
ما يقتضي النشو من آثار ناشيه
لكنه جلّ عن أوهام واصفه
فالحسّ يعدمه والعقل يبديه

٢ ـ اشتهر المعتزلة عبر التاريخ ببلاغتهم وفصاحتهم حتى قال شاعرهم صفوان الانصاري يصف تلك البلاغة :

وما كان سحبانٌ يشق غبارهم
ولا الشدق من حيّيْ هلال بن عامر
ولا الناطق النخار والشيخ دغفل
إذا وصلوا ايمانهم بالمخاصر
ولا القالة الأعلون رهط مكحل
إذا نطقوا في الصلح بين العشائر

وعلى هذا الدرب سار الناشىء ، فقال مفتخراً ببلاغته :

كلامٌ يخوض غمار البحار
ويصعد في شاهقات الجبال
بدائعه تطرب السامعين
وينمى سناها نماء الهلال

وقال في موضع آخر يفتخر بالكلام وبلاغته :

ونحن اناس يعرف الناس فضلنا
بألسننا زينت صدور المحافل
تنير وجوه الحق عند جوابنا
إذا اظلمت يوماً وجوه المسائل
صمتنا فلم نترك مقالاً لصامت
وقلنا فلم نترك مقالاً لقائل

---

(١٠٤) مقدمة كتاب الانتصار ص ١٠ .

من شعراء الفتوح

نافع بن الأسود المعروف بابن نجيد

تحقيق

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب / جامعة بغداد

في الدعوات الكثيرة التي تقال بشأن التاريخ والادب والسيرة وما يصاحب هذه الدعوات من اجتهاد في اعادة الكتابة أو العودة الى القراءة المتفحصة تكون الكتابة في ضوء هذا النوع من القراءة مجدية ونافعة، ومايتخللها من مناهج تنبري لتصحيح منهج أو تغليب جانب ، أو اعتماد احداث ، أو غير هذه التوجهات ، اشارات واضحة لحاجة قائمة ، ومحاولات جادة للانتفاع من هذه العلوم في الكشف عن الجوانب النافعة ، أو الاستفادة منها لتوثيق رواسخ الاتصال بحلقات التراث الاصيلة ، أو الاجتهاد في تحديد معالم ظاهرة من الظواهر ، او طريقة التعامل مع احداث التاريخ وغيرها من القضايا التي أصبحت ملحة في مرحلتنا ، وموجبة الى التحقق والمصادرة لتكون اصول التوجه لها اطراف ، وابعاد التناول لها أوليات ، وحقائق الاستعانة لها وشائج .. ومثل ما كان التاريخ وجها من وجوه الامة ،رحالة من حالات الاستشهاد ، وصورة من صور البناء الانساني للمجتمع العربي - على الرغم من المناهج التي تناولته في الكتابة ، او اعتمدته في التناول - فان العلوم التي نشأت في ظل التاريخ أو كتبت في اطار احداثه ، او أعتبرت جزء من مكوناته ، كانت حالة مكملة ، ووجها اخر من وجوه المعرفة التي بواسطتها نستكمل الحلقات ، وقطبا من الاقطاب التي عاشت في حركتها كثير من الاحداث الكبيرة التي تحكمت في حركة الامة من جهة وحركة تاريخها من جهة ثانية .

وتاريخ الادب الذي يعد جزء لايتجزأ من حركة التاريخ قد دخل في معظم الابواب التي اعتمدت النص واشارت اليه ووقفت عليه واستخدمته في تأكيد مسالة او تحقيق قضية ، أو استطلاع راي وهذا ما يفسر لنا ان كثيرا من كتاب السيرة والمغازي قد اعتمدوا الشعر في اخبارهم وهم يجدون في روايته متعة ، وفي الاستشهاد به سندا ، والاعتماد عليه مشاركة في توثيق الخبر ، وترسيخ اصوله في نفوس المستمعين ، وهذا ماكان يدفع ابن شهاب الزهري الى ان يقول : هاتوا من اشعاركم فان الاذن بحاجة ، فالشعر كان له وقعه في النفس ، وأثره في الحس ، وصفاوءه في موافقة الحدث ، ولونه في استذكار الاحاديث الى جانب استثارته لكوامن النفس ، واستقطابه لجوامع الاشياء وهو يحمل المشاعر الدافقة ، ويروي الاحداث المسلسلة ، ويوائم بين طبيعة الحروف ، وجرس الالفاظ ، واستيحاء المعاني ، وربما كان ميل مؤرخي السيرة الكبار من الطبقة الاولى والثانية والثالثة الى الشعر وشغفهم به هو السبب في ادخال بعض الشعر في ثنايا السيرة .. والاستشهاد به في توثيق المغازي .

اما المغازي فكانت جانبا اخر من جوانب الحياة وهي تعني موضع الغزو أو الغزو نفسه ثم توسعوا في معناها فاطلقوها على مناقب الغزاة وغزواتهم ثم انتقل معناها الى الحديث عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جعلت مرادفة للسيرة وقد الفت في المغازي كتب كثيرة واول ماعرف بالتاليف فيها هو ابان بن عثمان وعروة بن الزبير الذي روى اخبار الهجرة الى الحبشة والى المدينة وغزوة بدر وشر حبيل بن سعد المتوفى عام ١٢٣ للهجرة ووهب بن منبه وتعتبر هذه المجموعة من اوائل المهتمين بكتابة المغازي ثم اعقبتهم مجموعة اخرى كان لها فضل المتابعة فاكملت ما بدا به اولئك تخليدا للاعمال الجليلة ، وتذكيرا للناس بما قدمه الاوائل في ميدان الجهاد ، ومجال العقيدة ، وبداية الايمان فكان عبدالله بن ابي بكر الانصاري وعاصم بن عمر بن قتادة والزهري من الرجال الذين دونوا المغازي لعلمهم بها وقربهم منها واتصالهم بمن روى عنها اوسمع باخبارها واخذت عن هؤلاء جماعة اخرى كان لها فضل ايصالها فكانت مغازي ابن عقبة اصح المغازي كما قال ابن حجر ومثل ابن عقبة

معمر بن راشد الذي كان له علم واسع بالحديث والسير واشار الى مغازيه ابن النديم ولم يصل الينا كتابه وانما وصلت الينا منه مقطعات ذكرها الواقدي وابن سعد والبلاذري والطبري .

ويعد كتاب سيرة ابن اسحاق من الكتب الاولى التي وصلت الينا مختصرة في سيرة ابن هشام ويمكن اعتماد اخبار المغازي للواقدي لبصره فيها ومعرفته باخبارها ودقته في روايتها حتى سارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات واخبار النبي صلى الله عليه وسلم والاحداث التي كانت في وقته وفي كتاب ابن حبيش (المخطوط) في الغزوات اخبار كثيرة مقتبسة من كتاب الواقدي في الردة ، ويعد ابن سعد صاحب كتاب الطبقات من اشهر مورخي السير والمغازي لصدق روايته ودقة تحريه وضبط سنده .

ان اهتمام المسلمين بكتب المغازي وانصرافهم الى روايتها تمثل توجها صائبا نحو جانب عسكري مهم ، يعطي هذا الجانب اهميته ، ويوفر للمجاهدين الذين امنوا بالجهاد وسيلة لنيل الشهادة ، وتحقيقا لنشر مبادي الرسالة ، والمجال المتاح للوقوف على الاعمال البطولية الفذة التي ابداها المؤمنون ، والنماذج الحية التي قدموها وهم يوطدون اركان الاسلام ، ويحققون القيم الانسانية النبيلة التي عاشت في ضمائرهم، وتجلت في اعمالهم، وتحققت في تعاملهم ، ويبنون قواعد الدولة التي منحت الانسان مكانته المرموقة ، ووضعته في الموضع المناسب الذي يؤهله لاداء مهمته الحياتية، ويرسخون في الجهاد وهو اعلى صورة من صور التضحية اصالة العقيدة الواعية ، وصدق الوفاء وسماحة الخلق الكريم ، ولهذا كانوا يجدون في الاقتداء بها نموذجا من نماذج السنة ، والالتزام بمبادئها وجها من وجوه الاقتداء الحسن ، والسير على هديها رمزا من رموز التمثل الخالص .. وقد بقيت مغازي الرسول صلوات الله عليه المنهج الثابت لكل المعارك الحاسمة ، والعبرة التي تعتبر بها كل الجحافل التي خاضت معارك التحرير ، واقتحمت حصون الشرك ، واندفعت لتحرير الانسان واستعادة الارض ، وكثيرا ماكان الاستشهاد بالمعارك الاولى والحرص على استنباط الموعظة من المواقف الشجاعة فيها مأثرة من المآثر المشهورة ، ومجالا من مجالات بث الثقة في النفوس ، وترسيخ قواعد الايمان في القلوب ، وتأكيد عدالة الحق في الدفاع المستميت ، لان معارك الاسلام الاولى كانت بداية لحركة الامة في مجال التاريخ ، وانتصاراتها التي سجلتها وهي في كل موقف تضرب مثلا في الجرأة والاقتحام والصبر والمجالدة تمثل النماذج التي بقيت مضرب المثل . وموضع الاستشهاد ، والمجال الرحب لكل قضية عادلة يدافع عنها الانسان بغض النظر عن الزمان المحصور او الظروف المحيطة .

الى جانب كونها غزوات شارك فيها الرسول الكريم وكان في اغلبها يقود المعارك ، ويتقدم الصفوف ، ويمثل القدوة ، وشارك فيها الصحابة الاخيار فكانوا صورا من صور الشجاعة، وامثلة للمبادىء الثابتة في التأكيد على الروح القتالية العالية التي عرفوا بها ففي واقعة احد خرج الرسول لابسا درعه متقلدا سيفه وهو يقول لمن راى في البقاء خيرا ما ينبغي لنبي لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه . وعندما بلغوا (احدا) اجتازوا مسالكه وجعلوه الى ظهورهم وكان الرسول يصف اصحابه وقد وزع الرماة منهم على شعب في الجبل ، فكانت بداية المعركة انتصارا كاسحا ، تجلى فيه صدق العقيدة ، ومهارة القيادة، وصمود العزائم على الرغم من التفاوت الكبير في العدة والعدد فعندما تكون الفكرة الواضحة هي الدافع ، والعقيدة الصادقة هي المحفز ، وحب الموت لاستقبال الحياة السعيدة هو الاساس ، تحسم المعارك لصالح المؤمنين ، ويسجل الخلود للرجال الصناديد الذين وهبوا القدرة على الانتصار ، وامتلكوا ناحية التحكم في نتائج المعركة ... كان الرسول الكريم صلوات الله عليه يقف وسط معركة غير متكافئة ولكنه ظل يدافع وكل المقاتلين عن المبادىء التي يبشر بها وقلوبهم طافحة بالايمان الذي هون عليهم نعم الحياة ، فاستماتوا لنيل الشهادة ، واندفعوا للاخذ بنصيبهم من الدفاع عن رسول الله صلوات الله عليه وهنا كانت ام عمارة الانصارية وقد استلت سيفها وباشرت القتال دفاعا عن الرسول صلوات الله عليه وقد اثخنت بالجراح ، وترس ابو دجانة ، وهو رجل عرف بشجاعته وباسه بنفسه دون رسول الله ، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثرت فيه النبل ورمى سعد بن ابي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول وهو يتحدث عن ابي دجانة كان يناولني السهام وقد تكسرت شباتها في جسمه ويقول: ارم فداك ابي وامي، حتى انه ليناولني السهم مافيه نصل ويقول : ارم به ... وفي (احد) جاهد الحمزة عليه السلام جهاد الرجال، فكان سيف الله يقطع بسيفه اجساد المشركين رجال قريش ويثخن جراحهم ، فيولون منه الادبار ، ويستشهد الحمزة عليه السلام شهيد معركة الكرامة ، وهو يدافع عن الرسالة الحقة ، والايمان الراسخ ، والعقيدة التي آمن بها فكان استشهاده رمزا من رموز الوفاء للمبدا ، وصوتا من اصوات الجهاد النبيل لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام فكان من الابرار الخالدين والشهداء الذين كانوا احياء عند ربهم يرزقون .

ويبقى أدب المغازي شعره ونثره مادة للاستشهاد، ومدعاة للتمثل لانه كان يضم اصوات الرجال عند اشتداد الازمات ، ويحمل خصائصهم عند احتدام اللقاء ، ويظهر شجاعتهم في حومة المعارك ، الى جانب تجسيده لروح العقيدة الخالصة ، ووفائه للتعابير الانسانية التي كانت تنساب في ثنايا تلك القصائد أو تمر عبر تلك الاحاديث، ويبقى الفن الزاهي وحسها الوجداني، وشعورها الحي تيارا تسرب فيه دفقات الوفاء الانساني وهو يجابه الصعاب ، ويقترب من اللحظات الحاسمة ، ويقف على عتبة الافتراق والتباعد ، ولعل هذه الاحاسيس هي التي جعلت من المغازي صورة تستذوقها الاسماع ، وتلذ بقراءتها النفوس ، وتستسيغ تلاوتها على مر العصور . مواكب الاجيال لانها كانت تقرا فيها دقائق التاريخ ، وتجلى في متابعتها جزئيات الاحداث ، وتقف من خلال وقائعها على الجانب الانساني الذي يصعب ان تقف عليه اخبار التاريخ ، ولعل هذه المشاعر هي التي اعطت

هذا اللون التاريخي طرافة الاهتمام الى جانب كل الاعتبارات الدينية والتاريخية بكونها تاريخا لبداية الاسلام ، ومواقف حاسمة في مسيرته ، والو انا زاهية من الوان الجهاد الاصيل لتثبيت أركانه وباعتبارها تسجيلا حيا للعلاقات الصادقة التي كانت تسود الحياة بين الرسول الكريم صلوات الله عليه وبين الصحابة الاخيار الذين بذلوا من اجل بناء الكيان الاسلامي أقصى مايستطيعون تضحية وايثارا ، صدقا وعقيدة .. ومن هنا كان الاحتفاظ بدقائق المغازي جزء من التاريخ الكامل والاهتمام بروايتها والحرص على جمعها واسناد اخبارها كانت حالة من حالات التوجه الاول في كتابة التاريخ والبداية المنهجية للطريقة التي وضعت علم التاريخ على طريق التكامل منذ المراحل الاولى لمباشرته ، كما كان اصحاب المغازي والسير من الطلائع الاولى لوضع الاسس الرصينة لتوثيق الاخبار وتحقيق الاسانيد التي شكلت المنهج العلمي الواضح في علم التاريخ عند العرب .

فالاحساس بالاعتزاز التاريخي والحرص على متابعة الفخر بالاثار والصدق في رواية الاحداث والاصرار على اعتبارها مادة حية من مواد التربية التي كان الابناء يتناقلونها والمؤرخون يحرصون على ادائها والخلفاء يستمعون اليها ، كل هذا كان يؤكد وجه هذا الاحساس الذي بقيت اواصره تتوحد في مختلف مناهج البحث التاريخي ، وتتشابك في معظم حالات التواصل التي تعد تلك المادة محورا ، وكثيرا ماكانت اساليب الوقوف عليها تتناول الاوجه التي كانت تتيح معرفتها بحيث يصبح التاريخ في اعراف المؤرخين وجها من وجوه الاهتمام ببناء الدولة ، بعد ان أصبحت الامة قادرة على الدخول في نطاق التفاعل الموجه للانتفاع من الاخبار وتحليلها وارجاع الامور الى اصولها وأسبابها ، وهو استمرار لمنهج البحث العلمي الرائد الذي سارت عليه كتب المغازي وحروب الردة وكتب السيرة والفتوح والايام واتباعها لمنهج الحديث في الرواية ، والالتزام برجال السند في التوثيق بحيث كانت الاخبار تصل الى الرجال الذين حضروا تلك الوقائع او نقلوها عن شاهدها او سامعها او وقف عليها أو نقل اخبارها عن شاهد عدل أو قرأ بعضها في كتاب أو غير ذلك مما كان يدخل الخبر في باب الحقيقة بعد مروره بقنوات الرواه العدول الذين لايرقى الشك اليهم ، وهذا ما جعل كثيرا من الاحداث تبدو للعيان وكأنها قريبة كما انه اعطى هذا العلم وجهه الصحيح في الانتفاع من المصادر التاريخية غير طرق الرواية، مثل الاعتماد على شهود العيان الذين عاشوا الخبر وعرفوا اجزاءه ورددوا بعض اخباره بالفاظه او سمعوا الشعر من اصحابه ويمكن اعتماد مغازي موسى بن عقبة بن ابي العباس الاسدي المتوفى سنة ١٤١ للهجرة الذي يعد من اوائل الذين صنفوا كتبا في الغزوات ومغازيه تعد أصح المغازي وبعده محمد بن اسحاق الذي دخل بغداد سنة ١٥٠ للهجرة وقدم نسخة من كتاب السيرة الى الخليفة المنصور قبل هذا التاريخ .

لقد كانت الرغبة ملحة في تثبيت الاحداث الكبيرة التي مرت بها الامة ، لانها كانت تمثل تاريخ الحوادث الكبيرة التي وقفت فيها عند مفترق الطرق ، وتجردت فيها الحقائق وهي تواجه المهمات ، وامتحنت فيها العزائم وهي تعيش التحدي الحقيقي ، وقد حرص المؤرخون وهم يمرون بحروب الامة مع الامم الاخرى من فرس وروم وغيرهم وما تبع ذلك من فتوح وتحقق من انجازات واحداث، لانهم وجدوا فيها اكثر من سبب يستدعيهم الى تدوينها بعد ان وجدوا فيها اعمال الصحابة وهم يضعون اللبنات الاولى لتشريعات البلدان المحررة وخاصة ما يتعلق بالتشريع وشؤون الحرب ومعاملة الناس ورعاية حقوقهم وما ترتب على كل حالة من تلك الحالات وهذا ماكان يدفعهم ايضا الى عقد فصول طويلة أو كتب مستقلة عن الفتوح وقد احتفظ ابن النديم في الفهرست بقائمة كبيرة من هذه الكتب منها كتاب فتوح الشام وفتوح العراق لابي مخنف وكتاب الفتوح لاسماعيل بن عيسى العطار وكتاب الفتوح لابن ابي شيبة وفتوح ارمينية والاهواز لابي عبيدة . وكتاب الفتوح للمدائني الذي فصل فيه فتوح الشام وفتوح العراق واخبار القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وخراسان والري وجرجان وطبرستان وكتاب فتوح العراق للواقدي وفتوح الشام وكتاب الفتوح الكبير لسيف بن عمر الى جانب كتب المغازي التي تعد البداية الطبيعية لكتب الفتوح وقد طبع اخيرا كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي في ثمان مجلدات بمطبعة دائرة المعارف بحيدر اباد في الهند باعتناء الدكتور محمد عبد المعيد خان بعد ان ظل هذا الكتاب اكثر من الف سنة بعيدا عن التناول يعتمد الباحثون في موضوعاته مخطوطات متناثرة ،ومثله كتاب الغزوات لابن حبيش. وهو ما يزال مخطوطا على الرغم من أهمية اخباره ودقة احداثه ، وانفراده باخبار لم تذكرها كتب التاريخ الاخرى ، وقد وجدت في هذا المخطوط اثنتي عشرة قطعة جديدة للقعقاع بن عمرو التميمي قالها في تحرير العراق وعبر من خلالها عن المواقف البطولية الرائدة التي وقفها الجيش العربي وهو يطارد فلول المنهزمين الفرس وينزل بهم الخسائر الكبيرة ولم نجد هذه القصائد في كتاب اخر غير هذا المخطوط كما عثرنا على خمس قصائد غير معروفة لعاصم بن عمرو التميمي اخ القعقاع الشاعر ، وهو قائد اخر من قواد القادسية الذين ابلوا البلاء الحسن وسجلوا في صفحات التاريخ اروع المفاخر واجل الاعمال وما تزال الاخبار الاخرى والاحداث المهمة التي حققتها جيوش المسلمين على ارض العراق وقصائد الشعر التي قيلت في تلك الاحداث بعيدة عن التناول بسبب تناثرها في المخطوطات التي لم تنشر ، وكتب التاريخ التي لم تجمع .

لقد سجلت كتب الفتوح ـ ولعل كتاب فتوح البلدان للبلاذري ـ من اجلها ، اخبار الحرب ومكانة المقاتلين والويتهم وهم يسجلون النصر مما كان له ابلغ الاثر في حفظ هذه الاخبار عن طريق الرواية وتسجيل الاشعار ، لان الشعراء كانوا يقفون مع المقاتلين، ويشتركون في المعارك، ويخوضون الايام الصعبة، وقد احتفظت كتب الفتوح باسماء اولئك الشعراء الذين استشهد منهم عدد كبير في البلاد المحررة وكانت قصائدهم التي حفظها المقاتلون سجلا من سجلات مشاركتهم الحقيقة في تلك الحروب

بعد ان فقدوا اعز مايملكون ، وكان شعرهم لونا فنيا من الوان الشعر الحربي بعد ان تميز بطابع خاص واختار المعاني المناسبة والصور الملائمة والبدايات التي كانت تتفق مع طبيعة الاحداث، وهي بطبيعتها خالية من التعقيد والتركيب وتتميز فيها لغة السلاح ، وتتعالى في ابياتها الفاظ الاعتزاز والفخر ، وتتداخل في احاديثها عزيمة الرجال الذين يحققون النصر وينزلون بالاعداء الهزائم، ويبدون عنداشتداد المعركة ضروبا خارقة من الشجاعة، واعمالا جليلة من البسالة ، كما كانوا يرسمون لنا العواطف الصادقة التي تنتابهم وهم يسجلون تلك الانتصارات والحنين الانساني الذي يدفعهم الى تذكر الاهل والاحبة ، وقد دخلوا ارضا تختلف في كثير من مظاهرها عن ارضهم ، وعاشوا ظروفا جديدة لم يالفوها ، ووقفوا على عادات امم لم يسبق لهم ان تعاملوا معها ، كان الشعر الذي احتفظت به كتب الفتوح او الغزوات صورة جديدة من صور الادب الذي يختلف في كثير من مضامينه واشكاله عن الادب الذي عرفناه ، وانه يضيف اليها تجربة جديدة ، ويغنيها بحالات شعرية لا تتصل ببناء القصيدة التقليدية ومن هنا فان هذا الضرب من الشعر يعطي الادب العربي سمة بقيت نماذج الادب مفتقرة اليها، وغافلة عن ادخالها في اطار حقولها وفنونها المعروفة .

لقد تميز اسلوب كتب المغازي والفتوح بقربه من اساليب القصاص وتناوله لموضوعات تستسيغها النفس ، وتميل اليها القلوب ، لقربها من نزعة الانسان ، وصلتها بروحه وميوله وتعبيرها عن زوايا نفسية لها اثرها في انتباهه وتحفيزه . لانها تمثل مواطن الراحة ، التي يجد فيها الانسان فسحة لترويح النفس ، وتغيير الجو الرتيب الذي يسيطر عليه ، فكان يجد فيها متعة تغنيه عن كثير من المتع ، ومجالا يجدد فيه نشاطه ، وميدانا يتعلم منه العبر والمواعظ، وخاصة عندما تكون النفوس بحاجة الى مثل هذا النشاط ،، واما الجانب الثقافي والمعرفي فهو صورة اخرى من صور الاسباب التي كانت تحمل المسؤولين على متابعة اخبار الامم وخاصة التي دخلت في حكم الاسلام وارتضت مبادءه وشرائعه لان معرفة احوال هذه الامم ومايتعلق بانظمتها وشرائعها ، بعاداتها وتقاليدها ، بسلوكها وطرق تعاملها تعطي المسؤول صورة للطريقة التي يمكن ان يتعامل بها . او يتخذها منهجا في توجيه القائمين على ادارة شؤون تلك الممالك ليكون على علم بدقائق احوالها ، ومانقبله من امور ومانراه مخالفا وفي هذ النوع- كانت رسالة العرب لهذه الامم رسالة انسانية تراعي فيها احوال تلك الامم لان صلتها بها صلة تعامل انساني ، واطار التعامل معها اطار الدين الحنيف الذي وحد الجميع في ظل الشريعة السمحاء والايمان بالله الواحد الاحد والولاء لتعاليمه التي دعا اليها الرسول الكريم صلوات عليه والتزم بها الصحابة الاخيار والقادة المجاهدون . ويذكر المسعودي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغيرها كان يكتب الى بعض حكماء تلك المدن يسألهم عن صنعتها ومدنها واهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والاهوية في سكانها وعندما اراد ان يشخص الى العراق بعد أن بلغه ماعليه الاعاجم من اعداد بعد معركة القادسية، وما جمعوا من جموع في نهاوند سأل كعب الاخبار عن العراق قبل ان يشخص اليه ليكون على معرفة به وصلة باحواله ، ودراية بطبائع اهله وسكانه .

وذكر المسعودي ايضا وهو يتحدث عن معاوية بن ابي سفيان فقال .. كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه وبعد ان يعرض لاعماله طيلة النهار يقول : ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكائد فيقرا ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والاثار وانواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ماوصفنا في كل يوم (1) ، ويذكر المسعودي في ترجمة السفاح ان ابا بكر الهذلي كان يحدث السفاح باحاديث انوشروان في بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم السالفة(2) .

ان اهتمام العرب بهذا الضرب من الادب او التاريخ او العلوم الاخرى التي لها صلة بهذه العلوم كان يعبر عن ايمانها بتقييد العلماء لخواطرهم لما في ذلك من فائدة ، وتسجيلهم لاحداث الامم لما يقدمه من تجارب لان معظم العلوم تستخرج من الاخبار وتستنبط منها الحكم وتستفاد الفصاحة ، وعليها تقاس الاحكام ويحتج بها اهل الاخبار لان معارف الناس منها تؤخذ ، وامثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق من قصصها تقتبس ، واداب السياسة تلتمس ، وكل غريبة منها تعرف ، وهي علوم يستمتع بسماعها الناس ويستعذب اخبارها العارفون لما تقدمه من مواعظ وتسجله من عبر . والنفس بطبيعتها لمثل هذه الاخبار مائلة ، ولسماع السير مشتاقة .

* * *

ونافع بن الاسود بن قطبة بن مالك التميمي شاعر أسيدي ، عرف بعد مشاركته في اخماد حركة الردة ، ومصاحبته لخالد بن الوليد باليمامة ، ويبدو انه قد أبلى بلاء حسنا مع المؤمنين الذين امنوا بالاسلام ، وجاهدوا في سبيل الرسالة الاسلامية ، وان مشاركته مع الطلائع الاولى تعني سبقه في الاسلام ويتجلى ذلك في رثائه لعبد الله بن المنذر بن الحلاحل التميمي الذي استشهدباليمامة معخالد بنالوليد(3)، ويتضح صدق ثائرة من خلال الابيات الباقية التي احتفظت بها بعض التاليف ، وهو حالة تكشف عن عقيدته وجهاده وايمانه وهو يقاتل المرتدين ، ويدافع عن الدين ، واذا كانت قصائده الاولى جهادا في سبيل الله ، ودفاعا عن الرسالة ، وتاكيدا

(1) المسعودي مروج الذهب ٣\٢٦-٣١

(2) المسعودي مروج الذهب ٣\٢٦٥

(3) ابن حجر . الاصابة : ٦٣٥١

لعدالتها السمحاء فان هذا النفس الشعرى ظل يمد الشاعر باحاسيس الايمان ، ويلهب في قصائده روح الحماس لمواجهة المواقف الحاسمة ، والتصدي للنزعات الشريرة ، وكانت الثقة بالنفس من خلال الاحتماء بالعشيرة يمثل حالة نفسية متميزة وجد فيها بنو تميم حافزا وهم يخوضون معارك جديدة، ويقفون أمام تحديات خطيرة ، وان هذا الاحتماء كان يوشر حديث الضمير الجماعي الذي اصبح صفة مشروعة ، وقدرة قتالية عريضة تتبنى فيه القبيلة الىجانب القبائل الاخرى مهمة الاضطلاع ، لان الاحتماء بها ، والدعوة باسمها ، والاشادة بمفاخرها هي حالة من الاعتزاز في اطار الحس الكلي لمجموع القبائل ، وهو استمرار لتراث عريق في التحدث عن مجد القبيلة الذي تنبثق عنه كل الاعتبارات في دائرة الشمول الجديد ، لواقع الانسان العربي وهو يوسع مجال الرؤية ، ويفتح مجموعة من الحلقات التيكانت تحول دونتوحده فياطار اوسع مما كان فيه، وهذه الحالة اصبحت ميدانا من ميادين التمادح والتفاخر ، فأبو نجيد يعتبر تميما عتاد الحرب ، وهم الناهضون اليها اذا ركب الفرسان ويتحملون مسوءوليتهم في اشتداد الازمات ، ويمنعون دارهم من الاعداء عند احتدام الهياج ، واهتزت طنب الخيام ، وهم في فخر الشاعر الشموس التي حملت السمر المثقفة ، والسيوف المشهورة ، اذا جليت لاحت فانها على ايديهم شهب (٤) ، وهو يستمد من معدنه وحسبه ما يباهي به ، لانه امتداد لهذا المعدن ، وصلة لهذا الفخر ، فهو من قوم لاتصيب رماحهم اذا طعنوا الا المقاتل (٥) ، ويدعو للايام الحاسمة معاشر تميم الذين يلبون دعوة الداعي ، ويجلون قتام اليوم الشديد ، ويسمو بهم الى كسرى ليولي مهزوما (٦) ، وهم اكفاء الملوك ، واهل العز الثابت ، والارومة الاصيلة وهم الذرى من معد(٧) ، وتميم في استبسالها وجهادها صورة مشرقة ، وفي خصالها الحميدة حصيلة مآثر انسانية تضمن المال للجار ، وتطعم مادام الدهر، وتعلو جسيمالمجد، وتبذل الندى للسائلين، وتمد الايدي الى العلى ، وتنفق المال لفك العناة ، ولكشف المغارم ، وتقود الخيل العتاق الى العدا ضوامر ، تعاند اعناق المطى ، لترد اعتداء ، أو لتكسب فخرا ، أو تسجل محمدة . وكان لها المرباع عند المقاسم ، وبهذا شرف الله قومه في الزمان الاول ، وفي الاسلام اصبحوا ائمة قادة الناس الى العز ، وهم نجوم يقتدى بها في الرفعة، وتقدمت مع جيوش المتقدمين لتنال شرف الجهاد ، وعليهم من الماذي زغف مضاعف ، فكانوا طلائع الجهاد الاولى بعد ان وهبوا مجد الحياة ، واستعدوا لمجابهة المشركين ، وهذه هي مساعي الكرام الذين يندبون للنوائب ، ويستصرخون عند اشتداد الازمات (٨) .

---

(٤) تنظر القطعة الاولى والقطعة الحادية عشرة

(٥) تنظر القطعة رقم (١٥)

(٦) تنظر القطعة رقم (١٦)

(٧) تنظر القطعة رقم (١٧)

(٨) تنظر القطعة رقم (١٧)

وشعر الاسود وثيقة لتخليد الوقائع ، وتسجيل لحركة التحرير المتمثلة في الورود على كسرى ، ودخول (المدائن) قسرا ، وتجاوزهم لجيوش الفرس على كثرتها ، والتوغل في اعماق ديارهم على الرغم من اعدادهم الهائلة ، تعطيالمؤرخ مجالا لتوثيق الاخبار المتوفرة عنده ، وتضيف اليه حالات جديدة لتصبح الاخبار عنها متكاملة (٩) ، فهو يذكر (المدائن) ووصوله الى قصر كسرى بعد ان انهزمت جيوشه وفرت بقاياه(١٠) .

ويخلد مواكب نعيم بين مقرن واخيه سويد وهم ينفذون الى (الرى) و (قومس) استجابة لداعي الواجب ، ورعاية لامر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فيلبيان النداء مع قوافل المجاهدين ، فوارس مجربين ، يشدون أزرهم بالتلبب(١١) ولا ينسى قدرته في خضم الغارات والمعارك التي كان يشهدها على عبل أسيل ، ويترك خصمه نهما تحجل الطير حوله ، بعد أن يقرعه ضربا بالعضيب المهند(١٢) ويتحدث عن المسلمين الذين ساهموا في اخماد حركة الردة ، وقاتلوا في صفوف خالد بن الوليد ، فيشيد ببطولاتهم اذا حققوا انتصارا ، ويرثي شهداءهم ، اذا استشهدوا هناك بعد أن يخلفوا الذكر الحسن ، فتظل اسماؤهم مرفوعة في كل محفل ، كما هو الحال بالنسبة الى عبد الله بن المنذر بن الطلاحل الذي استشهد باليمامة مع خالد بن الوليد . ويذكر قتل (بهرام)(١٣) وهزائم الخصوم الذين وزعت جثثهم في سواد السفوح بعد ان وجدت فيها مثوى ومحشرا (١٤) ، ويذكر مقتل (يزدجرد) في (طاحونة) على (الرزيق) بعد ان يلتقى جيشه مع جيوش الفاتحين في (مرو) فتضم اجنحة المسلمين على جانبيهم بطعن صادق ، فيولون الادبار (١٥) .

وللري في احاديثه اخبار كثيرة ، فهو يسير مع عروة بن زيد الخيل الطائي من الكوفة بامر من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) بعد فتح (نهاوند) فاظهرهم الله على الديلم ، ومن تجمع من اهل الري ، فكانت لهذه الاحداث والمعارك اصداء واضحة في شعره ، بعد ان يجد الحياة في ريفها رضية ، والعيش فيها مقبولا(١٦) ، ويذكر (الفرس) وما لاقوه في (القادسية) وسقوط (رستم) ثاويا (١٧) .

ويقف عند (القادسية) وقفة طويلة وهو يراها بداية لتحول جديد في التاريخ العربي والاسلامي(١٨) ، فيذكر عشية

---

(٩) تنظر القطعة رقم (١٢)

(١٠) تنظر القطعة رقم (١٠)

(١١) تنظر القطعة رقم (١،٢،٣)

(١٢) تنظر القطعة رقم (٥)

(١٣) تنظر القطعة رقم (٧)

(١٤) تنظر القطعة رقم (٧)

(١٥) تنظر القطعة رقم (٨)

(١٦) تنظر القطعة رقم (١٣)

(١٧) تنظر القطعة رقم (١١،١٢) .

(١٨) تنظر القطعة رقم (١١،١٢)

ايام القادسية ، وكيف تازرت الرماح وهي تخفق على رؤوس الفرس ويذكر بلاءه يوم (نهاوند) بعد ان ولى (الفيرزان) الى الجبل ولكن السيف العربي يدركه فيسقط صريعا(١٩) فيمسك به وعندها تفتح مسالك الدروب امام قوافل المحررين لترفع الراية الاسلامية على امتداد الطريق الى بلاد ما وراء النهر ، ولتنشر رسالتها وتدعو لمبادئها الانسانية .

كما يذكر (واي خرد) وماجرى لجيش الفرس فيها ، بعد ان اصبحت اشلاؤهم نهبا للذئاب العواسل (٢٠) ، و (لنهاوند) في شعره ذكر متميز ، ففيها يحبس خيله لعشر ليال ، ويملأ شعابها من رجالهم ، ويسلط الفيرزان بعد أن تضيق به كل الساحات الفسيحة فلم ينجه منها انفساح المخارم (٢١) وتستوقفه احداث (النهروان) حيث سارت الجيوش الاسلامية (٢٢) . وما ذاقته فلول الفرس يوم (المدائن) من كؤوس الصاب والشبرم، وكان يجد في كسرى رمزا للهزيمة، ووجها من وجوه الشرك ، وعلامة من علامات الذل والقهر ، بعد ان تجرع ومن معه افضع الهزائم ، واكثرها عارا(٢٣) .

ان هذه الخارطة الواسعة التي تحرك عليها الشاعر ، وهذه المواقع المتباعدة التي تحدث عنها تمثل الصورة الكبيرة التي كان يدخل في اطارها وهو يواكب قوافل التحرير ، ويؤدي واجباته القتالية بشجاعة ، ويوظف شعره الحربي لخدمة المعركة المصيرية التي كانت تخوضها الامة بشجاعة وهي تؤمن برسالتها الكريمة ، وتحمل الى الناس مباديء الخير والتقدم . وهي محاولة جديدة لاضافات تاريخية تغني اخبار الفتح وتضع وثائق اساسية في متناول ايدي الباحثين .

وصوت الحرب في هذا اللون الشعري واضح متميز ، تعلو الفاظة ، وتتحرك ادواته ، وتزخر دلالته ، (فقتاد الحرب)

---

(١٩) تنظر القطعة رقم (١٤)
(٢٠) تنظر القطعة رقم (١)
(٢١) تنظر القطعة رقم (١٨)
(٢٢) تنظر القطعة (١٦)
(٢٣) تنظر القطعة رقم (١٦)

و (الفرسان) و (الضرب) و (الهياج) و(الخيل مشعلة) و (الشعث التي عليها الليوث) و (السمر المثقفة) و (العضب الذي في قنه شطب) و (الفزع) و (الحروب) و (داعي الصياح) (٢٤) كلها صور والفاظ حربية ، تعطي لقصائده لونا حربيا ، وتزين المضامين التي يقف عليها بوشاح الادوات المقاتلة .

ان الفاظ (شددنا اوزارنا(٢٥) و (الطعن)(٢٦) و (القرن الذي تحجل الطير حوله (٢٧) و (الضرب بالعضب المهند) و (اخو الهيج) و (بسمر الحروب) و (مجهد الحروب) و (عون الحروب) و (الحروب) و (الرماح) و (ايام قادس) و (قديس) و (السيوف) و (الرمح الريان) و (ابيض الرقاق) و (الكتائب) و (الجهاد) و (الوغى) و (صم القنا) و (اللاحم) وغيرها من الالفاظ التي كانت تتناثر في شعره وهو يؤرخ لكل معركة ، ويصور كل بطولة ، ويتحدث عن طبيعة القتال واستخدام السلاح واشكالة وهيئاته ويركب العبارات التي تضفي على الالفاظ صيغ المجاز او الاستعارة لتكون اوضح في التعبير ، واجمل في التناول . وكانت تقاليد البناء الفني للقصيدة تفرض عليه بعض حالات الالتزام بما هو متعارف عليه وخاصة عندما يحاول ان يفخر بقومه لانه كان يستشهد عندما يريد ان يفخر بقومه بالمراة ، وهي التي تسال عن ذلك العرف التقليدي المتعارف عليه .

ان محاولة جمع اشعار هذا الشاعر تكشف عن وجه جديد من وجوه الاغراض التي ظلت بعيدة عن التناول ، وان شعر هذا الشاعر الذي كان معظمه مطويا في مخطوطات ماتزال بعيدة عن التناول ، تمثل رافدا جديدا من روافد الاغناء الشعري الذي يعطي الحياة الادبية بعدا جديدا .

---

(٢٤) تنظر القطعة رقم (٢١)
(٢٥) تنظر القطعة رقم (٢)
(٢٦) تنظر القطعة رقم (٢)
(٢٧) تنظر القطعة رقم (٥)

- ١ -

قال ابو نجيد :

١ ـ بنو تميم عتاد الحرب قد علموا ... والناهضون إذا فرسانها ركبوا
٢ ـ والحاملون إذا ما أزمة أزمت ... فعل العشائر إنْ همّوا وإن ضربوا
٣ ـ والفاصلون إذا ما خُطّة جهلت ... عند الجموع وفيهم تُفصَلُ الخُطَبُ
٤ ـ والمانعون من الاعداء دارهم ... عند الهياج إذا ما اهتزّت الطُنُبُ
٥ ـ والواردون على كسرى مدائنه ... قسراً ومن دونها بحرٌ له لُجُبُ
٦ ـ نحوي نِهابَهم والخيلُ مشعلةٌ ... وسط الديار ومنها حوله عُصَبُ
٧ ـ شُعْث عليها ليوثٌ ما يُجمجمها ... عند الصياح بها عُجْمٌ ولا عَرَبُ
٨ ـ شمسٌ بأيديهمُ سُمْرٌ مُثقّفةٌ ... وكلُّ عضبٍ له في متنه شُطَبُ
٩ ـ إذا جلوها على الاعداء في فزَعٍ ... لاحت كأنّ على أيديهم شُهُبُ

الابيات في كتاب الغزوات لابن حبيش الورقة١٨٩ .

- ٢ -

كان الخليفة عمر رضي الله عنه قد انفذ الى الري وقومس نعيم بن مقرن وعلى مقدمته سويد بن مقرن وعلى مجنبته عيينة ابن النحاس وذلك في سنة ١٩ او ١٨ للهجرة فلم يقم له احد وصالحهم وكتب لهم كتابا وقال ابو نجيد :

١ ـ فنحن لعمري غير شك قرارنا ... أحقُّ وأملى بالحروب وأنجبُ
٢ ـ إذا ما دعا داعي الصباح أجابه ... فوارس منا كل يوم مُجرَّبُ
٣ ـ ويوم ببسطام العريضة إذْ حوت ... شددنا لهم أوزارنا بالتلبُّب
٤ ـ ونقلبُها وزراً كأنّ صدورَها ... من الطعن تُطلى بالسنيّ المخضّب

---

(١) الابيات والخبر في فتوح البلدان ٦٢٤/١ ،والبيتان الثالث والرابع فيهما اقواء .

- ٣ -

الاصابة ترجمة رقم ٨٨٤٨

نافع بن الاسود بن قطبة بن مالك التميمي ثم الاسيدي بالتشديد من بني اسيد بن عمرو بن تميم . قال المرزباني مخضرم يكنى أبا نجيد يقول لما قتل عبد الله بن المنذر بن الحلاحل التميمي باليمامة مع خالد بن الوليد فذكر المرثية وقد

ذكرت منها في ترجمة عبد الله المذكور .. وذكر بيتين من الدالية وقال وانشد المرزباني ثم قال : وقال الدار قطني في المؤتلف .. ابو محمد نافع بن الاسود شهد فتوح العراق وهو القائل .

قومي أسّيدان سألت ومعدن   فلقد علمت معادن الأحساب

وانشد له سيف في الفتوح اشعارا كثيرة يفتخر فيها بقومه ويذكر مشاهده في فتح الشام والعراق .

- ٤ -

قال ابو محمد نافع بن الاسود التميمي :

١ ـ ألا أبلغا عنّي عليّاً تحيةً   فقد قَبِل الصّماء لمّا اسْتَقلّتِ

٢ ـ بنى قُبّةَ الاسلام بعد انهدامها   وقامت عليه قَصْرَةٌ فاستقرّتِ

٣ ـ كأن نبياً جاءَنا حين هَدْمِها   بما منّ فيها بعد ما قد أُبِرّتِ

الابيات [١-٣] في وقعة صفين / ٤٩٢ وكررت في ٥٣٤ .

- ٥ -

وقال :

١ ـ ألا رُبّ نهب قد حويت وغارة   شهدت على عبل أسيل المُقلّد

٢ ـ وقرنٍ تركت الطير تحجل حوله   فقرّعته ضرباً بعضبِ المهند

البيتان في الاصابة ترجمة رقم ٨٨٤٨ (نافع بن الاسود) .

- ٦ -

قال نافع بن الاسود يرثي عبدالله بن المنذر بن الطلاحل الذي استشهد باليمامة مع خالد بن الوليد :

١ ـ اذهبْ فلا يُبْعِدَنْك الله من رجلٍ   موري حروبٍ وللعافين والنادي

٢ ـ ما كان يعدله في الناس من أحدٍ   ولا يُوازيه في نُعمى وارصادِ

٣ ـ لقد تركت بني عمرو واخوتها   يدعون باسمك للمنتاب والراد

الابيات في الاصابة ترجمة عبدالله بن المنذر رقم ٦٣٥١ .

- ٧ -

وقال ايضا :

١ ـ وبالري ان مالت بنا أم جعفر ... أقمنا صدور الخيل والخيل تنفرُ
٢ ـ إذا حذر الأقوامَ منهن قادحٌ ... تقحمه في الموت أغيد أزهرُ
٣ ـ أخو الهيج والدرعات ان زفرت به ... أناخ اليها صابراً حين تزفرُ
٤ ـ فيسمر عنّا الحرب بعد انصبابها ... وفينا البقايا والفِعالُ المشهَّرُ
٥ ـ قتلنا بني بهرام لمّا تتابعوا ... على أمر غاويهم وغاب المسوّرُ
٦ ـ وبالسفح موق لا تطير نسورها ... لها في سواد السفحِ مثوى ومحشرُ
٧ ـ ولولا اتقاء القوم بالسلم اقفرت ... بلادهم أو يهربون فيُعذَروا
٨ ـ خلفناهم بالري والري منزلٌ ... له جانب صعب هنالك مُعْورُ

الابيات في الغزوات الورقة / ٢١٦ .

- ٨ -

وكان مقتل يزدجرد بن شهريار بن كسرى ملك الفرس فى طاحونة على الرزيق فقال ابو نجيد نافع بن الاسود التميمي :

١ ـ ونحن قتلنا يزدجرد ببعجةٍ ... من الرعب إذْ ولّى الفرار وغارا
٢ ـ غداة لقيناهم بمرو تخالهم ... نموراً على تلك الجبال وبارا
٣ ـ قتلناهم في حربةٍ طحنت بهم ... غداة الرزيق إذا أرادَ حوارا
٤ ـ ضَمَمْنا عليهم جانبيهم بصادقٍ ... من الطّعن ما دام النهارُ نهارا
٥ ـ فوالله لولا الله لا شيء غيرَه ... لعادت عليهم بالرزيق بَوارا

(١) الرزيق : نهر كبير يسقي اكثر الضياع والرساتيق .

١ ـ الخبر والابيات في بلدان ياقوت ٢/٧٧٧ .

- ٩ -

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمار بن ياسروهو عامله على الكوفة بعد شهرين من فتح نهاوند يامره ان يبعث عروة بن زيد الخيل الطائى الى الري ودستبي في ثمانيةالاف ففعل فسار عروة لذلك ، وتجمعت له الديلم وامدوا اهل

الري وقاتلوه فاظهره الله عليهم فقتلهم وكان ذلك سنة .٢وقيل سنة ١٩ وقال ابو نجيد وكان مع المسلمين في هذه الوقائع :

١ ـ دعانا الى جرجان والري دونها ... سواد" فأرضتْ من بها من عشائر

٢ ـ رضينا بريف الري والريُّ بلدة" ... لها زينة" في عيشها المُتواتر

٣ ـ لها نَشَر" في كل آخر ليلة ... تذكر اعراس الملوك الأكابر

١ ـ الخبر والابيات في فتوح البلدان ٢/٨٩٥ .

- ١٠ -

١ ـ واسَلنْا على المدائن خيلاً ... بَحرها مِثلَ بَرّهِنَّ أربضا

٢ ـ وانتشلنا خزائن المره كسرى ... يومَ ولّوا وحاصَ مَنّا جَريضا

البيتان في تاريخ الطبري ٤/١٠ والغزوات الورقة / ١٨٤ .

- ١١ -

وقال ابو نجيد :

١ ـ جزى الله خيراً من قبيلٍ وناصرٍ ... غداة قديسٍ والدماء ترقرق

٢ ـ تميماً على جهد الحروب وعَفّها ... وقد جعلت فيها الفراخ تبقبقُ

٣ ـ قضوا وطراً من فارس ثم غادروا ... افاعيل لا يَشفي بها مُتبَعّقُ

٤ ـ فمن يَسمو لا يُدرك عفافة جمعنا ... اذا جُعلِتْ عونُ الحروب تَفَتّقُ

٥ ـ فهم تركوا ربّ القوادس ثاوياً ... يَصيح اليه هامُها المتفرّق

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة /١٧٥ .

- ١٢ -

وقال ابو نجيد ايضا :

١ ـ لو أن قومي في الحروب أذلة" ... لألوت بني العنقاء من رأس حالق

٢ ـ عشية كسرى والجنود مقيمة ... بباب قديسٍ ينتهي بالبوائق

٣ ـ ولكنّ قومي آزرتني رماحُهم ... عشيّةَ هبوا بالرماح الخوافق

٤ ـ ونحن عقرنا بالملوط ركابنا | بباب قديس عند احدى الصفائق
٥ ـ ونحن كففنا الفرس أيام قادس | بمعترك ضنك كلفة السرادق
٦ ـ إذا ناهدونا رفعتهم سيوفنا | الى الماء حتى تتقى بالعلائق

الابيات في الغزوات لابن حبيش / الورقة ١٧٥ .

- ١٣ -

قال ابو نجيد نافع بن الاسود في يوم الري :

١ ـ ألا هل أتاها أن بالري معشراً | شعوا منعماً لما استجاشوا وقتلوا
٢ ـ لهم موطنان عاينوا الهلك فيهما | بأيد طوال لم يخنهن مفصل
٣ ـ وخيل تعادي لا هوادة بينها | وراد وكمت تمتطى ومحجل
٤ ـ ودهم وشقر تنشد البهم بينها | اذا ناصبت قوماً تولوا وأوصلوا
٥ ـ قتلناهم بالري مثنى وموحداً | وصار لنا فيها قراد ومأكل
٦ ـ قتلنا سبأ وحش ومن مال ميله | ولم ينج منهم بالسفوح مؤمل
٧ ـ جزى الله خيراً معشراً عصبوهم | وأعطاهم خير العطاء الذي يبلوا

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة /٢١٦ .

- ١٤ -

وقال نافع بن الاسود :

١ ـ لقد علمت فتيان عمرو بأنني | احوط ذماري في الشهور الأطاول
٢ ـ وإن فات أمر قدموني فرمته | ذياد العوادي عند احدى الزلازل
٣ ـ واني اردّ الكبش عن سنن الهوى | ويرجع رمحي بعد ريان ناهل
٤ ـ فمن يك خوار اليدين فانني | اذا كثرت عن نابها غير خامل
٥ ـ ويوم نهاوند شدوت فلم أحم | وقد احسنت فيهم جميع القبائل
٦ ـ عشية ولى الفيرزان موائلاً | الى جبل آب حذر القواجل
٧ ـ فأدركه منا اخو الهيج والندى | فقنطره عند ازدحام الحوامل

٨ ــ واشـلاؤهم في وأي خـرد مقيمـة   تنوشـهمُ غبش الذئاب العواسـل
٩ ــ ونحـن ولينـا كـل يـوم لفـارس   نطـاحاً وكـدْحاً بالقـرون الكـوامل

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة /٢١٢ ــ ٢١٣ .

- ١٥ -

ولما صدر علي رضي الله عنه من صفين انشا ابو محمدنافع بن الاسود يقول :

١ ــ وكم قـد تركنا في دمشـق وأرضهـا   من أشـمطَ موتور وشـمطاء ثاكـل
٢ ــ وعانيـة صَـادَ الرّمـاحُ حليلَهـا   فاضحت تَعَدُّ اليوم احـدى الأرامل
٣ ــ تبكّـى على بَعْـلٍ لهـا راح غاوياً   فليـس الى يـوم الحسـاب بقافـلِ
٤ ــ وإنـا اناسٌ مـا تُصيبُ رماحُنـا   إذا ما طعنـا القـومَ غـيرَ المُقاتلِ

الابيات في وقعة صفين / ٤٩٢ ــ ٤٩٣ وكررت في ٥٣٣ ــ ٥٣٤ .

- ١٦ -

وقال ابو نجيد نافع بن الاسود :

١ ــ نحـن صبحنا يـوم دجلـة أهلَهـا   سـيوفاً وارماحـاً وجمعـاً عرمـرما
٢ ــ نراوح بالبيض الرقـاق رؤسَـهـم   إذا الرمـي أضرى بيننـا فتضـرّما
٣ ــ قتلناهـم مـا بـين دجلـة والقـرى   الى النهـروان حيـث سـار ويَمّما
٤ ــ اذقناهُـمْ يـوم المدائن بأسـنـا   صُـراحاً واسـقينا الا لائـم علقمـا
٥ ــ سـبقناهُم لمـا تولـوا الى الـردى   كؤوسـاً ملأنهـنّ صـاباً وشـبرما
٦ ــ أبيتم علينـا السـلم ثـم رجعتُـم   الى السـلم لمـا أصبح السـلم محرما
٧ ــ ويـوم يطـير القلـب مـن نقـراته   ربطنـا لـه جأشـاً وهجنـا به دمـا
٨ ــ دعـونا اليـه مـن تميـم معاشـراً   يجيبـون داعيهـم وان كان مُجـرما
٩ ــ يُجَلّون في اليـوم الشـديد قتـامه   عن الشـمس والآفاق أغبـر مظلمـا
١٠ــ وانا لنثنـي الخيـل حتـى تملّنـا   على الثغـر يغشـاها الكميُّ المُصمّما
١١ــ سـمونا الى كسـرى فولّى مبـادراً   بمعشـره إذْ أصبح الصـدع أضخما
١٢ــ ألا أيهـذا السـائلي عن عشـيرتي   سـتُخبرَ عنهـم إن سـألت لتعلمـا

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة ١٨٨ــ١٨٩ .

- ١٧ -

قال ابو نجيد نافع بن الاسود التميمي :

١ ـ وقال القضاةُ من مَعَدٍّ وغيرها ... تميمك اكفاء الملوك الأعاظم
٢ ـ هم اهل عزٍّ ثابت وأرومة ... وهم من مَعدٍّ في الذُرى والغلاصم
٣ ـ وهم يضمنون المال للجار ما ثوى ... وهم يطعمون الدهر ضربة لازم
٤ ـ شريف الذُرى من كل كوماء بازلٍ ... مقيمٌ لمن يعفوهم غير حازم
٥ ـ وكيف تناهيه الأعاجمُ بعدما ... علوا لجسيم المجد أسل المواسم
٦ ـ وبذل الندى للسائلين اذا اختفوا ... وحبسُ المتالي في السنين اللوازم
٧ ـ ومدّهم الأيدي الى الباع والعُلى ... اذا كرمت حيناً اكفُّ الألائم
٨ ـ واذْ مالهم في النائبات تلادهم ... لفك العُناة أو لكشف المغارم
٩ ـ وقودهم الخيلَ العتاق الى العِدا ... ضوامرَ تردي في فجاج المخارم
١٠ ـ مُجَنّبةٍ تشكو النسور من الوجا ... يعاندْنَ اعناقَ المطيّ الرواسم
١١ ـ لتنقضَ وتراً أو لتحويَ مغنماً ... كذلك قدْماً همْ حماةُ المَغانم
١٢ ـ وكائن اصابوا من غنيمة قاهرٍ ... حرائق من نخلٍ بقرّان ناعم
١٣ ـ وكان لهذا الحي منهم غنيمة ... كما احرزوا المرباع عند المقاسم
١٤ ـ كذلك كان الله شرّف قومنا ... بها في الزمان الأول المتقادم
١٥ ـ وحين أتى الاسلامُ كانوا ائمةً ... وقادوا مَعَدّاً كلها بالخزائم
١٦ ـ الى عزةٍ كانت سناءً ورفعةً ... لباقيهم فيهم وخيرُ مُراغمٍ
١٧ ـ إذا الريف لم ينزل عريفٌ بصحنهِ ... واذْ هوْ تكفكفهُ ملوك الأعاجم
١٨ ـ فجاءت تميم في الكتائب نُصرةً ... يسيرون صفاً كالليوث الضراغم
١٩ ـ على كل جرداء السراة ومُلهب ... بعيدُ مدى التقريب عبل القوائم
٢٠ ـ عليهم من الماذيّ زغفٌ مضاعفٌ ... له حُبُكٌ من شكة المتلازم
٢١ ـ فقيل لكم مجد الحياة فجاهدوا ... وانتم حماة الناس عند العظائم
٢٢ ـ وهبّوا لأهل الشرك ثم تكبكبوا ... فطاروا عليهم بالسيوف الصوارم
٢٣ ـ فما برحوا يعصونهم بسيوفهم ... على الهام منهم والأنوف الرواغم

٢٤ــ لــدن غــدوة حتى تولــوا نســوقهم رجــال تميــمٍ ذحلُهــا غــير نائــم

٢٥ــ من الراكبين الخيــل شــعثاً الى الوغى بصُــمِّ القنــا والمرســفات القواصــم

٢٦ــ فتلك مســاعي الاكرمــين ذوي الندى تميــك لا مســعاة اهــلِ الألائــم

الابيات ١ــ٢٦ في كتاب الغزوات لابن حبيش الورقة ١٧٤ ؛ ١٧٥ .

والابيات [١ ، ٢ ، ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، متفق وعجزه من البيت ٢١ ، ٢٢ و ٢٤] مع اختلاف في بعض الالفاظ في الاصابة ترجمة رقم ٨٨٤٨ نافع بن الاسود .

- ١٨ -

وقال ابو نجيد :

١ ــ ولــو أن قومــي في الحــروب أذلــة لأخنت عليهــم فــارسُ في المــلاحم

٢ ــ ولكنَّ قومــي احــرزتهم ســيوفهم فآبــوا وقــد عادوا حمــاة المكــارم

٣ ــ أبينــا فلــم نُعطِ الظــلامة فارســاً ولكن قبلنا الســلم ممــن يســالمُ ؟

٤ ــ ونحــن حبســنا في نهاونــد خيلنــا لعشــر ليــالٍ أُنتجــتْ للأعاجــم

٥ ــ تتجــن لهــم بنْتاً وعَفْلَ سَجلْها غــداة نهاونــدٍ لأحــدى العظــائم

٦ ــ مــلأنا شــعاباً في نهاونــد منهــم رجــالاً وخيلاً أُســلمت في الصرائم

٧ ــ واركَضْنهنَّ الفيــرُزان علــى الصفــا فلــم ينجهِ منهــا انفســاح المخــارم

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة /٢١٣ ، وفي البيت الثالث اقواء .

- ١٩ -

وقال ابو نجيد نافع بن الاسود

١ ــ وســائل بنــي الماهات عَنّــا وعنهمْ بلاءً كحــدِّ الثّلــج يقتطــع الوتينــا

٢ ــ دعــونا ابانــا وادَّعــوا بأبيهــم فولّوا خــزايا في الغبــار جبينــا

٣ ــ فيــارُبَّ جمــع قــد فللناه قبلهــم ونهــب حوينــا قبــل ذاك ســنينا

٤ ــ على أننــا لــم تبــق فيهــم بقيّــةٌ غــداة هَوواْ في وادي خــرد كمينا

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة /٢١٢ .

المدخل الى تقويم اللسان

لابن هشام اللخمي

المتوفى سنة ٥٧٧هـ

تحقيق الدكتور

حاتم صالح الضامن

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

القسم الثالث

ويقولون لبعض بلادِ الأندلسِ :(إِشْبِلْيَة)(٤٤٠) ، والصواب : اشبيلِيَة • وكذلك عرّبتها العربُ ، وكانَ اسمُها قبل ذلك : أشبانِيَة •

ويقولون لمَنْ أسلمَ من اليهود :(أَسْلَمِيٌّ)(٤٤١) ، وبعضُهم يقولُ : (مُشْلَمَاني") • والصواب : اسلاميٌّ ،منسوبٌ الى الإسلامِ •

ويقولون : سَمِعْتُ (صِياحَ) القِطِّ •والصوابُ أنْ يُقالَ: سَمِعْتُ مُؤاءَه(٤٤٢)، أو مُعَاءَه ، على ابدال الهمزة عيناً • ويُقال في تصريف الفعل منه : ماءَ القِطُّ يَمُوُّ(٤٤٣) مُؤاءً ، ومُعَاءً ، على البدلِ •

ويقولون لكلِّ ما ليس فيه تزيين" :(ساجد") • والصواب : ساذج" بذالٍ مُعجمةٍ وجيم / (٥٢ ب) بَعْدَها(٤٤٤) •

---

(٤٤٠) الروض المعطار ٥٨ .

(٤٤١) الفاظ مغربية ١/١٤٣ .

(٤٤٢) ب : مؤاءة القط .

(٤٤٣) في الأصل : يموًا . وفي ب : يمؤوا . وماأثبتناه من العباب واللسان (موا) .

(٤٤٤) ينظر : المعرب ٢٦٤ : شفاء الغليل ١٤٨ .

ويقولون : (عَيَّنَ) فلانٌ فلاناً ، أي أصابَهُ بالعينِ . والصوابُ : عانَهُ فهو عائِنٌ ، والمفعولُ مَعِينٌ ، وقالوا : مَعْيُون[٤٤٥] ، وقد تقدَّمَ قياسُ ذلك .

ومِثْلُ ذلك : زَلَقَهُ وزَلَّقَهُ وأَزْلَقَهُ وشَقَذَهُ وشَوَّهَهُ كلُّ ذلك إذا اصابَهُ بعينه .

ويقولون لبعضِ بلادِ الأندلس :(وَشْكَة)[٤٤٦] . والصواب : وَشْقَة ، بالقاف .

ويقولون : (شَرْقَشْتَة) والصوابُ : شَرْقَشْطَة[٤٤٧] .

ويقولون : (مَرْتُلَة) . والصوابُ : ما رتُلَة[٤٤٨] ، بزيادة ألفٍ بعد الميم . وبعضهم يكسرُ الميم فيقول : مِيرْتُلَة .

ويقولون : (تَنِّيس) ، بفتح التاء . والصوابُ : تِنِّيس ، بكسرها[٤٤٩] .

وكذلك يقولون : (بَرْجِيس) . والصوابُ : بِرْجِيس ، بكسر الباء ، لأنَّ فَعْليلاً ، بفتح الفاء ، لا يوجد في كلامِ العرب، ولا فيما حُمِلَ عليه مما عُرِّبَ ، وإنّما هو بكسرِها[٤٤٩أ] .

ويقولون : (النَّوى) ، بكسر النون . والصوابُ : النَّوَى[٤٥٠] ، بفتحها ، قالَ اللهُ تعالى : « فالِقُ الحبِّ والنَّوَى »[٤٥١] ، وقال الشاعر[٤٥٢] :

وليسَ كلُّ النَّوَى يُلقي المساكينُ

ويقولون لبعضِ الذباب : (نُعْرَة)[٤٥٣] ،باسكان العين . والصوابُ : نُعَرَة ، بفتحها . قال يعقوب[٤٥٣أ] : هو ذبابٌ أخضرُ أزرقُ يدخلُ في أنوف الدَّوابِّ ، فإذا دَخَلَ في أنفِ

---

(٤٤٥) درة الغواص ٦٠ .
(٤٤٦) الروض المعطار ٦١٢ ، ووشقة فيه مدينةاخرى غير وشكة .
(٤٤٧) الروض المعطار ٣١٧ ، وضبطت فيه بفتح السين والراء .
(٤٤٨) الروض المعطار ٥٢١ . وينظر : الفاظ مغربية ٢/٣١٢ .
(٤٤٩) الروض المعطار ١٣٧ .
(٤٤٩أ) درة الغواص ١٠٢ . وبرجيس هو النجم المعروف بالمشتري .
(٤٥٠) اللسان (نوى) .
(٤٥١) الأنعام ٩٥ .
(٤٥٢) حميد الأرقط في الكتاب ١/٣٥ ، ٧٣ وشرح ابيات سيبويه ١/١٧٥ وفرحة الأديب ٤٢ ـ ٤٤ والأمالي الشجرية ٢/٢٠٤ . وصدر البيت : فاصبحوا والنوى عالي معرسهم.
(٤٥٣) تصحيح التصحيف ٣٠٨ ، ايراد اللآل ٢٢٥ .
(٤٥٣أ) اصلاح المنطق ٤٢٩ .

الحمارِ سَمَا برأسِهِ صُعُداً فقيلَ : حمارٌ نَعِرٌ • ويُقالُ للرجلِ الطامحِ بنفسِهِ : في رأسِ فلانٍ نُعَرَةٌ •

ويقولون : (النَّمَلُ) ، بفتح الميم • والصوابُ : النَّمْلُ ، باسكانها ، والواحدةُ : نَمْلَةٌ ، قالَ اللهُ تعالى : « قالتْ نَمْلَةٌ : يا أيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مساكِنَكُم » •(٤٥٤)

ويقولون لظَرْفٍ صغيرٍ من زجاجٍ يُجْعَلُ فيه الطِّيبُ : (قارورة) • ويُقالُ فيه أيضاً : (قارُور) ، بغيرِ تاءِ تأنيثٍ • وكلُّ ماقَرَّ فيه الشرابُ وغيرُهُ فهو قارورٌ سواءٌ(٤٥٥) كانَ مِنْ زُجاجٍ أو غيره • وقيلَ : لا يكونُ إلاّ من زُجاجٍ خاصةً(٤٥٦) •

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى :« قواريرا من فِضَّةٍ »(٤٥٧) : إنّها أوانيَ يَقَرُّ فيها الشرابُ • وقيلَ(٤٥٨) : إنّها أوانيَ من فِضَّةٍ في صفاءِ القواريرِ • قال ابن دُرَيْد(٤٥٩) : وهذا أعجبُ التفسيرينِ إليَّ •

ويقولون لداءٍ معلومٍ : (النَّقَرَزُ) ،بفتح النون والراء وبزاي • والصوابُ : النِّقْرِسُ ، بكسر النون والراء ، وسين عوضَ الزاي • وقد نُقْرِسَ الرجلُ : إذا أصابَهُ ذلكَ الداءُ(٤٦٠) •

ويقولون : (نافِقُ) القميصِ(٤٦١) ،ويجمعونَهُ على (نَوافِق) • والصوابُ : نَيْفَقٌ ، بالياء وفتح الفاء • وكذلك :نَيْفَقُ السراويلِ ، والجمعُ : نيافِقُ •

ويقولون : (الحاكَةَ) في جمعِ حائكٍ •وقد قيل : والأكثرُ : حَوَكَةٌ ، كخائنٍ وخَوَنَةَ • وقد قيلَ : خانَةٌ ، على الأصلِ ،لأنَّ كلَّ واوٍ أو ياءٍ تحركَتْ وانفتحَ ما قبلها انقلبت ألِفاً(٤٦٢) •

ويقولون : (تَنَفَّطَتْ) يدُهُ •والصوابُ : نَفِطَتْ ، إذا قرحت من العملِ ، وهو ماءٌ يُصيبُها بينَ الجلدِ واللحمِ • وقدأنفطَها العملُ ويَدٌ منفوطةٌ ونافِطةٌ(٤٦٣) •

---

(٤٥٤) النمل ١٨ •
(٤٥٥) ب : وسواء •
(٤٥٦) جمهرة اللغة ٢٨٩/٣ •
(٤٥٧) الإنسان ١٦ •
(٤٥٨) هو الفراء في معاني القرآن ٢١٧/٣ •
(٤٥٩) جمهرة اللغة ٣١٩/٣ •
(٤٦٠) ينظر : تثقيف اللسان ٨٨ ، تصحيح التصحيف ٣١١ ، التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ٣٦ •
(٤٦١) لحن العوام ١٢٥ •
(٤٦٢) اللسان (خوك) •
(٤٦٣) اللسان (نفط) •

ويقــولونَ : بيـدهِ (نَقاطـةٌ) .والصوابُ : نُقْطَةٌ . والجمعُ : النُقطُ ،

و (النَشْفَةُ)[٤٦٤] : حجرٌ يُنَقّى بهِ الوَسَخُ في الحمّامات ، يُسَمّى نَشْفَةً لنشفهِ الماءَ . وقيل : سُمّي بذلك لانتشافهِ الوَسَخَ عن مواضعِهِ . والجمعُ : النشَف . وليسَ لهُ اسمٌ عندَ العامّةِ ،فلذلك ذكرناهُ .

وكذلك لا يعرفون اسماً للخيطِ الذي يُعْقَدُ في الإصْبَعِ ليتذكّرُ بهِ الرجلُ الحاجةَ . واسمُ ذلكَ الخيطِ عندَ العربِ :(الرَتَمَةُ والرَتيمةُ)[٤٦٥] .

ويقولون لموضع بالحجازِ : (نُعمان) ،بضم النون . والصواب : نَعمان ، بفتحها[٤٦٦].

ويقولون / (١٥٣أ) للذي يُحْمَلُ عليهِ الميّتُ : (النَعاش) . والصوابُ : النَعْش[٤٦٧] ، قال الشاعر[٤٦٨] :

أمحمولٌ على النَعْشِ الهُمامُ

ويقــولون للسـحابِ المتـراكمِ :(نَوْءٌ)[٤٦٩] . وليسَ كذلك ، وإنّما النَوْءُ طلوعُ نجمٍ من نجـومِ المنازلِ عندَ سقوطِ نجْمٍ آخرَ . يُقال : ناءَ ينوءُ نَوْءاً : إذا نهضَ متثاقلاً .

ويقولون : نزل (النَدى) ، بكسر النون .والصوابُ : النَدى[٤٧٠] ، بالفتح والنَدى : ما سَقَطَ ليلاً ؛ والسَدى: ما سَقَطَ نهاراً.وقيل : إنّ السَدى ما سَقَطَ بالليل ، والنَدى ما سقط في آخره. ويقال في السَدى:السَتى[٤٧١] .

ويقـولون : (هَبْ أنّي فَعَلْتُ) و(هَبْ أنّهُ فَعَلَ) . والصوابُ الحاقُ الضمير المتصل به فيُقال : هَبْني فَعَلْتُ وهَبْهُ فَعَلَ[٤٧٢] ، كما قال الشاعر[٤٧٣] :

---

(٤٦٤) اللسـان (نشف) .

(٤٦٥) مجالس ثعلب ٩٧ . وفي حاشية ب (ق٦٣أ) : انشد ثعلب في كتاب المجالس له :

إذا لم تكن حاجاتنا في صدورنا لاخواننا لم يغن عقد الرتائم

(٤٦٦) الجبال والامكنة والمياه : ٢١١ ، معجم ما استعجم ١٣١٦ .

(٤٦٧) الفاخر ١٣١ ، الزاهر ١/٥٩٤ .

(٤٦٨) بلا عزو في اللسان (نعش) .

(٤٦٩) تصحيح التصحيف ٣١٣ . وينظر :الأنواء ٦ ؛ الأزمنة والامكنة ١/١٨٠ ، الازمنة والانواء ١٣٤ .

(٤٧٠) رسمت في الأصلين : النداء . وينظر :المقصور والممدود ١٢٤ ، الممدود والمقصور ٣٩ .

(٤٧١) ينظر : اللسان (سدا ، ندى) .

(٤٧٢) شرح درة الغواص ١٥٣ ــ ١٥٤ ، كشف الطرة ٤٢٧ .

(٤٧٣) لم اقف عليه .

هبيني يا مُعَذِّبتي أسأتُ ... وبالهجرانِ قبلكمُ بدأتُ

فأينَ الفضلُ منكِ فدتكِ نفسي ... عليَّ إذا أسأتِ كما أسأتُ

ومعنى هبني أي عُدَّيني واحسبْني ،فكأنَّ فيه معنى الأمر من وَهَبَ . كذا حكى الحريري في (دُرَّة الغواصِ)[٤٧٤] له ، ويَرُدُّ عليه[٤٧٥] قَوْلَهُ بيتُ أبي العلاءِ المعري[٤٧٦] وهو :

فَهَبْ أنّي دَعَوْتُكَ للتصافي ... على غيرِ المُعَتَّقَةِ الشَّمُولِ

وأبو العلاء وإنْ كانَ لايُحْتَجُّ بشعرِهِ فإنَّهُ يُحْتَجُّ بعلمِهِ ، لأنَّهُ كانَ إماماً في اللغةِ نهايةً في الثقةِ ، وقلَّ أنْ يخفَى عليهِ هذا القَدْرُ . وقد شَرَحَ شِعْرَهُ الاستاذُ أبو محمدِ بن السِّيد ، وكانَ مُتَقَدِّماً في الأعيانِ مَعْدُوداً من جملةِ أهلِ هذا الشأنِ ، ولم يَقَعْ له اعتراضٌ على هذا البيتِ بلْجَوَّزَهُ وقال ــ رحمه الله : معنى هَبْ : اجعلْ ، والعربُ تقولُ : وَهَبَنِي اللهُ فداءَكَ[٤٧٧] ، أي جعلني .

ولو[٤٧٨] قالَ الحريري : إنّ استعمالَ (هَبْ) مع الحاقِ الضميرِ المتصل به أكثر ، كان أصوب .

فإنْ قالَ قائلٌ : إنَّ استعمالَ أبي العلاءِ لِهَبْ بغير ضمير مُتَّصِلٍ إنّما ذلك على وجهِ الضرورةِ .

فالجوابُ أنّه لا ضرورة هاهُنا ، لأنّهُ لو قال :

فهَبْني قدْ دَعَوْتُكَ للتصافي[٤٧٩]

لاتّزَنَ البيتُ ولم تكنْ فيه ضَرُورَةٌ .

ويقولون : شيءٌ (مَنْوبَلٌ)[٤٨٠] .والصوابُ : نبيلٌ .

ويقولون لما تجعلهُ المرأةُ على رأسها تحتَ مِقْنَعَتِها ، مِنْ حريرٍ كانَ أو مِنْ

---

(٤٧٤) ص ١١١ ــ ١١٢ .

(٤٧٥) (عليه) ساقطة من ب .

(٤٧٦) شروح سقط الزند ١١٤٥ . وانظر عن ابي العلاء : تعريف القدماء بأبي العلاء .

(٤٧٧) (الله فداءك) ساقط من ب .

(٤٧٨) (لو) ساقطة من ب .

(٤٧٩) ب : التصافي .

(٤٨٠) تصحيح التصحيف ٢٩٨ .

غيرِهِ : (كُنْبُوش) (٤٨١) . والصوابُ : الصِّقاعُ ، ويُقالُ له أيضاً: الغِفارةُ والوِقايةُ والوَقِيَّةُ والشُّنْتُقَةُ .

فأمَّا الكُنْبُوشُ فليسَ مِنَ كلامِ العربِ .

ويقولون للخَرْدَلِ : (الصَّنابُ) ، بفتحِ الصادِ . والصوابُ : الصِّنابُ ، بكسرِها (٤٨٢) ، قال الشاعر (٤٨٣) :

تُكَلِّفُني مَعيشَةَ آلِ زيدٍ ومَنْ لي بالمُرَقَّقِ والصِّنابِ

ويقولون لعودِ الشِّراعِ : (صارٍ) (٤٨٤) . والصّاري (٤٨٥) : المَلّاحُ . وإنَّما تقولُ له العربُ : الدَّقَلُ ، بفتحِ القافِ ودالٍ غيرِ مُعْجَمَةٍ .

ويقولون : (سابُورُ) (٤٨٦) المركبِ ، بالسين . والصواب : صابور ، بالصادِ ، لأنَّهُ صُبِرَ بِهِ ، أي حُبِسَ ، ومنه صُبْرَةُ الطعامِ .

فأمّا سابورُ اسمُ الرجلِ فبالسين ، ولا يُعْرَفُ له اشتقاقٌ ، لأنَّهُ أعجميٌّ (٤٨٧) .

ويقولون للذي يُقْطَعُ به الخشبُ : (شُقُور) (٤٨٨) . والصوابُ : صاقور ، بالصاد ، والجمعُ : الصَّواقيرُ . وقال أبو عمرو : الصاقورُ الفأسُ العظيمةُ التي لها رأسٌ واحدٌ رقيقٌ يُكْسَرُ بها الحِجارةُ ، يُقالُ لها : الفأسُ والصاقورُ والمِعْوَلُ والحِدَأةُ والكَرْزَنُ والكِرْزَنُ والكِرْزِينُ . وجاءَ في الحديث : (فما صَدَّقْتُ حتى سَمِعْتُ / (٥٣ ب) وَقْعَ الكرازينِ) (٤٨٩) . ويُقالُ لحدِّها: الغُرابُ ، قالَ الشاعر (٤٩٠) :

أَكَبَّ على فأسٍ يَحُدُّ غُرابَها مُذَكَّرَةٍ من المَعاوِلِ باتِرَه

ويُقالُ لنِصابِها : الفِعالُ ، وقد تقدَّمَ .

(٤٨١) ابراد اللآل ٢١٩ – ٢٢٠ . وينظر : الفاظ مغربية ٢/٢٠٩ .
(٤٨٢) ينظر : تثقيف اللسان ٢٠٢ .
(٤٨٣) جرير : ديوانه ٨١٢ .
(٤٨٤) لحن العوام ٢٢٣ .
(٤٨٥) في الاصلين : الصار .
(٤٨٦) لحن العوام ١٩٣ .
(٤٨٧) المعرب ٢٤٢ ، شفاء الغليل ١٤٧ .
(٤٨٨) لحن العوام ٩٧ .
(٤٨٩) الفائق ٣/٢٥٧ ؛ النهاية ٤/١٦٣ وفيهما : (فما صدقت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ...) . وهو حديث ام سلمة .
(٤٩٠) لم اقف عليه .

ويقولون : (سَرَدْتُ) من البَرْدِ ، بالسين . والصوابُ ، بالصاد ، فأنا صارِدٌ ، ويومٌ صارِدٌ ، وليلةٌ صارِدَةٌ[491] .

ويقولون : (المَثْقَبُ) ، بفتح الميم . والصوابُ : المِثْقَبُ ، بكسرِها[492] . ويُقالُ له أيضاً : السِّرادُ والمِسْرَدُ[493] .

ويقولون : (أَضْرَسَ) فلانٌ . والصوابُ : ضَرِسَ يَضْرَسُ ، بكسرِ العينِ في الماضي وفتحِها في المستقبل[494] .

ويقولون : فلانةٌ (صَدِيقَةُ) فلانٍ . والصواب : صديقُ فلانٍ[495] ، بغيرِ تاءِ تأنيثٍ .

وكذلك يقولون : هي (وَصِيَّةُ) فلانٍ . والصوابُ : وَصِيُّهُ[496] ، بغير تاء تأنيث ، قال الشاعرُ[497] يخاطبُ امرأةً :

فلو أَنَّكِ في يومِ الرخاءِ سألتِني فِراقَكِ لم أَبْخَلْ وأنتِ صديقُ

ويقولون : (الضَّبَعُ والسَّبَعُ) ، بفتح الباءِ . والصوابُ : الضَّبُعُ والسَّبُعُ ، بضم الباءِ فيهما . وبنو تميمٍ يقولون : ضَبْعٌ فيُسَكِّنونَ الباءَ . والعربُ توقعُ الضَّبُعَ على المؤنث ؛ ولهذا يقولون : الضَّبُعُ العرجاءُ ، والمذَكَّرُ عِنْدَهُم : ضِبْعانٌ[498] .

ويقولون : النُّفْعُ و (الضُّرُّ)[499] ، [بضم الضاد] . والصوابُ : النَّفْعُ والضَّرُّ ، بفتحها . قال اللهُ تعالى : « يدعو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ »[500] . فإنْ لم تذكرِ النَّفْعَ ضَمَمْتَ الضادَ ، قالَ اللهُ تعالى إخباراً عن أيوب : « مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأَنْتَ أَرْحَمُ الراحمين »[501] ، فضَمَّ لمّا لم يَقْتَرِنْ مع النفع .

---

(491) اللسان (صرد) .

(492) الآلة والأداة ٣٢٧ .

(493) الآلة والأداة ٣٥٨ .

(494) اللسان (ضرس) .

(495) الزاهر ١/٣١٦ .

(496) ب : وصي .

(497) بلا عزو في الزاهر ١/٣١٦ ومغني اللبيب ٢٩ وشرح ابن عقيل ١/٣٨٤ والمساعد على تسهيل الفوائد ١/٣٣٠ . وينظر : معجم شواهد العربية ٢٤٧ .

(498) اللسان (ضبع) .

(499) لحن العوام ١٣٧ .

(500) الحج ١٣ .

(501) الأنبياء ٨٣ .

ويقولون : (عِينَب) ، بزيادة ياء بعد العين . والصواب : عِنَب ، بغير ياء ، ويُقال له أيضاً : عِنْباء[502] .

ويقولون للشعبة من العِنَب : (خُنْصُور)[503] . والصواب : شِمْراخ . فإذا أُكِل ما على العنقود فالباقي عِذْق ، وحكمه حُكْم النَّخْل .

ويقولون : (عَرْجُون) ، بفتح العين ، والصواب : عُرْجون ، بضمها . قال الله تعالى : « حتى عادَ كالعُرْجونِ القديمِ »[504] . وهو الإهان ، والجمع : أُهُن .

ويقولون : (العُصْفَر) ، بفتح الفاء . والصواب : العُصْفُر ، بضمها[505] .

ويقولون : (العَدْو) ، بسكون الواو . والصواب : العَدُوّ ، بتشديدها .

ويقولون للخَطْمِيّ : (الغاسول)[506] . والصواب : الغِسْل والغَسُول والغَسْول والغِسْلة ، بكسر الغين .

ويقولون لما سما من البَقْل[507] رَخْصاً : (عَسْلُوج) ، بفتح العين . والصواب : عُسْلُوج ، بضمها[508] . ويُؤنَّث فيُقال : عُسْلُوجة . ويُقال فيه أيضاً : عُسْلُج ، والجمع : عَسالِج وعَساليج . ويُقال له أيضاً : عُمْلُوج .

ويقولون لقضبان الكَرْم : (زَرْجُون) ، بسكون الراء . والصواب : زَرَجُون ، بفتحها . والواحدة : زَرَجُونة[509] .

ويقولون لبعض شجر الشوك : (العَوْسِج) ، بكسر السين . والصواب : العَوْسَج ، بفتحها[510] .

ويقولون للنواة : (العَجْم) ، باسكان الجيم . والصواب : العَجَم[511] ، بفتحها ، قال الشاعر[512] :

وجُذْعانُها كلَقيطِ العَجَمْ

---

(502) اللسان (عنب) .
(503) ألفاظ مغربية 1/157 .
(504) يس 39 .
(505) معجم أسماء النباتات 103 .
(506) تثقيف اللسان 105 .
(507) ب : ينحا من الفعل . وهو تحريف . ورسمت (سما) في الأصل : سمى .
(508) النبات للأصمعي 22 .
(509) النبات 1/203 .
(510) النبات للأصمعي 24 .
(511) اللسان (عجم) .
(512) لم أقف عليه .

ويقـــولون : (الزُفَيْـزِفُ)[٥١٣] ،وبعضُهُم يفتحُ الزاي الثانية . والصوابُ : العُنّابُ .

ويقولون : (عُكّارُ)[٥١٤] الزَّيْتِ ،والصوابُ : عَكَرٌ . وهو الكيرْيَوْنُ . وهو أيضاً الدُرْدِيُّ .

ويقـولون : (العَنْقَا) ، بالقَصْـرِ ،والصـوابُ : العَنْقَـاءُ ، بالمدِّ . قـال الشاعرُ[٥١٥] :

عَرَضْتُ عليها ما أرادَتْ من المُنَى لترضَى فقالتْ قُمْ فجِئْنا بكَوْكَبِ
/(١٥٤) فقلتُ لها هذا التَعَنُّتُ كُلُّهُ كَمَنْ يشتهي لَحْمَ عَنْقاءِ مُغْرِبِ

ويقولون : (عُوشُ)[٥١٦] الطائرِ[٥١٧] ،والصوابُ : عُشٌ ، بغيرِ واوٍ ، والجمعُ : أعْشاشٌ .

ويقولون لطَرَفِ العمامةِ : (عَذّابة)،بتشديدِ الذّالِ . والصـوابُ : عَذَبَةٌ ، بالتخفيف من غيرِ ألفٍ[٥١٨] .

ويقـولون للذي يُجْعَلُ في الثـوبِ :(عَلام) . والصواب : عَلَمٌ[٥١٩] ، بغير ألفٍ .

ويقــــولون لثَمَنِ القـيراطِ :(خَرُّوبَة)[٥٢٠] . وإنّما الخَرُّوبة شجرةُ اليَنْبُوت ، وجمعُها : خَرُّوبٌ . ويقالُ لهاأيضـاً : خَرْنُوبة وخُـرْنُوبة ، والجمعُ : الخَرْنُوبُ والخُرْنُوبُ[٥٢١] .

ويقـولون : (عَبَّيْتُ)[٥٢٢] المتاعَ ، إذا جَعَلْتَ بعضَهُ على بعضٍ . والأكثرُ : عَبَأْتُ ، بالهمزِ . وعَبَّيْتُ الجيشَ تَعبيَةً ،بغيرِ هَمْزٍ . وحكى أبو زيدٍ[٥٢٣] فيه الهمزَ .

---

(٥١٣) ايراد اللآل ٢١٨ . وينظر الفاظ مغربيــة ٢/٢٨٩ .
(٥١٤) تصحيح التصحيف ٢٣١ .
(٥١٥) بكر بن النطاح ، شعره : ٧ .
(٥١٦) تصحيح التصحيف ٢٣٣ ، وفيه : ويجمعونه على اعواش .
(٥١٧) ب : الطير .
(٥١٨) اللسان (عذب) .
(٥١٩) اللسان (علم) .
(٥٢٠) الفاظ مغربية ١/١٥٦ .
(٥٢١) النبات ١/١٦٥ .
(٥٢٢) ب : عيبت .
(٥٢٣) الهمز ٢٢ .

ويقولون : (عَجَزْتُ) عن الشيء ، وإنْ كانَ يستطيعُهُ . والصوابُ : كَسِلْتُ[٥٢٤].

ويقولون : (عَرْقوبُ) الانسانِ ، بفتحِ العينِ . والصوابُ : عُرْقوب ، بضمها[٥٢٥] .

ويقولون : عِرْقُ (الباصَلِيقِ) ، بالصاد . والصوابُ : الباسَلِيق ، بالسين[٥٢٦].

ويقولون لعَقِبِ الانسانِ : (كَعْبٌ)[٥٢٧] . والكعبُ هو الناتىء في مَفْصِلِ القَدَمِ .

ويقولون : (العَرْش) ، باسكان الراء . والصوابُ : العُرُش[٥٢٨] ، بضمها .

ويقولون : (عَكْرَمَةَ)[٥٢٩] ، بفتح العين والراء . والصواب : عِكْرِمَةَ ، بكسرهما .

ويقولون في اسم الرجل : (عامَر) ، بضم الميم . والصواب : عامِر[٥٣٠] ، بكسرها .

ويقولون : (ابنُ عِجْلانَ) ، بكسرِ العين . والصوابُ : ابن عَجْلانَ[٥٣١] ، بفتحها .

ويقولون : فلانٌ حَسَنُ (العَبارة) . والصوابُ : حَسَنُ العِبارة[٥٣٢] ، بكسر العين . تقولُ : عَبَرْتُ الرؤيا اعبُرُها ، وعَبَّرْتُها أُعبِّرُها تعبيراً . والاسمُ : العِبارةُ . وكذلك : فلانٌ حَسَنُ العِبارةِ ، إذا كانَ حَسَنَ الأداءِ لما يَسْمَعُ ، بكسرِ العين أيضاً .

ويقولون : فلانٌ (غِمْرٌ) للذي لم يجرب الأمورَ ، بكسرِ الغين . والصوابُ : غُمْرٌ ، بضمها[٥٣٣] .

---

(٥٢٤) لحن العوام ٢٣٤ .
(٥٢٥) خلق الانسان ٣١٩ .
(٥٢٦) الفاظ مغربية ١٤٥/١ .
(٥٢٧) لحن العوام ٢٣١ .
(٥٢٨) اللسان (عرس) .
(٥٢٩) تصحيح التصحيف ٢٣١ .
(٥٣٠) اللسان (عمر) .
(٥٣١) اللسان (عجل) .
(٥٣٢) اللسان (عبر) .
(٥٣٣) ينظر : مثلثات قطرب ٣١ ــ ٣٢ ، المثلث لابن السيد ٦٣٢ ــ ٦٣٤ ، الدرر المبثثة ١٥٦ .

ويقولون لطائر الماء: (غَبْيَة)[٥٣٤]. والصوابُ: ابن ماءٍ[٥٣٥]. وكلُّ طائرٍ من طيور الماءِ فهو عندهُم ابنُ ماءٍ، قال الشاعر[٥٣٦]:

وَرَدْنَ اعتِسافاً والثُّرَيّا كأنّها على قِمّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ

والجمعُ: بناتُ الماءِ، قال الشاعر[٥٣٧]:

مُقَدَّمَةً قَسْراً كأنَّ رقابَها رِقابُ بناتِ الماءِ أَفْزَعَها الرَّعْدُ

فأمّا الغَبْيَةُ فالدَّفْعَةُ من المطر[٥٣٨]، قال الشاعر[٥٣٩]:

إذا استهلَّتْ عليه غَبْيَةٌ أَرِجَتْ مرابِضُ العِينِ حتى يأْرَجَ الخَشَبُ

وبعضُ المُتَفَصِّحينَ من العامّةِ يقول: (الغابية). والصوابُ ما قدَّمنا.

ويقولون: اجْعَلْهُ في (فَمِهِ). والصوابُ: في فِيهِ. ولا يُضافُ، وفيه الميمُ، إلاّ في الضرورةِ، قال الراجز[٥٤٠]:

كالحُوتِ لا يُرْوِيهِ شيءٌ يَلْهَمُهْ

يُصْبِحُ عَطْشاناً وفي البحرِ فَمُهْ

وقلَّ ما تستعملُهُ إلاّ مضافاً إلاّ ما جاء شاذّاً، قال رؤبة[٥٤١]:

خالَطَ مِن سَلْمى خَياشِيمَ وفَا

ويقولون: جلستُ (فُوقَكَ)، بضمِّ الفاء. والصوابُ: فَوقَكَ، بفتحها.

ويقولون: (ثَمنيَة)، في العدد. وبعضُهم يكسرُ الميم. والصوابُ: ثَمانِيَة، بفتح الميمِ وألفٍ بَعْدَها.

ويقولون: (الفَهَدُ). والصوابُ: الفَهْدُ، باسكان الهاء[٥٤٢]. ومنه قولُهُم في المَثَلِ: (أَنْوَمُ مِنْ فَهْدٍ)[٥٤٣]. وقد يجوزُ فتحُ الهاءِ على مذهب الكوفيينَ.

(٥٣٤) اللسان (غبا).
(٥٣٥) ثمار القلوب ٢٦٣.
(٥٣٦) ذو الرمة، ديوانه ٤٩٠.
(٥٣٧) ابو الهندي، ديوانه وفيه: افزعن بالرعد. وفي ب: مقدمة قرا.
(٥٣٨) كتاب المطر ١٠٢.
(٥٣٩) لم اقف عليه.
(٥٤٠) رؤبة، ديوانه ١٥٩، وفيه: يلقمه.
(٥٤١) هو العجاج في ديوانه ٢/٢٢٥ وليس رؤبة.
(٥٤٢) اللسان (فهد).
(٥٤٣) الدرة الفاخرة ٤٠٠، جمهرة الأمثال ٢/٢١٨.

ويقولون : (فَلَجَ) الرجلُ إذا أصابَهُ الفالِجُ . والصواب : فُلِجَ ، على ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ(٥٤٤) .

ويقولون : (فَطْمَةَ) . والصوابُ : فاطِمَةَ .

فأمَّا زَيْنَبُ فيقال فيها : زُنَابُ . وقدتقدَّم الكلامُ على عائِشةَ .

ويقولون : سَمِعْنا (فَلاً) حَسَناً . والصوابُ : فألاً(٥٤٥) / (٥٤ ب) حسناً .

وفي الحديث : (نِعْمَ الشَّيءُ الفألُ)(٥٤٦) .

ويقولون : فارسٌ حَسَنُ (الفَرْسَنَةِ)(٥٤٧) . والصوابُ : الفُرُوسَةَ والفُرُوسِيَّةَ .

ويقولونَ لدواءٍ كالصَّمْغِ : (وَشَق) . والصوابُ : أَشَق ، بالهمز ، وهو دَخِيلٌ في كلامِ العربِ(٥٤٨) .

فإنْ قالَ قائلٌ : فلعلَّ أَصْلَهُ وَشَق ثُمَّ أُبْدِلَتِ الواوُ همزة .

فالجوابُ : أنَّ العرب لا تُبْدِلُ الواوَ همزة في أوَّلِ الكلمةِ إلاَّ أنْ تكونَ مضمومةً أو مكسورةً نحو : وُقِّتَ وأُقِّتَ ، ووُجوه وأُجوه ، ووِشاحٍ وإشاحٍ ، ووِسادةٍ وإسادةٍ(٥٤٨) .

فأمَّا الواوُ المفتوحةُ فلم يُسْمَعْ فيها البَدَلُ إلاَّ في قولهم : وَحَد وأَحَد ، وامرأةٌ أَناة ووَناة ، ووَجَم وأَجَم(٥٤٩) .

ويُقال له أيضاً : الأُشَّجُ ، وهو أكثرُ استعمالاً . كذا حكَى الزُّبيدي في اختصارِهِ لكتابِ العَيْنِ . ووقع في كتابِ العَيْنِ الكبيرِ ، في أُمٍّ عتيقةٍ هي(٥٤٩أ) أُمُّ الاستاذِ أبي عبدِ اللهِ محمد بن يونس الحِجاري(٥٥١) ـ رحمه اللهُ ـ التي هي بخطِّ ورّاقِهِ سعيد بن

---

(٥٤٤) اللسان (فلج) .

(٥٤٥) اللسان (فال) .

(٥٤٦) لم اقف عليه بهذا اللفظ . ينظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي (فال) .

(٥٤٧) لحن العوام ١١٩ .

(٥٤٨) تذكرة اولي الالباب ٤٦/١ .

(٥٤٩) ينظر : شرح المفصل ١١/١٠ .

(٥٤٩أ) ب : وهي .

(٥٥٠) ينظر : الزاهر ١٤٤/٢ : شرح المفصل ١٤/١٠ .

(٥٥١) اندلسي ، كان مقدما في المعرفة بالنحو واللغة ، توفي سنة ٤٦٢هـ ، وقيل ٤٦٣هـ . (الصلة في تاريخ ائمة الأندلس ٤٨٩/٢ ، انباه الرواة ٢٥٣/٣) .

خَيْرَة : الأَشَقُّ هو الأَشَجُّ ، وهو دخيلٌ على العربية . كذا وَقَعَ في الأمِّ المذكورة بتشديد الشين فيهما .

ويقولون لضَرْبٍ من المسامير : (فِتْلِيَّة)[552] . والصوابُ : فِتْرِيَّة ، بالراء . والفِتْرُ ، بكسر الفاء : ما بَيْنَ الإبهامِ والسَّبَّابةِ .

ويقولون : بينَ الأمرين (فِرَق)[553] ،بكسر الفاء . والصوابُ : فَرْق ، بفتحها .

ويقولون : (القَطانِي) ، بسكون الياء . والصواب : القَطانِيّ[554] ، بتشديدها . وإنْ شئتَ خَفَّفْتَ . والواحدةُ : قِطْنِيَّة ، بكسر القاف . والعامَّة تفتحها .

ويقولون : (القَرْمَز)[555] ، بفتح القاف والميم . والصواب : القِرْمِز ، بكسرهما .

ويقولون : (القَمَح) ، بفتح الميم . والصوابُ : القَمْحُ ، باسكانها ، وهو[556] الحِنْطَةُ والبُرُّ والفُومُ والثومُ .

ويقولون لضَرْبٍ من الطيرِ : (قوبَعَة) . والصوابُ : قُبَعَة[557] ، بغير واوٍ ، تُكْنى أمَّ كَيْسَانَ .

ويقولون : بالدابَّةِ (قَوام)[558] ، بفتح القاف . والصوابُ : قُوام ، بضمها . والقُوام : قَشْوحَة في أَرْساغِها لا تَكادُ تنبعثُ به .

ويقولون : (لَدَغَتْهُ)[559] العَقْربُ . والإختيار أنْ يُقالَ لكلِّ ما يضربُ بمؤخرِهِ كالعقرب والزُّنْبُور : لَسَعَ . ولِما يقبِضُ بأسنانِهِ كالكلبِ والسِّباعِ : نَهَشَ ونَهَسَ . ولِما يضربُ بفيهِ كالحيَّةِ : لَدَغَ .

ويقولون : (قَرْبُوس) السَّرْجِ ، باسكانِ الراءِ . والصواب : قَرَبُوس بفتحها[560] .

---

(٥٥٢) تصحيح التصحيف ٢٤١ .
(٥٥٣) تصحيح التصحيف ٢٤٣ .
(٥٥٤) وهي الحبوب التي تدخر كالحمص والعدس والدخن والارز . (اللسان : قطن) .
(٥٥٥) تصحيح التصحيف ٢٥٠ .
(٥٥٦) ب : وهي .
(٥٥٧) اللسان (قبع) .
(٥٥٨) لحن العوام ٩٣ .
(٥٥٩) درة الغواص ١٦٢ .
(٥٦٠) تقويم اللسان ١٦٧ . وينظر : ما تلحن فيه العوام ٣٠ .

ويقولون : (القَمَل) ، بفتح الميم . والصواب : القَمْل ، بإسكانها .

فأمّا القُمَّل ، بتشديد الميم ، فصِغار الدَّبا(٥٦١) .

ويقولون لضَرْبٍ من المراكب :(قَرْقُورة) . والصواب : قُرْقُور ، بضمّ القافين من غير تاء تأنيث(٥٦٢) .

ويقولون : (قارَب) ، بفتح الراء . والصواب : قارِب ، بكسرها(٥٦٣) .

ويقولون في جمع شُقّة : (شِقَق) ، بكسر الشين . والصواب : شُقَق ، بضمها(٥٦٤) .

وكلُّ ما جاءَ على (فُعْلَة) فجمعُه على (فُعَل) ، بضم الفاء ، قياس مُطَّرِد ورُبَّما جاءَ على (فِعال) كبُرْمَة وبِرام ، وشُقّة وشِقاق .

ويقولون لرأس الدَّقَل :(الجامور)(٥٦٥) . والصواب: القَبّ ، بالقاف المفتوحة والباء المشدَّدة . فأمّا الجامور فهو جُمّار النَّخْل(٥٦٦) .

ويقولون لما يخرجُ من الكَرِش :(الفَرْث)(٥٦٧) ، وهو لا يُسمّى فَرْثاً إلاّ ما دامَ في الكَرِش ، بدليل قوله تعالى :« مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ »(٥٦٨) . فإذا لُفِظَ منها سُمّي : السَّرْجين . وقد تقدَّمَتْ لهذا نظائر .

ويقولون : (القَفَل) ، بفتح الفاء . والصواب : القَفْل ، بإسكانها . وضمُّ الفاء لغة(٥٦٩) . ويُقالُ له : إبْزِيم أيضاً .

ويقولون : رأيتُ (خِتانَة) فلانٍ . فيجعلون الخِتانة / (٥٥أ) موضعَ الخَتْن . والصواب : رأيتُ خِتانَ فلانٍ .

فأمّا الخِتانَة فصَنْعَة الخاتِن . ويُقال : رجل خَتِين ، أي مَخْتُون ، وامرأة خَتِين(٥٧٠) .

---

(٥٦١) اللسان (قمل) .
(٥٦٢) ما تلحن فيه العوام ٣٠ .
(٥٦٣) ايراد اللآل ٢٢٨ .
(٥٦٤) اللسان (شقق) .
(٥٦٥) الفاظ مغربية ١/١٥١ . وينظر : تكملة المعاجم العربية ٢/٢٦٦ .
(٥٦٦) جمهرة اللغة ٣/٣٨٨ .
(٥٦٧) اللسان (فرث) .
(٥٦٨) النحل ٦٦ .
(٥٦٩) اللسان (قفل) .
(٥٧٠) اللسان (ختن) .

ويقولون : حَلَفَ خمسينَ يميناً (قَسَّامةً)[٥٧١] بالتشديد . والصواب : قَسَامَة ، بالتخفيف . والقَسَامَةُ : الأَيْمانُ .

ويقولون : (بَرْجَلُونة) لبعضِ بلادِ الرومِ بالأندلسِ . والصواب : بَرْشَلُونة ، بالشين المعجمة[٥٧٢] .

ويقولون : (وادِ ياش)[٥٧٣] . والصوابُ : وادي آش[٥٧٤] .

ويقولون لما يُجعلُ على الرأسِ ليَقِيَهُ حرَّ الشمس : (قُنْزَع) بفتح الزاي . والصوابُ : قُنْزُع ، بضمِّها[٥٧٥] .

ويقولون لبعضِ الحَلْي : (قُصَّة)[٥٧٦] . والقُصَّةُ عندَ العربِ : الخُصْلَةُ من الشعر . ويُقالُ لناصيةِ الفرسِ : قُصَّة أيضاً .

ويقولون : (القِدَرُ) ، بفتحِ الدالِ . والصوابُ : القِدْرُ ، بإسكانها . ويُقالُ لها : المِرْجلُ والصَّيْدانَةُ وأمُّ بيضاء[٥٧٧] .

ويقولون لحَفيرٍ يُحفَرُ تحتَ الأرضِ لجَرْي المياهِ والعَذِراتِ : (قناً) . والصوابُ : قناة ، بتاءِ التأنيثِ ، والجمعُ : قَنَوات .

ويقولون لبيتِ الغائطِ : (الخَلاَ) ، مقصور . والصوابُ : الخَلاءُ ، بالمدِّ[٥٧٨] . ويُقال له : المِرْحاضُ والمُغْتَسَلُ والكَنيفُ والمِرْحَضَة . ويُقالُ لزِبْلِهِ : السَّمادُ .

ويقولون للذي يُطْوَى عليه الغَزْلُ : (المَطْوَى) . والصواب : المِطْوَى ، بكسر الميم[٥٧٩] .

ويقولون : (قَصَمْتُ) القَلَمَ . والصواب : قَطَطْتُهُ أَقُطُّهُ قطّاً ؛ وقَضَمْتُهُ أَقْضِمُهُ قضماً . والقَطُّ : قَطْعُ الشيءِ عَرْضاً ، والقَدُّ قَطْعُهُ طولاً[٥٨٠] .

---

(٥٧١) لحن العوام ٢٨ .
(٥٧٢) الروض المعطار ٨٦ – ٨٧ .
(٥٧٣) ألفاظ مغربية ٢/٣٢١ .
(٥٧٤) الروض المعطار ٦٠٤ – ٦٠٥ . وفي ب : وادآش .
(٥٧٥) اللسان (قزع) .
(٥٧٦) ألفاظ مغربية ٢/٣٠٥ .
(٥٧٧) المرصع ٩١ .
(٥٧٨) المنقوص والممدود ١٨ ؛ الممدود والمقصور ٤٣ ؛ المقصور والممدود ٣٩ .
(٥٧٩) الآلة والأداة ٣٧١ .
(٥٨٠) درة الغواص ١٤ .

ويقـولون : تقاضَيْتُ (القِطـاعَ) ،والصـواب : القِطَعَ ، جمعُ قِطْعَـةٍ ، ككِسْـرَةٍ وكِسَـرٍ ، وسِـدْرَةٍ وسِدَرٍ (٥٨١) .

ويقـولون للفَلْكَـةِ : (القِيقَةُ) ،والقِيقَةَ عندَ العربِ : القاعُ المستديرُ من الأرضِ في صـلابَةٍ (٥٨٢) .

ويقولون لظَرْفٍ يُجْعَلُ فيـه الماءُ :(قِسْط") . وإنّما القِسْطُ عندَ العـربِ العَـدْلُ . والقِسْـطُ أيضـاً الحِصَّـةُ والمِقدارُ . تقولُ : هذا قِسْطُ فـلانٍ أي حِصَّتُـهُ . وتَقَسَّطُوا الشـيءَ :تَقَسَّمُوهُ (٥٨٣) .

ويقـولون (للدَّيُّوثِ) : (قَرّان") ،والصوابُ : قَرْنانُ (٥٨٤) .

قال كُراع (٥٨٥): وإنّما قيل له : قَرْنانُ ،لأنَّهُ قَرَنَ بأهْلِهِ غَيْرَهُ .

ويقولـون للذي يَنْدِفُ به القُطْنَ :(القَـوْسُ) . وإنّما تقـولُ له العـربُ : المِنْدَفُ والمِنْدَفَةُ (٥٨٦) . ويُقالُ لنادِفِهِ :النَّدّافُ .

ويقولون : أُوَيس" (القَرَنِيُّ) ، بضمِّ القافِ . والصوابُ : القَرَنِيُّ (٥٨٧) ، بفتحها ، منسوب" الى [قَرْنٍ] ، حَيٌّ من العربِ (٥٨٨) .

وتقـولُ في النسـبِ الى القِبْـطِ :(قِبْطِيٌّ) . وإلـى الثـوبِ : (قُبطِيٌّ) للفرقِ بينهما (٥٨٩) .

ويقولون للمنسوبِ الى الدّاءِ العُضالِ :(قَطِيم") . والصواب : قَطِم" ، بغيرِ ياءٍ . يُقالُ: قَطِمَ يَقْطَمُ قَطَماً فهوقَطِم" (٥٩٠) ،بغيرِ ياءٍ ، كما يُقالُ : حَذِرَ يَحْذَرُ حَذَراً فهو حَذِر" .

(٥٨١) تصحيح التصحيف ٢٥٤ .
(٥٨٢) ألفاظ مغربية ٢/٣٠٨ .
(٥٨٣) اللسان (قسط) .
(٥٨٤) ابراد اللآل ٢٢٨ ، شفاء الغليل ٢١٣ .
(٥٨٥) المنجد في اللغة ٣٠٦ . وكراع النمل هوعلي بن الحسن الهنائي ، من علماء اللغة في مصر، ت ٣١٠هـ . (الفهرسـت ١٣٠ ، انباهالرواة ٢/٢٤٠ ، بغية الوعاة٢/١٥٨) .
(٥٨٦) الآلة والاداة ٣٩٧ .
(٥٨٧) أويس بن عامر القرني ، تابعي، ت ٣٧هـ. (مشـاهير علماء الامصار ١٠٠ ، حليـة الاولياء ٢/٧٩ ، ميزان الاعتدال ١/٢٨٧) .
(٥٨٨) جمهرة انساب العرب ٤٠٧ ، الإيناس فيعلم الأنساب ٢٣٦ ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ٣٩٧ .
(٥٨٩) تثقيف اللسان ١٢٥ .
(٥٩٠) اللسان (قطم) .

كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس

تأليف الفتح بن خاقان الأندلسي

القسم الثالث ـ الجزء الاول ـ

تحقيق

هدى شوكة بهنام

دار الجاحظ للنشر ـ بغداد

القسم الثالث من كتاب مطمح الأنفس

ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس

وهو يشتمل على محاسن الأعيان(١)

من الأدباء وبالله المستعان

وعليه التكلان

وهما مما لم يذكر ، في قلائد العقيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الاديب الشاعر النبيه ابو عمر يوسف بن هارون المعروف بالرمادي(*)

شاعر مُفلق ، انفرج له من الصناعة المُغْلق ، وومض له برقها المؤْتلِق ، وسال بها طبعه كالماء المندفق، فأجمع على تفضيله المختلف والمتفِق ، فتارة يُحزِن وأخرى يُسْهل ، وفي

---

(١) لم ترد في (ق) .

(*) الاديب الشاعر يوسف بن هارون الرمادي يكنى ابو عمر من اهل قرطبة ، كان شاعر اهل الاندلس المشهور والمقدم على الشعراء ، روى على ابي علي البغدادي كتاب النوادر من تاليفه ، وقد اخذ عنه ابو عمر بن عبدالبر قطعة من شعره ورواها عنه وضمنها بعض تواليفه ، توفي سنة ٤٠٢هـ ، وهو شاعر مكثر سريع القول ، مشهور عند العامة والخاصة . [انظر ترجمته في : الجذوة ٣٦٩ ـ٣٧٣ ، الصلة ٦٧٤/٢ ، البغية ٤٧٨ ـ ٤٨١ ، المعجب ٢٢ ـ ٢٦ ، المطرب ٣ ـ ٤ ، المغرب ٣٩٢/١ ـ ٣٩٤ ، الرايات ٧٨ ، الوفيات ٢٢٥/٧ ـ ٢٢٩ ، معجم الادباء ٣٠٨/٧ ـ ٣٠٩ ، الشذرات ١٧٠/٣ ـ ١٧٢] .

كلتيهما بالبديع يعلو وينهل ؛ فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين ، وابداعه في الطريقين ، وكان هو وأبو الطيب(*) متعاصرين ، وعلى الصناعة متغايرين ، وكلاهما من كندة ، وما منهما الا من اقتدح في الاحسان زنده(٢) ، وما قصر عنه(٣) في إحسان ، ولا جاز بينهما فيصل ابان(٤) ، وتسادى بأبي عمرطلق(٥) العمر حتى أفرده صاحبه ونديمه ، وهريق شبابه ؛ واستشن أديمه ، ففارق تلك الأيام وبهجتها ، وادرك الفتنة فخاض لجتها ، وأقام فرقا من هيجانها ، شرقا بأشجانها ، ولحقته فيها فاقة نهكته ، وبعدت عنه الافاقة حتى أهلكته ، وقد اثبت من محاسنه ما يعجبك سرده ، ولا يمكنك نقده ، فمن ذلك قوله :

شطت نواهم بشمس في(٦) هوادجهم   لولا تلألؤها في ليلهن عشوا
شككت محاسنها عيني وقد عذرت(٧)   لأنها بضمير القلب تجمش(٨)
شعر ووجه تبارى(٩) في افتخارهما(١٠)   بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت في سقمي منها أني نرشي   منها نكست والا(١١) الطيف والنرش

---

(٢) لم ترد في ج ، ق .
(٣) عنه : لم ترد في ج .
(٤) الجملتان الاخيرتان لم ترد في (ن) ، ق : فضيل اذان .
(٥) ج ، ق : وطلق .
(٦) ج : من .
(٧) ن : غدرت .
(٨) الجمش : الصوت الخفي والمغازلة والملاعبة.
(٩) ج : نباري .
(١٠) ن : اختلافهما .
(١١) ق : تنكسف الا .

(*) ابو الطيب : المقصود به الشاعر ابو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤هـ .

التخريج

١ ـ [شطت .. عشوا]
شعر الرمادي ٧٩
البيت الثاني [غدرت]
البيت الثالث [اختلافهما]

ولـه أيضاً(*) :

فى أيِّ جارحَـةٍ اصُونُ مُعَذِّبِي   سَـلِمتْ من التَّعذيب والتنكيـل
ان قلْتُ في عَيْني فثَمَّ مَدامِعِي   أو قلت في قلبي فثَـمَّ غليـلي
لكن جَعَلتُ له المسامِعَ مَسْكَنًا   وحجبْتُـه من عـذْل كلِّ عَـذُولِ
وثلاثُ شيباتٍ[12] نَزَلْن بِمَفرقِي   فعلِمْتُ أنْ نـزولهنَّ رحيـلي
طلعت ثـلاثٌ في طلوعِ ثلاثـةٍ   واشٍ وَوَجْـهٍ مُراقِبٍ وثقيـلِ
فعـذلتني عن صبوتي فلئن ذَلَلْت فقـد سَمعت بذلّـة المعـذُولِ
ان كنتُ ودَّعتُ التصـابي عن قليً   وبدت برأسي حُجَّـةٌ لعذولِ[13]
فقد اغتَـدِي والصُبْحُ في تَوْرِيسهِ   تَقفضِي العُيُونُ له بوجْهٍ عليـلِ
بـأقبَّ لون الآبنوس مفضَّضٍ   في غـرّةٍ منـه وفي تَحْجِيـلِ
مستغرق لصفـات زيـد الخَيْـل والغنـويِّ والمُـزَنِي[14] والضّلّيـل
يَزْهى بتحليـة اللجام كما زها   مَلِكٌ مُحَلَّى الرأس بالإكليـلِ
فله الملاحِظُ من حبيبٍ هاجِـرٍ   للصَبِّ أو مُتَكَبِّـرٍ لذليـلِ

. . . .

(*) هذه القصيدة لم ترد في (ن) .
(١٢) ج : شيبات .
(١٣) ق : لعذولي .
(١٤) ج : والمربي ..

التخريج

٢ ـ [في اي .. والتنكيل]
شعر الرمادي ١١١ ـ ١١٧
القصيدة تقع في ثمانية وخمسين بيتا مطلعها :
مــن حاكم بيني وبين عذولي   الشجو شجوي والعويل عويلي
البيت الثالث : [عن عذل] .
البيت الخامس [طلعت ثلاثا في نزول ثلاثة]
البيت السادس [فعزلتني]
البيت السادس عشر [لم يجترم جرماً]
البيت التاسع عشر
[متلفـت كتلفـت ..   ..في الجـول بعد الجـول]
البيت العشرون [عن للعطله   اومى بقادمتيه]
البيت الثاني والعشرون
[ولت جماعتها فشد وراءها   وكانه]
البيت الثالث والعشرون [عجلت وادركها]

ومنهـا[١٥] :

وكأنّما نَلَّ الخُطُوبَ لحـازمٍ قبـل الجيـاد بحـدّه المغلُولِ
حتى إذا صِدْنا الوحوشَ فلم نَدَعْ منهنّ غـير معـالمٍ وطلُولِ
قامت قوائمهُ لنـا بطعامِنـا غضاً وقـام العَرْفُ بالمنـديلِ

ومنهـا :

ومكبّل لم يحتـرم حرمـا ولا دانت سـحائبه بغير كبُولِ
متـدرّع بالوَشْيِ الاّ ان مـدْ رعه يُحَـاكُ عليه غـير طويـل
فكـأن بلقيسـاً عليـه إذ دَنَتْ في الصَّرْحِ رافعة لفَضل ذَيُولِ
متقلّب كتقلّب المرْتـاع يقسـم نحْطَـهُ في الحول بعد الحَولِ
حتى اذا ما السّرْب عنّ لطرْفـه أوْمى بخافيَتَيْـه[١٦] خل سبيلي
أرْسَلْتـه في اثـرهنّ كأنهنّ عصَيْنَ لي أمراً وكـان رسـولي
ولّتْ سِـراعاً ثم شدّ وراءها فكأنـه بطـلٌ وراء رعيـلِ
عجلت فأدْركهـا ردىً في اثرهـا انّ الردى قيدٌ[١٧] لـكل عجولِ
فقضى على سبعين ضارٍ خَطْمُـه هو عقـدة التّعْبير في التمثيل

ومنهـا :

حتى اذا حمل السـحابَ بجيـده لم تحتنلـه فـرائصُ المحسُولِ

وله أيضاً يتغزل[١٨] :

أوْمَى لتقبيل البساط خشُوعـا فوضَعتْ خدّي في التّراب خُضُوعا

---

(١٥) ق : منها .
(١٦) ج : او ما نجا فيقول : والخوافي : ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح .
(١٧) ق : قيده .
(١٨) ق : بتغزل .

التخريج

٢ ـ (اومي .. خضوعا)
شعر الرمادي ٨١
الابيات وردت برواية المطمح

ما كان مَذْهَبُه الخنوع[19] لعَبْدِهِ ... الا زيادةُ قَلْبِه تقطيعا

قولوا لمن أخَذَ الفؤاد مسلّماً ... يمنُنْ عليَّ بِرَدِّه مَصدوعا

العَبْدُ قد يَعصِي وأحْلِفُ أنني ... ما كنت الا سامعاً ومطيعاً

مولايَ يَحْيَى في حَياةِ كاسْمِه ... وأنا أموتُ صبابةً وولوعا

لا تنكروا غيثَ الدموع فكل ما ... يَنْحَلّ من جِسْمي يكونُ دُمُوعا

. . . . .

وله ايضا[20] في مثله :

ورأيتُ فوقَ النَّحر[21] درعاً فاقِعاً من زعفرانِ

فزجرْتُه لونا[22] سقامي بالنوى والزَّجر شاني

يا مَنْ نأى عنّي كما تَنْأى العيون[23] الفرقدانِ

فأرى[24] بعَيْنيَ الفرقدين ولا أراهُ ولا يراني

لا قدَّرت لك أوبةً حتى يؤوب[25] القارظانِ

هل ثَمَّ الا الموتُ فرداً لا تكونُ مَنِيّتانِ

وله أيضا رحمه الله[26] :

اشربِ الكأسَ يا نصيرُ وهاتِ ... انّ هذا النهارَ من حسناتي[27]

(19) ق : الخضوع .
(20) ايضا : لم ترد في (ن) .
(21) ج ، ق : البحر .
(22) ج ، ق : لوني .
(23) ج : ينأى لعيني .
(24) ق : فاراني .
(25) ق : يؤب .
(26) رحمه الله : لم ترد في ن .
(27) ق : حسنات .

التخـريج

٤ ـ [ورأيت .. زعفران]

شعر الرمادي ١٢٩ ـ ١٣٠

الابيات وردت برواية المطمح

٥ ـ [اشرب .. حسناتي]

شعر الرمادي ٥٦ ـ ٥٧

البيت الخامس [هوات]

بأبي غرة ترى الشخص فيها   في صفاء أصفى من المرآة[٢٨]
تسرع[٢٩] الناس نحوها بازدحام[٣٠]   كازدحام الحجيج في عرفات

. . . .

انما نحن في مجالس لهو   نشرب الراح ثم الت مواتي[٣١]

. . . .

لو مضى الدهر دون راح وقصف   لعددنا هذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار في دولة الخلافة[٣٢] وأهلها ، سدد اليهم صائبات نبلها ، وسقاهم كؤوس نهلها[٣٣] ، أوغرت عليه الصدور ،ونفرت[٣٤] عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور، فسجنه الخليفة دهرا ، واسلكه[٣٥] من النكبة وعرا ، فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه ، واجتناه كل زهر من الاحسان واقتطفه ، فما أصغى اليه ،ولا ألغى[٣٦] موجدته عليه ، وله في السجن اشعار صرح فيها بثه ، وافصح فيها عن جل الخطب ، لفقد صبره ونكثه ، فمن ذلك قوله :

لك الأمن من شجو[٣٧] يزيد تشوقي   ومنها

فوافوا بنا الزهراء في حال خالة الائمة   لاستيفائهم في التوثق[٣٨]

(٢٨) ق : المرآت .
(٢٩) ن : تنزع ، ق : تنزح .
(٣٠) ق : بانزحام وعليها آثار تصحيح الى ازدحام
(٣١) ج : موات .
(٣٢) ج : الخليفة ، ق : الخلايفة .
(٣٣) ج ، ق : سهلها .
(٣٤) ن : ونفرت .
(٣٥) ن : واسكنه .
(٣٦) ج : ألقى عنه ، ق : القى .
(٣٧) ج ، ق : سجوي .
(٣٨) ج : فوافى بنو الزهراء في حال خلة   تلائم لاستيفالهم في التوثق
ق : فوافوا بنى الزهراء في حال خال   لايمة لاستيفالهم في التوثق

التخريج

٦ ـ [لك الامن .. تشوقي]

شعر الرمادي ٩٢ ـ ٩٣

البيت الثاني : [حال خلة   تلائم]
البيت الخامس : [لتفاقلت   .. كبختلي]
البيت السابع : [نبقت دموعي]
البيت الثاني عشر : [ولم بان]
البيت الثالث عشر : [لقد جلت]

وحوليَ من أهل التأدبِ مأتم[٣٩] ولا جؤذر الا بثوبٍ مُشَقّقِ
فلو أنّ في عيني الحمام كرَوْضِها وان كان في ألوانه غيرَ مُشفِق
ونادى حسامي مُهجتي فتغافلت[٤٠] فهلاّ أجابت وَهْوَ عندي لمحنقِ[٤١]
أعينيَّ ان كانت لدمعك[٤٢] فضلة" تثبّتْ صبري ساعةً فتدفقي[٤٣]
فلو ساعدتْ قالت أمن قلة[٤٤] الأسى تنقت[٤٥] دموعي أم من البحر تستقي

ومنها :

تكلّفني أنْ أعتِبَ الدّهرَ أنّها لجاهلة" من لي باعتتابٍ محنقٍ[٤٦]
وقالت تظنّ الدّهرَ يَجمع بَيْنَنَا فقلْتُ لها : مَنْ لي بظنٍّ محقّقٍ
ولكنّني فيما زجرْتِ بمقلتي زجرتُ اجتماعَ الشملِ بعد التفرقِ
فقد كانت الاشْفار[٤٧] في مثل بُعْدِنا فلما التقتْ بالطيْف قالت سَنَلْتقي
أباكيةً يوما ولم يأتِ[٤٨] وقته سينفد قبلَ اليوم دَمْعُك فارْفقي
ومذ لم تريني أنت في ثوب نائم لعمري لقد حُقت بعي مسرّقِ

وقال أيضا في السجن :

نسائلها هلاّ كفاك تحوّله ونصنَعُه أو دَمْعُهُ وهمولُه[٤٩]
تكذّبه همّان شجْوٌ وصبْوَةٌ فبلّغ واشيه المنى وعذولُه

(٣٩) ق : مأتم .
(٤٠) ن : لتقلقلت .
(٤١) ج ، ق : لمحنقي .
(٤٢) ن : لدمعي .
(٤٣) ج : فتدفق .
(٤٤) ن : عدة .
(٤٥) ج : تبقت .
(٤٦) البيت لم يرد في (ن) .
(٤٧) ج ، ق : الاشمار .
(٤٨) ق : يأن .
(٤٩) لم ترد المقطوعة في (ن) .

التخريج

٧ ـ [نسائلها .. وهموله]
شعر الرمادي ١٠٢ ـ ١٠٤ .
البيت الثالث : [فإن يستبن]

فان تستبن في وجهه هم سجنه | فقد غابَ في الاحشاءِ عنك دخيلُه
معنىً بكتمان الحبيب وحبّه | فان يقتل الكتمانُ فهو قتيله

ومنها :

وأقبلْنَ من نحو الحبيب[50] كأنما | تحاشدَ نحوي جفْنه ونصُوله
دعوني اشم بالباب برْقَ أحبتي | قواماً فلم يَسْمح بذاك وكيلُه
يعمّ فلا يألو[51] حصارا[52] لعله | سيَوْدي فيُودي بثّه وأليلُه[53]
فلو كان في هذا الحصار[54] سنيه | لأنساه طولَ السّبع في اليوم طوله
لقد راعني سجني فشطّ ولو دنا | من السّجن لم يَسْهل عليّ دخوله
يعزّ على الورد النضير[55] حلُوله | ولم يك عند المستهام نزُوله

وله أيضا :

على كِبَري تَهمي السحابُ وتَذرِفُ | وعن جزَعي تبكي الحمامُ وتهتِفُ
كأنّ السحابَ الواكفاتِ غواسِلي | وتلك على فقْدي نوائح هُتّفُ
ألا ظعَنَتْ ليلى وبان قطينها | ولكنّني باقٍ فلوموا وعنّفوا
وآنستُ في وجه الصّباح لبينها | نحولاً كأنّ الصّبح مثلي مدنَفُ
وأقربُ عهدٍ رشفة" بلثتِ الحشا | فعاد شتاءً بارداً وهو صيّفُ
وكانت على خوْف فولّت كأنها | من الرّدْف في قيْدِ الخلاخل ترْسُفُ

(٥٠) ق : الجنيب .
(٥١) ق : يالوا .
(٥٢) ج : حصادا .
(٥٣) أليله : انينه .
(٥٤) ج : الحصاد .
(٥٥) ق : التصير .

التخريج

٨ — [على كبري .. وتهتف]
شعر الرمادي ٨٨ — ٨٩
البيت الاول [على كبدي .. ومن جزعي]
وهناك بيتان اخران لم يردا في المطمح هما

واهدت سلاما عن بنان كانها | التماعا ووحيا بارق متخطف
بمعصم كافور بياضا ، نكتنه | بغالية من صبغه وتطرف

وله أيضاً[٥٦] :

مقلتي ضَرَّجتك[٥٧] بالتوريد فدعي لي قلبي ومنها استقيدي[٥٧أ]
هذه العينُ ذنبها ما ذكرنا أيَّ ذنبٍ لقلبيَ المعمودِ
لو ترددت بحجة العين ماذا لم تعاقب بالدمع والتسهيد
بلغ الياسمينُ في القدر ان قد لف من خدها بورد نضيد
كل شيء أتوبُ عنه ولا توْ بة لي من هوى الحسان الغيدِ
من لعانٍ منهنَّ غير طليقٍ وسقيم منهنَّ غير معودِ
شهدت ادمعي بوجدي وزورٌ لساني (٥٧ب) إذ خانه مجلودي[٥٨]
أيها اللائمي على الحب مهلاً هل تلام الحمام في التغريدِ

وله أيضاً :

فقدت دموعي يوسفاً[٥٩] في حسنه فغدوت يعقوباً بشدة وجدهِ
وعميت مما قد لقيت من البكى حتى مسحت على الجفون ببردهِ

• • •

وسجن معه غلام من أولاد العبيد فيه مجال ، ومن نفس متأمله من لوعته أوجال ، فكتب يخاطب الموكل بباب السجن[٦٠] بقطعة منها :

---

(٥٦) لم ترد المقطوعة في (ن) .
(٥٧) ق : ضر حبك .
(٥٧أ) ج ، ق : استفيدي والتصويب عن شعر الرمادي .
(٥٧ب) ق : لشاني والتصويب عن شعر الرمادي .
(٥٨) ج : مخلودي .
(٥٩) ق : واحداً .
(٦٠) ن : بالسجن .

التخريج

٩ ــ [مقلتي .. استقيدي]
شعر الرمادي ٦٦ ــ ٦٧
القصيدة وردت برواية المطمح

١٠ ــ [فقدت .. وجده]
شعر الرمادي ٦٦
البيتان جاءا برواية المطمح

حبيبك[٦١] مَنْ أتلفَ الحبُّ قلبَهُ ... ويلذعُ قلبي حرقةٌ دونها الجمرُ
هلالٌ وفي غير السماء طلوعُــه ... وريمٌ ولكن ليس مَسْكَنَهُ القفْرُ
تأمّلْتُ عينيه فخامرني السُّكْرُ ... ولا شكّ في أن العيون هي الخمر
أناطقُه كيما يقولَ وانما ... أناطقُه عندا لينتثر الدرّ
أنا عبدُهُ وهو المليكُ كما اسمُه ... فلي منهُ شطرٌ كاملٌ وله شطرُ[٦٢]

الاديب ابو القاسم محمد بن هاني(*)

علق[٦٣] خطير، ورَوْضٌ أدب مطير، غاصَ في طلب الغريب حتى اخرج دُرَّه المكنون، وبهْرَجَ بافتنانه فيه كلّ الفنون، وله نظم تتمنى الثريّا أن تتوَّج به وتتقلد[٦٤]؛ ويودّ البدْرُ أن يكتب ما اخترع فيه[٦٥] وولد، زهت به الاندلس وتاهتْ، وحاسنت ببدائعه الأشمسَ وباهت[٦٦]، فحسَدَ المغرب فيه المشرق، وغصَّ به مَنْ بالعراق وشَرِق، غير أنه نبتْ به اكنافها وشمخت[٦٧] عليه آنافها، وبرئت منه، وزُوِيت الخيرات فيها عنه[٦٨]. لأنه سَلك مسْلك المَعَرّي، وتجرّد من التدين وعرّي، وأبدَى الغلوّ، وتعدّى الحقّ المجلوّ، فمجّته الأنفس، وازعجته الأندلس، فخرج على غير اختيار، وما عرّج

(٦١) ن : جليسك .
(٦٢) ج ، ق : الشطر .
(٦٣) ن : ذخر ، والعلق : النفيس من كل شيء يتعلق به القلب جمع : اعلاق وعلوق .
(٦٤) ن : وتتقلد .
(٦٥) ج ، ق : يكتب فيه ما اخترع وولد .
(٦٦) ج ، ق : وزاهت .
(٦٧) ج ، ق : وسحت .
(٦٨) ج : وزوى الخير فيها عنه ، ق : وزوت الخيرعنه .

(*) ابو القاسم محمد بن هانيء الازدي ، شاعر اندلسي ولد سنة ٣٢٦هـ وخرج عن الاندلس فشهر شعره بالمغربة ، صحب جعفر ابن حمدون والي المسيلة ومدحه ثم صحب المعز ابا تميم معد بن اسماعيل صاحب المغرب قبل وصوله مصر ومدحه ، وهو شاعر مكثر ، محسن ، مجيد ، وقمقمة الالفاظ الغلب على شعره ، له ديوان بتحقيق زاهد علي ، توفي في برقة سنة ٣٦٢هـ [انظر ترجمته في : الجذوة ٩٦ ، البغية ١٣٠ - ١٣١ ، المطرب ١٩٢ - ١٩٥ ، التكملة ٣٦٨/١ ، المغرب ٩٧/٢ - ٩٩ الرايات ٨٦ - ٨٩ ، الوفيات ٤٢١/٤ - ٤٢٤ ، الشذرات ٤١/٣ - ٤٢] .

التخريج

١١ - [حبيبك .. الجمر]

شعر الرمادي ٧١

البيت الثاني [وريم]
البيت الرابع [القول]
البيت الخامس [وله الشطر]

على هذه الديار ، الى أن وَصَل الزّاب واتصّل بجعفر ابن(٦٩) الأندلسية(*) : مأوى تلك الجنسيّة ، فناهيك من سعد ورد عليه فكَرَع ، ومن باب وَلَج فيه وما قرع(٧٠) ، فاسترجع عنده شبَابَه ، واتنجع(٧١) و بنه ورَبَابَه ، وتلقّاه بتأهيل ورُحب ، وسقاه صَوْب تلك السُّحب . فأفْرط في مَدْحه فيــه في الغلو(٧٢) وَزاد ، وفرّغ عنده تلك المزاد ؛ ولم يتورّع ؛ ولا ثناهْ ذو وَرَع ، وله(٧٣) بدائع يتحير فيها ويُحار ، ويُخال لرقّتها انّها أسْحَار ، فانّه اعتمد التهذيب والتحرير ، واتّبع في اغراضه الفرزْدق مع جرير ؛ وأمّا تشبيهاته فَخَرَق فيها المعتاد ، وما شاء منها اقتاد ، وقد اثبتُ له ما تحِنّ له الاسْماع ، ولا تتمكن(٧٤) منه الاطماع . فمن ذلك قوله :

أليلتنا اذْ ارسَلَتْ وارِداً وحفــا وبِتْنَا نَرى الجَوْزَاء في اذْنها شَنْفا
وبات لنا ســاقٍ يقومُ على الدجى بشمعةِ صُبْحٍ لا تُقَطُّ ولا تطفى
اغنّ(٧٥) غضيض خفّفَ اللين(٧٦) قده وثَقّلتِ الصهباءُ أجْفَانَه الوُطْفا
ولم يُبْقِ ارْعاشُ المُدَامِ له يَداً ولم يُبْقِ اِعْنَاتُ التَّثَنِّي له عِطْفا

(٦٩) ج ، ق : بن .
(٧٠) ق : فزع .
(٧١) ج ، ق : وابتجع .
(٧٢) [فيه] لم ترد في ج ، ق : [في الغلو] لم ترد في ج
(٧٣) ج ، ق : فله .
(٧٤) ق : وتتمكن .
(٧٥) ج ، ق : اغض .
(٧٦) ج ، ق : البين .

(*) جعفر بن علي بن حمدون الجذامي ابن الاندلسي ، له ولابيه ولاخيه يحيى بن علي رئاسة ونباهة في ايام العبيدية ، وعلي بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الاكبر وسكنها ابنه جعفر فعظم شانه ولابن هانىء في جعفر واخيه يحيى مدائح شهيرة [الحلة ١/٣٠٥] واطلق عليه ابن الاندلسية مجاراة للسجع .

التخريج

١ ـ [اليلتنا .. شنفا]

ديوان ابن هانيء تحقيق د . زاهد علي ٤٢٨ ـ ٤٥٣

البيت الثاني [بشمعة نجم]
البيت الخامس [قضاه السكر]
البيت السابع [لنا الظلماء]
البيت الثامن [كبد تدني شفة توحي]
البيت التاسع [اللذين تظاهرا]
البيت الخامس عشر [دوم طائر]
البيت السابع عشر [كان عمود الفجر خاقان عسكر]
والقصيدة في الديوان تقع في واحد وسبعين بيتا

نزيفٌ نضاهُ[٧٧] الشُكرُ الا ارتجاجَهُ اذا[٧٨] كلَّ عنها الخَصْرُ حمّلَها الردفا
يقولون حقف[٧٩] فوقَهُ خيزُرانة أما يعرفون الخيزرانة[٨٠] والحِقفا
جَعَلْنا حشايانا[٨١] ثياب مُدامِنا وقدّتْ لنا الأزهارُ من جلدها لُحْفا
فمن كبدٍ تُوحِي الى كَبِدٍ هوىً ومن شَفَةٍ تُومي الى شَفَةٍ رَشْفا

ومنها :

كأنَّ السّماكين[٨٢] اللذين[٨٣] تراهما على لِبْدَتَيهِ ضامنانِ لهُ حَتْفا
فذا رامحٌ يهوي[٨٤] يهوي اليه سِنانَهُ وذا أعزَلٌ قد عضَّ أنمُلَهُ لَهْفا
كأن سُهَيْلا في مطالع أُفْقِهِ مُفارِقُ إلْفٍ لم يَجِد بَعْدَهُ إلْفا
كأن بني نعش ونعشاً مطافِلٌ بوجرَةَ قد أضْلَلْنَ في مَهْمَهٍ خِشفا[٨٥]
كأنّ سهاها[٨٦] عاشقٌ بين عُوَّدٍ فآونةً يبدو وآونةً[٨٧] يخفى
كأنّ قُدامى النَّسْر والنَّسْرُ واقعٌ قُصصنَ فلم تسمُ[٨٨] الخوافي به[٨٩] ضعفا
كأنّ أخاه حين حوّم طائرٌ[٩٠] أتى دون نِصفِ البدْرِ فاختطف النصفا
كأنّ ظَلامَ الليْل إذْ مال مَيلةً صريعُ مُدامٍ بات يشرَبُها صِرْفا
كأنّ عَمودَ الصبْحِ خاقانُ مَعشَرٍ من التُرْكِ نادى بالنَّجاشِيِّ فاستخفى
كأنّ لواء الشمس غُرَّةُ جَعْفَرٍ رأى القِرْنَ[٩١] فازدادت طلاقته ضعفا[٩٢]

(٧٧) ج ، ق : بريق قصاه .
(٧٨) ق : اذ .
(٧٩) ق : خفف . والحقف ما استطال واعوجّ من الرّمل .
(٨٠) ق : الخيزدانة .
(٨١) ج : حشا منا ، ق : حشايلنا .
(٨٢) السماكان : كوكبان يقال لاحدهما السماك الرامح ، وللاخر السماك الاعزل .
(٨٣) ق : الذين .
(٨٤) ج ، ق : ياوي .
(٨٥) المطفل : ذات الطفل من الانس والوحش ، وجرة : موضع بين مكة والبصرة ، بنات نعش هي سبعة كواكب اربعة منها نعش لانها مربعة يقول : كان بنات نعش مع نعشهن ظباء ذوات اطفال قد دفن ولدهن في مفازة أو قد اضعنه فحملن نعشه لدفنه [هامش الديوان] .
(٨٦) ج ، ق : سناها ، والسها : كوكب خفي يمتحن الناس به ابصارهم .
(٨٧) ق : وآوانة .
(٨٨) ق : تسمو .
(٨٩) ن : له .
(٩٠) ج ، ق : طائرا .
(٩١) القرن : الكفؤ في الشجاعة .
(٩٢) ج ، ق : لطفا .

وله أيضاً :

فَتِقَتْ لكم ريحُ الجِلاد بعَنْبَرِ ... وأمدّكم فَلَقُ الصباح المُسْفِرِ
وجَنَيْتُم ثمر الوقائع يانعاً ... بالنّصر من وَرَقِ[93] الحديد الأحمر
أبني العَوالي السَّمْهريّة والسُّيو ... فِ المشرفية والعديد الأكثرِ[94]
من منكمُ الملِك المطاع كأنّه[95] ... تحت السوابغ تُبّع[96] في حِمْيَرِ
جيش تعدُّ له الليوث وفوقها[97] ... كالغيل[98] من قصب الوشيج الأخضَر
وكأنّما سَلب القشاعم[99] ريشها ... مما يشقّ من العَجاج[100] الأكْدَرِ
لحق القبولَ مع الدَّبُورِ وسار في ... جمع الهِرَقْل وعزْمة الاسكندَرِ
في فتية صدأ الحديد لباسُهم ... في عبْقريّ البيض جِنّةُ عَبْقَرِ[101]
وكَفَاه من حبّ السّماحةِ انّه ... منها بموضع مُقْلَة من مَحْجِرِ

ومنها[102] :

نعماؤه من رحمةٍ ولباسُه ... من جُنّةٍ وعطاؤه من كوثَرِ

---

(٩٣) ن ، ق : علق .
(٩٤) ج : المشرفية والعزيز الاكبر ق : المشرقية والعرير الأكثر .
(٩٥) ج ، ق : فإنه .
(٩٦) تبّع : لقب اعاظم ملوك اليمن .
(٩٧) ج : وقوفها .
(٩٨) ق : كالفيل ، والغيل : الوادي فيه ماء ، وموضع الاسد والشجر الكثير الملتف الذي يستتر فيه .
(٩٩) القشاعم : الرخم والمسن من النسور .
(١٠٠) العجاج : الدخان أو الغبار الذي ينحو لونه نحو السواد .
(١٠١) عبقر : موضع تزعم العرب انه موطن للجن، ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه او جودة صنعته .
(١٠٢) ق : منها ومكتوبة قبل بيت الشعر في سطر واحد معه .

التخريج

٢ ـ [فتقت .. المسفر]
الديوان ٣٢١ ـ ٣٢٩ : القصيدة تقع في ثمانية وثلاثين بيتاً
البيت الثاني [الحديد الاخضر]
البيت الخامس [تقدمه .. .. الاسمر]
البيت السابع [نحر القبول من الدبور]
البيت الثامن توزع شطره الاول في بيت وشطره الثاني في بيت آخر هما :
[في فتية صدأ الدروع عبيرهم ... وخلوقهم علق النجيع الأحمر
انسوا بهجران الانيس كانهم ... في عبقري البيد جنة عبقر]
البيت التاسع [انها × منه]
البيت العاشر
[فغمامه من رحمة وعراصه ... من جنة ويمينه من كوثر]

وله أيضا من قصيدة في جعفر بن علي بالطوى[١٠٣] :

ألا أيّها الوادي المقدّس بالطوى[١٠٤] ... وأهل الندى قلبي اليكَ مَشُوقُ
ويا أيّها[١٠٥] القصرُ المنيفُ قِبابُهُ ... على الزّابِ لا يُسْدَدْ اليك طريقُ[١٠٦]
ويا ملك الزّاب الرّفيع عمادُهُ ... بقيتَ لجَمْع المجْدِ وهو فَرِيقُ
فما أنسَ لا أنسَ الاميرَ اذا غدا ... يروعُ بحرّى ملكه ويروق[١٠٧]
ولا الجودَ يجري من صفيحةِ وَجْهِهِ ... اذا كان من ذاك الجبين شُرُوقُ
وهِزّتَهُ للمجْدِ حتّى كأنّما ... جرَتْ في سجاياه العِذابِ رحيقُ
اما وأبي تلك الشمائل إنّها ... دليلٌ على أنّ النّجارَ عَتيقُ
فكيف يصبْرِ النّفس عنهُ ، ودونَهُ ... من الأرض مُغْبَرٌّ النجاجِ عميقُ
فكنْ كيف شاء الناس أو شئت دائما ... فليس[١٠٨] لهذا المُلْك غيرُكَ فُوقُ
ولا تشكر الدنيا على نَيْل رُتبَةٍ ... فما نلتَها الا وأنتَ حَقيقُ

---

(١٠٣) بالطوى : لم ترد في ن ؛ ق ، والطوى : اسم موضع بالشام .
(١٠٤) ن : بالندى ، ق : بالنوى .
(١٠٥) ق : وياأيّها .
(١٠٦) ج : طروق .
(١٠٧) ن : بحورا فلكه وتروق .
(١٠٨) ق : وليس .

التخريج

٢ ـ [الا .. مشوق]

(ملحقات) ديوان ابن هانيء ، تحقيق د . زاهد علي٨١٦

قال عنها المحقق في الهامش [هذه الابيات العشرة من« مطمح الانفس » للفتح ابن خاقان (ص ٧٣ و ٧٥ مطبوعة قسطنطينية) وقد نسبها الى ابن هانيء الاندلسي] وقدذكرها محمد اليعلاوي في حوليات الجامعة التونسية ضمن [قصائد لابن هانيء لم تنشر] العدد السادس سنة١٩٦٩ ص ٨٢ ـ ٩٠ على ان طبعة ديوان ابن هانيء بتحقيق زاهد علي اقتصرت علىعشرة ابيات فقط منقولة منالمطمح،حيث عثر اليعلاوي علىالابيات الاضافية فيمخطوطة منالديوان محفوظة بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم (13746) والقصيدة بعد ذلك وقعت في اربعة وثمانين بيتا ضمن مستدرك محمد اليعلاوي وعشرة ابيات منقولة من المطمحضمن ملحق الديوان .

ملحق الديوان :
البيت الثالث [وهي فريق]
البيت الرابع [اذا بدا]
قصائد لابن هانيء لم تنشر :
البيت الاول [بالندى]
البيت الثاني [لا يسدد عليك]
البيت الرابع [يروع بمرأى]
البيت الخامس [في صفيحة وجهه اذا لاح]
البيت التاسع [شئت كائنا فليس لسهم الملك]

وله من قصيدة(١٠٩) :

خليليَّ أينَ الـــزّاب منّي وجعفـــرُ — وجنّـاتُ عَدْنٍ بِنْتُ عنها وكوثرُ(١١٠)
فقَبْلي نأى عن(١١١) جنّــة الخلدِ آدمٌ — فما راقــهُ من جانبِ الارْضِ منظَــرُ
لقـــد سَرّني أنّي أمرٌ ببـــالهِ — فيخبرني عنــــه بذلك مُخْبِـــرُ
وقد ســـاءني أنّي أراه ببلـــدَةٍ — بهـــا مَنْسَكٌ منه عظيمٌ ومشْـعَرُ
وقـــد كان لي منـــه شفيعٌ مُشفّعٌ — به يَمْحَصُ اللهُ الذنوبَ ويَغْفِـــرُ
أتى النـــاسُ أفواجـــا اليك كأنّمـــا — من الزاب بيتٌ او من الزّاب مَحشَــرُ
فأنتَ لمن قـــد مزّقَ الله شَـــملَهُ — ومَعْشَرَهُ والأهْلَ أهـــلٌ ومَعْشَرُ

---

(١٠٩) ن : اخرى .
(١١٠) ج ، ق : ورد البيت برواية مخالفة هي :
خليليّ ان الزاب منّي وجعفرا — لجنة عـدن بنت عنهـا وكوثرُ
(١١١) ج ، ق : من .

التخريج

١ ـ [خليلي .. وكوثر]
ملحقات ديوان ابن هانيء تحقيق د . زاهد علي ٨١٢ـ٨١٦ والقصيدة تقع في اربعة وسبعين بيتاً .
البيت الاول [الزاب عنا وجعفر وجنة خلد]
البيت الثاني [في ساحة الأرض]
البيت الثالث [لئن سرني أني امر ببابه]
البيت الرابع [لقد ساءني اني امر ببلدة]
الابيات : الخامس والسادس والسابع لم ترد ضمن ابيات القصيدة
ابيات لابن هانيء المغربي لم تنشر :
وردت القصيدة في حوليات الجامعة التونسية العدد التاسع لسنة ١٩٧٢ ص ٩٩ ـ ١٠٠ وقد جاءت في تسعة عشر بيتا ، الابيات الاربعة الاولى من المطبع لم ترد فيها حيث بدأت من البيت الخامس في المطمع الذي لم يرد في ملحق الديوان ، وقد نص محقق المستدرك الاستاذ محمد اليعلاوي على ان « قد فاتنا ان نتبه ان القصيدة عدد ٦٢ التي نشر منها المرحوم زاهد علي ٧٤ بيتا ، قد وردمنها في نسخة تونس [تسعون بيتا ، وها نحن ننشر هذه الابيات الاضافية التي خلا منها ديوان « تبيين المعاني ... »
البيت الخامس [به يمحق الله]
البيت السادس [ارى الناس .. من الزاب بعث او من]
البيت السابع
[لانت لمن قد مزق الدهر شمله — ومعشره بالبين ، اهل ومعشر]

معجم الأفعال المتعدية اللازمة

القسم الاول

جمع وتحقيق الدكتور

هاشم طه شلاش

كليـة التربية ـ جامعة بغـداد

مقدمـــــة

سمّى اللغويون الفعل التام الذي لا ينصب مفعولا بنفســه او لامفعول له الفعل اللازم او الفعل الذي لايتعدى اوالفعل القاصر او غير الواقع اوغير المجاوز ، وسمّوا الفعل التام الذي ينصب مفعولا به الفعل المتعدّي : لانّ اثره يتعـدّى الفاعل الى المفعول به ، او الفعل المجاوز لمجاوزته الفاعل الى المفعول به ، او الفعل الواقع : لوقوعه على المفعول به(١) .

وقــد بحث النحويون والصرفيون موضوع التعدية واللزوم كثيرا في كتب النحو والصرف ، وقدموا ـ عن الموضوع ـ تفصيلات كثيرة تناولت تعريف الفعل المتعدى وتعريف الفعل اللازم ، وبيان انواع التعديــة ، وافاضــوا في بيان الافعال التي تتعدى الى مفعول واحد والافعال التي تتعدى الى مفعولين والافعال التي تتعدّى الى ثلاثة مفاعيل .

ولـم يقف البحث في هـذا الموضوع عند المتقدمين من علمــاء اللغة ، بل تعـدّى ذلك الى المحدثين منهم فقد درس المرحوم الدكتور مصطفى جــواد(٢) موضوع التعديــة واللزوم على اســاس الاصالة والعرَض وحاول ان يثبت ان التعدية هي الاصل لان الحياة بنيت عليها ، وان اللزوم عارض حتمته طبيعة الحياة المنتقلة من دائرة البداوة الى دائرة الحضارة التي لا تستغني عن الافعال اللازمة.

وتوسّعت الدراسات في هذا الموضوع حتى اصبح الموضوع جزءا من رسالة جامعية(٣) ، تناول فيها صاحبها كل ما يتعلق بهذا الموضوع .

ولا نريد أن نبحث هنا مــا بحثــه القدماء والمحدثون لان الموضوع نضج واحترق على حــد تعبير النحاة ، وكل ما نريد بيانه هنا تلك الافعال التي تتعدى وتلزم في آن واحد . وقد قسمنا العمل على قسمين :

الاول : تناول بيان الافعال التي تلزم وتتعدى بانفسها بلا حذف ولا زيادة . وقــد راينــا ابن الانباري(٤) يشير الى ان الافعال التي من هــذا النوع تنيف على ثمانين فعلا ، ولم نجده يذكر تلك الافعال . ووجدنا الامام جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ في كتابه

(١) همع الهوامع ٢/٨١

(٢) فلسفة اللغة والنحو والصرف والرسم ٢٢ ـ ٢٦

(٣) قدم الدكتور خليل ابراهيم العطية بحثا في هذا الموضوع ، وهو جزء من رسالة الماجستير التي قدمها للحصول على الدرجة العلمية .

(٤) البيان في اعراب غريب القرآن ١/٦٠

المزهر(٥) يشير الى قسم قليل منها مجرد من الشواهد ومن المعاني احيانا . وقد نقل هذه الافعال من مراجع ثلاثة هي ديوان الادب للفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ والصحاح للجوهري المتوفى في حدود ٤٠٠ هـ وادب الكاتب لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ . وقد نقل من ديوان الادب احد عشر فعلا ومن صحاح الجوهري ستة وعشرين فعلا ومن ادب الكاتب تسعة عشر فعلا ، وهذا يعني انه ذكر ستة وخمسين فعلا من هذا النوع .

ولما كانت المواد المجموعة من الكتب المشار اليها لا تفي بالغرض المطلوب ؛ اقتضى المقام استقراء هذه الافعال في معجمات اللغة مدعومة بالشواهد ان وجدت . وقد تمّ استقراء الصحاح للجوهري ومختاره للرازي وأساس البلاغة للزمخشري ولسان العرب لابن منظور والمصباح المنير للفيومي والقاموس المحيط للفيروزآبادي وتاج العروس للزبيدي وغيرها من كتب اللغة ودواوين الشعر . وقد اتضح من الاستقراء ان عدد الافعال المستقراة اكثر بكثير مما اشار اليه ابن الانباري وذكره السيوطي وغيرهما من ائمة اللغة .

وقبل ان يأخذ هذا المعجم طريقه الى النشر بعد أن استغرق العمل فيه اكثر من سنتين نبهنا احد الفضلاء على منظومة(٦) في الافعال المتعدية اللازمة مع شرح مختصر عليها من تاليف العلامة الشيخ عبدالله البيتوشي الكردي المتوفى سنة ١٢٠٠هـ . والمنظومة تشتمل على عدد كبير من الافعال التي عدّها الناظم من هذا النوع . ومع ان هذه المنظومة عمل جليل في بابه يعيبها ما يأتي:

١ ـ اعتمد المؤلف في عمله على مرجعين اساسيين هما القاموس المحيط لمجدالدين الفيروزآبادي ـ المتوفى سنة ٨١٧هـ ـ الذي عوّل عليه في ثلاثمائة وخمسين موضعا ، ودستور اللغة للنطنزي الذي نقل منه ثمانية وخمسين نقلا . وكان ينقل احيانا من صحاح الجوهري الذي نقل منه مرة واحدة ايضا . وهذا العمل اللغوي لا يمكن الاعتماد عليه كليا ما لم يجر استقراء واسع لمعجمات اللغة وكتب اللغة والادب ودواوين الشعر ، مع مقابلة المواد اللغوية المستقراة بعضها على بعض وتحقيقها بما يضمن الصحة والفائدة .

٢ ـ لا يسير المؤلف في نقله من مرجعيه الاساسيين على نسق واحد ، ففي الوقت الذي ينقل فيه المادة كاملة من القاموس المحيط من غير اكتفاء بالمطلوب ؛ نراه يكتفي بالاشارة فقط الى الفعل المنقول من دستور اللغة للنطنزي ؛ ولا يذكر معنى او تركيبا . ففي مادة (حَرَضَ) ينقل من القاموس المحيط قول الفيروزآبادي : «حَرَضْتُ نفسي بمهملتين فمعجمة. في القاموس : الحَرَض محركة : الفساد في البدن وفي المذهب وفي الفعل ، والرجل الفاسد المريض ، والمضنى مرضا وسقما، ومنه حتى تكون حرَضا . وقد حرض يحرُض حروضا ، وحرَض نفسه يحرِضها افسدها » ، وكان باستطاعته الاكتفاء بالمعنى وبقوله: «حرَض: فسد؛ وحرَض نفسه: افسدها» من غيراستطراد في ذكر الفعل واوزانه ومصادره . ونرى مثل ذلك في مادة (هصر) ، فهو ينقل كلام صاحب القاموس: « الهصر ، عطف شيء رطب كغصن ونحوه . هصره وبه يهصره فانهصر واهتصره فاهتصره » وكان يستطيع الاكتفاء بقول صاحب القاموس : « واهتصره فاهتصر » لأنه هو المطلوب .

وانظر اختصاره الغريب في نقله من دستور اللغة للنطنزي فهو يقول: «فَصّل هو في الدستور» و « تَقَشَّم : هو في الدستور » و « توجّه: هو في الدستور » و « اكسد : هو في الدستور » و « استقام : هو في الدستور » ؛ وهذا هو اسلوبه في غالب ما ينقله من دستور اللغة ولا ندري لمَ اكتفى بذلك فقصّر في الحديث عن كثير من الافعال.

٣ ـ لم يستطع المؤلف ان يرتب الافعال ترتيبا هجائيا لانه قيد نفسه بالنظم فأخلّ بعمله

(٥) ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٨

(٦) المنظومة مخطوطة في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد . رقمها ٦٠٢٢/٢ لغة ، وعدد صفحاتها خمس عشرة صفحة ، وفي كل صفحة ستة وعشرون سطرا ، وفي كل سطر اربع عشرة كلمة تقريبا ، وهي جزء من مجموع فيه عدة رسائل . وصفحات المجموع كلها غير مرقمة اذ اهمل الناسخ ذلك اهمالا تاما

اخلالا كبيرا ، وصعب على القارىء معرفة موضع الفعل المقصود ما لم يراجع المنظومة كلها .

٤ ـ لم يورد الافعال بصيغة فعلية واحدة . فهو يورد الفعل مضارعا مرة وماضيا مرة اخرى وامرا مرة ثالثة كما ورد في المنظومة ، فهو مقيد بالشعر ولا يستطيع الخروج عليه ، فهو يقول في المقدمة : « وبعد فهذه منظومة في افعال استوى فيها التعدي واللزوم ، ذكرتها تارة بلفظ المتعدّي وآونة بصيغة اللازم وآينة بهيئة الامر رعاية لسلامة النظم والا فكلها من واد واحد » .

٥ ـ الافعال التي يذكرها في المنظومة والشرح لا يمكن ان تعدّ كلها مما يتعدى ويلزم من الافعال لان المعوّل عليه هنا الافعال التي تتعدى وتلزم في آن واحد بوزن واحد وبمعنى واحد ايضا . اما اذا اختلف المعنيان فلا يمكن ان يعد ذلك من هذا الباب . وقد ذكر المؤلف شيئا من ذلك ، فانظره يقول مثلا : « اوسَدّ الكلب اغراه بالصيد كآسده واوسَد في السير : اغذّه اي : اسرع » ولا يخفى ما بين المعنيين من بعد . ومثل ذلك ايضا قوله في مادة (مخر) : « مخر الارض ارسل فيها الماء لتجود ، فمخرت هي : جادت » . ومثل ذلك ما نقله من القاموس : « وجَنَبَه : ابعده ، وجنب فلان : نزل غريبا » . ومما اختلف فيهما الوزن ما نقله من دستور اللغة للنطنزي فقال : « ثرم كفرح : انكسر سنّه ، وثرمه كضربه » وقد صرّح هو نفسه بأن ما نقله هنا ليس من هذا الباب ولا ندري لم ذكر ذلك .

٦ ـ ان قسما من الافعال التي يرى انها تتعدّى وتلزم لا اساس لاستخدامها كذلك في المصادر التي بين ايدينا فهو يشير الى لزوم الفعل مثلا ولم نجد الفعل يستعمل كذلك في معجمات اللغة . فقد نقل من دستور اللغة للنطنزي : « وكذا الهبّ النار » ،وهو يعني ان الفعل (الهب) يتعدى ولا يتعدى ، ولم نجده لازما في الصحاح واللسان والمصباح المنير والتاج(٧) ، والمستعمل فيها المتعدى «الهب النار أو قدها» . ونقل عن دستور اللغة : « ثعبته ، اي الماء والدم : فجّرته » وهو يعني ان الفعل (ثعب) يستعمل لازما ايضا ولم نجده يستعمل لازما في المصادر التي راجعناها .

٧ ـ والظاهر ان تصحيفا حدث في قسم من الافعال التي ذكرها فوقع الخطأ في الحكم على استعمالها . فقد نقل من القاموس : « درب به كفرح: ضري كتدرّب ودُرّب ،ودرّبه وعليه وفيه تدريبا ضراه » ، والظاهر انه اخطأ في النقل ففي القاموس المطبوع(٨) : «درب كفرح: ضري كتدرّب ودردب ، ودرّبه .. » فلا لزوم في الفعل . يؤكد ذلك ما هو موجود في اللسان والتاج(٩) ، اذ ورد فيهما : (دردب) لا (درّب) .

ونقل من القاموس : « اجنح مالَ وأماله » ولم نجد في القاموس المطبوع(١٠) قوله « اجنح : مال » ، وانما الموجود (جنح) . ونقل من القاموس ايضا : « اقبلتْ اقبالا ، واقبلتها ، فهو اقبل بيّن القبَل كانه ينظر الى طرف انفه » . فقوله : (اقبلتْ اقبالا) تصحيف ظاهر ففي القاموس المطبوع : (واقبلّت اقبلالا) . وزاد الزبيدي في التاج(١١) : « كاحمرّت احمرارا » . فلا شاهد على التعدي واللزوم في قوله هذا .

٨ ـ وقد ينقل المؤلف من القاموس المحيط من غير تحقيق للمنقول فقد نقل منه : « دبّسه : واراه فدبَس لازم متعد » . جاء في التاج(١٢) : « هكذا في سائر النسخ ولا يخفى انه لا يكون لازما ومتعديا الا اذا كان دبسه بالتخفيف وهو قد ضبطه بالتشديد » .

٩ ـ وقد يكون المؤلف واهما في وجود المادة التي يتحدث عنها في المصدر الذي يشير اليه . فقد جاء في شرح منظومته نقلا عن القاموس المحيط : « قلّص قميصه : شمّره نقلّص هو تقليصا لازم

---

(٧) مادة (لهب)

(٨) مادة (درب) .
(٩) مادة (درب) .
(١٠) (جنح)
(١١) مادة (قبل)
(١٢) مادة (دبس) .

متعـد » ولم نجـد ذلك في القاموس المحيط(١٣) المطبوع . ومثل ذلك قوله في الفعل « اغتص » : «الغصّة بالضم الشجا وقد اغتصصته فاغتصّ» واشار الى انه نقل ذلك من القاموس المحيط ولم نجد ذلك في القاموس(١٤) المطبوع .

١٠ـ ان هـذه المنظومة على مـا فيها من اسـتقصاء كبير للافعال التي تتعـدى وتلزم فات ناظمها عدد كبير من الافعال التي من هـذا النوع وقد استدركنا عليه منها مائة وواحداواربعين فعلا هي: اتى وازق والت واوى وبجس وبدر وبرء وباء وثرا واثكل واثر وثمغ واستجد وجلجل وجلا (بمعنى وضح وانكشف) وجهر واجهى وجـاء واحتث واحدروحرف واحفدواحلولى واستحمق وحمّ واحم واختبأ وتخذّم وخشعواخصب وخضع واخضـع واخفى وخنس وخاس وداث ودحض وادرّ وادرك وادّرك وتدارك ودفق (بمعنى اسرع) ودمر وادنف (بمعنى دنا) ودنى ودان (بمعنى قهر) واستدان وارجف وارتد وتردّم ورعب (بمعنى امتلأ) وارتفع واراض وزها (بمعنى اضاء) وازدهى وازداد وازق وازكى واسـبل واسحق واسقب واسلك وسمّ وسـاء وشجّ وشحن وشخب وشخص وشخم وشرع (بمعانيه المختلفة) واشرف وصبر وصدق وصرم وصف وطحا وطام واعتم واعتزل وتعزّل وعطف واعتفر وعفا (بمعنى كثر) وعفى واعتفى وغرّب واغرب وفصل وفلت وافاد وافاض وافرع وقرنص وقرقف وقصف واقطر وقطّ واقلولى واقنع واكاب وكدّ واكرى وكلى واكتلى واكتنّ والتطّ والتقى ومتخ وامدّ ومرن ومنّى وامعن وملّ ومار وندى وانزف ونسخ وتنصف ونضح نضـخ ونطف وانتظم وانمظ وانغض ونفـخ ونفش وانفق واناخ ونوّر وهبّ وهجم (بمعنى هدّم) وهدّ واهدر ودثا ووجّه روخى ووسع واستوقد واوهم يقن .

ومع كل ذلك كانت هذه المنظومة وشـرحها المختصر مصدرا كبيرا يضـاف الى المصـادر التي أعتمدنا عليها بعد معارضة موادها على مواد المعجمات وكتب اللغـة .

وقد تميز عملنا بما يأتي :

١ ـ الاختصار والاكتفاء بذكر الفعل ومعناه واسـتعماله في حالتي اللزوم والتعدّي في جمل يسـيرة استقيناها من مراجعنا .

٢ ـ الاعتماد على الشاهد في حدود الامكان لتأكيد استعمال الفعل بالصـورة المذكورة وقـد اعتمدنا كثيرا على القرآن الكريم ودواوين الشعر العربي المتوافرة لدينا ، وقـد استشهدنا احيانا لأحد الاستعمالين على أساس ان الاستعمال الآخر معروف مشهور .

٣ ـ ايراد الاقـوال والاراء المفيـدة لائمة اللغة في تاكيد تعدية الفعل او لزومه بالصورة التي يتوضح فيها المطلوب .

اما القسم الثاني من هذا المعجم فقد تناول الافعال التي تتعدى بانفسها وبحروف الجر أصالة على اساس ان التعدي لغة واللزوم لغة اخرى . وتناول ايضا الافعال التي تتعدى بحروف الجر اصلا وتتعدى بانفسها عرضا ، وهـذا ما يسميه النحاة : النصب على نزع الخافض(١٥) . والملاحظ أن افعال القسم الثاني لا تقـل كثيرا عن افعال القسم الاول .

وقـد رتبنا الافعال في القسمين ترتيبا هجائيا مراعين فيذلك تسهيل عملية استخراجها ومعرفتها. واشرنا في الهوامش الى المراجع التي استقينا منها تلك الافعال . فان كان هناك نص على تعدّي الفعل ولزومه اشرنا الى موضع النص ابتداءا ، وان كان هناك تصريح بتعدي الفعل ولزومه في الاستعمال . من غير نص عليه قلنا : (انظر ذلك في ـ ـ) واشرنا الى مصـدر ذلك .

وقـد قمنا بهـذا العمل آملين ان نكون قد قدّمنا للغتنا شيئا من حبنا لها وقدّمنا لمحبّيها والمهتمين بها بعض خصائصها ، راجين المولى القدير ان يكون هذا العمل نافعا ، وهو الموفق لما فيه الخير

(١٣) انظر مادة (غلص) .

(١٤) انظر مادة (غصص) .

(١٥) ادخلنا في هذا النوع الافعال التي تتعدى الى مفعول واحد وتتعدى الى مفعولين بعد حذف حرف الجر .

القسم الاول

ما يلزم ويتعدى بنفسه من الافعال

ـ الهمزة ـ

● **تابّض** : تأبّضَ البعيرُ : تقبّضَ وشدّ رجليه ، وتأبّضه غيرُه : شدّه بالإباض[1] .

● **اتى** : أتى الأمرُ ، وأتيتُه[2] .

فمن اللازم قوله تعالى : ولا يُفلحُ الساحرُ حيث أتى[3] .

ومن المتعدّي قول الراجز :

وحاجةٍ كنتُ على صُماتِها
أتيتُها وحدي من مأتاتِها[4]

● **اجَرَ** : أجِرَتِ اليدُ : جُبِرت على عَثْم[5] ، وأجَرَها الله : جَبَرَها على عَثْم ، وآجَرْتُها أنا أيضاً[6] .

● **اخَّرَ** : أخَّرَ : تأخَّر ، وأخَّرتُه أنا[7] .

فمن اللازم ما ورد في حديث عُمر (رض) من أنّ النبيّ (ص) قال له : « أخِّرْ عنّي يا عُمرُ »[8] أي تأخَّرْ في بعض تفسيراته[9] .

● **آرَسَ** : أرَّسَ : صار أريساً : أي أكّاراً[10] ، وأرَّسَه : جعله أريساً[11] .

● **آرَكَ** : أرَكَتِ الإبلُ : رعت الأراكَ ، وأركتُها أنا : رعيتُها الأراكَ[12] .

---

(١) القاموس المحيط والتاج وانظر الصحاح واللسان . والاباض : حبل يشد به البعير .
(٢) المصباح المنير والتاج وانظر الصحاح واللسان .
(٣) سورة طه ٦٩ .
(٤) الصحاح « أتي » .
(٥) العثم : البرء من غير استواء ، او مشش كهيئة الورم فيه اود ، والأود : الاعوجاج . انظر الصحاح واللسان والتاج « اجر » .
(٦) التاج وانظر الصحاح واللسان .
(٧) القاموس المحيط والتاج وانظر اللسان .
(٨) اللسان والتاج « اخر » .
(٩) اللسان والتاج « اخر » .
(١٠) وفي لغة اريسا . والأكار : المستخدم في فلاحة الارض وزرعها . انظر التاج « ارس » .
(١١) انظر القاموس المحيط والتاج .
(١٢) انظر القاموس المحيط والتاج .

● أزّ : أزّت القِدرُ : اشتدّ غليانُها ، وأزّ فلانٌ القِدرَ : ألهبَ النار تحتها لتغلي[١٣].

● أزِقَ : أزِقْتُه : ضيّقتُه ، فأزِقَ هو : أي ضاق[١٤] .

● ألبّ : ألبَّ الإبلَ : جمعها وساقها ، وألبّتْ هي : اجتمعت وانساقت[١٥] .

ومن اللازم قول الشاعر :

ألم تعلمي أنّ الأحاديث في غدٍ وبعدَ غدٍ يألِبنَ ألبَ الطرائدِ[١٦]

● ألتّ : ألتَه مالَه ، وألتَه حقَّه : نقَصَه ، وألتَ الشيءُ : نقص[١٧] .

● آلف : آلفوا : صاروا ألفاً ، وآلفتُهم : كمّلتُهم ألفاً[١٨] .

● آلّ : آلَ الدُّهنُ وغيرُه : خَثُر ، وأألتُه أنا خثّرته[١٩] .

● أوى : أوى الرجلُ الى منزله ، وأويتُه أنا : أي آويتُه[٢٠] .

فمن اللازم قوله تعالى : « سآوي الى جبل يعصمُني من الماء[٢١]».

ومن المتعدّي قول النبي (ص) في حديث بيعة الأنصار : « على أن تأوُوني وتنصرُوني »[٢٢] ، وقوله (ص) أيضاً : « لا قطْعَ في ثَمَرٍ حتى يأويه الجَرينُ »[٢٣] أي يضمّه البيدرُ ويجمعُه . وفي حديث آخر : « لا يأوي الضالّةَ الاّ ضالٌّ »[٢٤] ، ومن ذلك قول أعرابيّ فصيح من بني نُمير كان استُرعِيَ إبلاً جُرْباً : « ألا أينَ آوي هذه الإبلَ المُوَقّسة »[٢٥] .

---

(١٣) انظر اللسان والتاج .
(١٤) التاج .
(١٥) انظر اللسان والتاج .
(١٦) اللسان والتاج (الب) .
(١٧) المصباح المنير والتاج .
(١٨) انظر الصحاح واللسان والقاموس المحيط.
(١٩) القاموس المحيط والتاج وانظر اللسان .
(٢٠) اللسان والمصباح المنير والتاج وانظر الصحاح ومختاره .
(٢١) سورة هود ٤٣ .
(٢٢) جاء في اللسان والتاج مادة « اوى » نقلا عن تهذيب الازهري : « يقال أوى » وآوى » بمعنى واحد ؛ والمقصور منهما لازم ومتعد . والحديث من التاج نقلا عن الازهري ، واورده في اللسان « تؤوني » ويظهر أن الروايتين صحيحتان .
(٢٣-٢٤-٢٥) اللسان والتاج مادة « اوي » نقلا عن تهذيب الأزهري .

ـ البـاء ـ

● بَتّ : بَتَّه : قطعه ، فَبَتَّ : انقطع[٢٦] .

● ابَتّ : أبَتَّه : قطعه ، فأبَتَّ : انقطع[٢٧] .

تقول بتَّ طلاقَها أو أبتَّ ،وطلاقٌ باتٌّ ومُبِتٌّ[٢٨] .

● بَجَسَ : بَجَسْتُ الماءَ : فجّرته ، وبَجَسَ الماءُ بنفسه : تفجّرَ[٢٩] .

● بَخَقَ : بَخَقَتْ عينُه : عارت أشدَّ العَوَر ، وبَخَقَها هو : أي عوّرها[٣٠] .

● بَدَرَ : بَدَرَ الى الشيء : عَجِلَ ، وبَدَرَه الأمرُ : أعجله[٣١]

● بَرَدَ : بَرَدَ الشيءُ ، وبَرَدَه غيرُه : جعله بارداً[٣٢] .

● بَرَّ : بَرَّ حَجُّه : قُبِل ، وبَرَّ اللهُ حجَّه : قبله[٣٣] .

● بَرْطَمَ : بَرْطَمَ : انتفخَ غضباً ، وبَرْطَمه : أغضبه[٣٤] .

ومن اللازم قول الشاعر :

مُبَرْطِمٌ برطمةَ الغضبانِ بشفةٍ ليست على أسنانِ[٣٥]

● بَضَعَ : بَضَعَ هو : بانَ ، وبَضَعْتُه : بيّنته[٣٦] .

● ابقَلَ : أبقَلَ النبتُ : طَلَع ، وأبقله الله أطْلَعه[٣٧] . وأبقَلَ وجهُ الغلام : خرج شعره، وأبقله الله أخرجه[٣٨] .

---

(٢٦) في المصباح المنير نقلا عن الازهري في التهذيب ، وفي التاج نقلا عن تهذيب الاسماء واللغات للنووي ، وانظر اللسان ايضا .

(٢٧) المصادر السابقة .

(٢٨) المصباح المنير مادة « بتت » نقلا عن الأزهري في التهذيب .

(٢٩) الصحاح ومختاره واللسان والتاج .

(٣٠) انظر اللسان والقاموس والتاج .

(٣١) انظر اللسان والتاج .

(٣٢) المصباح المنير وانظر اللسان والتاج .

(٣٣) انظر اللسان والتاج .

(٣٤) القاموس والتاج .

(٣٥) التاج مادة « برطم » .

(٣٦) التاج وانظر القاموس .

(٣٧) انظر اللسان .

(٣٨) انظر اللسان والتاج .

● بَلَتَ : بَلَتَ الشيءَ : قطعه ، وبَلَتَ الشيءُ : انقطع[39] .

● ابلى : أبلى : حَلَفَ ، وأبلى الرجلَ : أحلفه[40] .

● باءَ : باء اليه : رَجَعَ ، وبُؤْتُه : أرجعته[41] .

ومن اللازم قوله تعالى : « وباءوا بغضب من الله »[42] : أي رجعوا .

أمّا المتعدّي فقد جاء في اللسان والتاج[43] : أنّه قليل وأنّ الفعل بؤته ــ متعدياً ــ منقول عن الكسائي .

● بانَ : بانَ الأمرُ : اتّضح ، وبنته : أوضَحتُه[44] .

واللازم منه معروف مشهور كقولك : بانت الحقيقة ، أي ظهرت واتّضحت .

أمّا المتعدّي فهو ما حكاه الفارسيّ عن أبي زيد :

كأنّ عَيْنَيَّ وقــد بــانوني غربانُ فوق جــدول مجنون[45]

● أبانَ : أبان الأمرُ : ظهر واتّضح ، وأبنته : أظهرته وأوضحته[46] .

والمتعدّي منه مشهور معروف كقولك : أبنتُ الأمرَ : أظهرته .

أمّا شاهد اللزوم فهو قول عمر بن أبي ربيعة :

لو دَبَّ ذرٌّ فوق ضاحي جلدِهــا لأبانَ من آثارهِن حــدور[47]

● بَيَّنَ : بيَّنَ الأمرُ : ظهرَ ، وبَيَّنته : أظهرته[48] .

والمتعدّي معروف كقولك : بيّنتُ الأمرَ : أظهرته وأوضحته .

وشاهد اللزوم المثل : « قد بَيَّنَ الصبحُ لذي عينين »[49] : أي تبيّنَ .

---

(39) انظر القاموس المحيط والتاج .
(40) القاموس المحيط والتاج .
(41) انظر اللسان والتاج .
(42) البقرة ٦١ وآل عمران ١١٢ .
(43) مادة « بوا » .
(44) انظر القاموس والتاج .
(45) التاج مادة « بين » .
(46) الصحاح ومختاره واللسان والقاموس والتاج .
(47) الصحاح واللسان والتاج مادة « بين » .
(48) انظر القاموس والتاج .
(49) الصحاح واللسان والتاج مادة « بين » .

• تبيَّنَ : تبيّن الأمرُ : ظهر ، وتبيّنته : عرفته[٥٠] .

وشاهد لزومه قوله تعالى : «قد تبيّنَ الرشدُ من الغَيِّ »[٥١]. وقوله تعالى: « من بعدِ ما تبيّنَ لهم الحقّ »[٥٢] .

وشاهد التعدية قوله تعالى : « فلمّا خرّ تبيّنتِ الجنّ أنْ لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثوا في العذاب المُهين »[٥٣] .

• استبان : استبان الأمرُ : وضح ، واستبنته : عرفته[٥٤] .

وشاهد لزومه قوله تعالى: «ولذلك نفصّلُ الآياتِ ولتستبينَ سبيلُ المجرمين»[٥٥].

وشاهد تعديته قراءة قسم من القرّاء « ولِتستبينَ سبيلَ المجرمين » فنصبوا (سبيل) على أساس أن المعنى : ولِتستبينَ أنت يا محمدُ سبيل المجرمين[٥٦] .

ـ التاء ـ

• تعِسَ : تعِسَ إذا عثرَ وانكبّ لوجهه وتعِسه الله »[٥٨] . وفيه لغة أخرى بفتح العين . جاء في التاج : « إذا خاطبتَ بالدعاء قلتَ تعَسْتَ كمنع .. »[٥٩] . وفي مكان آخر منه : « نقل الصاغاني عن أبي عبيد : تعَسَه الله فهو متعوس »[٦٠] . وجاء في المصباح المنير[٦١] : « تعَسَ من باب نَفَعَ وتَعَسَه الله بالفتح وأتعسه » وأشار الى أنّ الكسر لغة فيه[٦٢] .

---

(٥٠) الصحاح ومختاره واللسان والقاموس والتاج .

(٥١) البقرة ٢٥٦ .

(٥٢) البقرة ١٠٩ .

(٥٣) سبأ ١٤ .

(٥٤) الصحاح ومختاره واللسان والقاموس والتاج .

(٥٥) الانعام ٥٥ .

(٥٦) اللسان والتاج مادة « بين » .

(٥٧) بفتح العين وكسرها .

(٥٨) انظر اللسان والقاموس والتاج .

(٥٩) التاج « تعس » .

(٦٠) التاج « تعس » .

(٦١) مادة « تعس » .

(٦٢) المصدر نفسه .

• **ثأثأ** : ثَأْثَأَ الابلَ : أرواها وعَطّشها وقيل : سقاها حتى يذهب عطشُها ولم يُرْوِها . وثأثأتِ الابلُ : عطِشتْ ورويتْ أو شربت فلم ترْوَ[٦٣] . فمن الإرواء قول الراجز :

إنّكَ لن تثـــأثىءَ النّهـــالى بمثل أن تُدارِكَ السِّجالا[٦٤]

• **ثبَرَ** : ثبَرَ : هلك ، وثبَرَه الله : أهلكه[٦٥] .

• **ثجّ** : ثجّ الماءَ : أساله فثجّ الماءُ ، أي سال[٦٦] .

وجاء في مختار الصحاح[٦٧] : « ثجّ الماءَ والدّمَ : سيّله وبابه ردّ ، والثّجّ أيضاً سيلان دماء الهَدْي ، وهو لازم ، تقول منه : ثجّ الدمُ يثِجّ بالكسرِ » .

• **ثرا** : ثرا اللهُ القومَ : كثّرهم ، وثرا القومُ : كثُروا[٦٨] .

• **اثمرَ** : جاء في تاج العروس[٦٩] : « أثمَرَ الرجلُ كثُر ماله . قال الشهاب في شفاء الغليل : أثمرَ يكون لازماً وهو المشهور الوارد في الكتاب العزيز ولم يتعرّض أكثر أهل اللغة لغيره .

وورد متعدّياً كما في قول الأزهري في تهذيبه : يثمرُ ثمراً فيه حموضةٌ . وهكذا استعمله كثير من الفصحاء كقول ابن المعتز :

وغرسٍ من الأحباب غيّبَ في الثرى فأسقته أجفاني بسيحٍ وقاطرِ
فأثمرَ همّاً لا يبيدُ وحسرةً لقلبي يجنيها بأيدي الخواطرِ

وقال ابن نباتة السعدي :

وتثمرُ حاجةَ الآمال نجحاً إذا ما كان فيها ذا احتيالِ

---

(٦٣) اللسان والتاج .
(٦٤) الصحاح واللسان والتاج « ثأثأ » .
(٦٥) المصباح المنير وانظر اللسان والتاج .
(٦٦) مختار الصحاح والمصباح المنير وانظراللسان والتاج ايضاً .
(٦٧) مادة « ثجج » .
(٦٨) انظر الصحاح واللسان والتاج .
(٦٩) مادة « ثمر » .

وقال محمد بن أشرف وهو من أئمة اللغة :

كأنما الأغصان لما علا فروعَها قطرُ الندى نثرا
ولاحت الشمس عليها ضحى زَبَرْجَدٌ قد أثمر الدرّا

وقال ابن الرومي :

سيثمرُ لي ما أثمرَ الطَّلعَ حائطُ

الى غير ذلك مما لا يُحصى » . ونقل الزَّبيدي[٧٠] عن شيخه ابن الطيِّب قوله : « وهكذا استعمله الشيخ عبدالقاهر في دلائل الاعجاز والسكاكي في المفتاح ، ولمـّا لم يره كذلك شرّاحه ، قال الشارح : استعمل الاثمار متعدياً بنفسه في مواضع من هذا الكتاب فلعلّه ضمّنه معنى الافادة » .

وتعليقنا على ما سبق أنّ الفعل « أثمرَ » لم يُعرف متعدّياً في النصوص المنقولة من عصور الاستشهاد اللغوي . لذلك يُعدّ استعماله كذلك توليداً أو تطوّراً مقبولاً ما دام القائلون به من الفصحاء وأئمة اللغة .

- **ثمغَ** : ثَمَغَ فلانٌ البياضَ بالسواد : خلطهما ، وثَمَغَ البياضُ والسوادُ : اختلطا[٧١] .
- **اثوى** : أثوى : أقام ، وأثويتُه بالمكان : ألزمتُه الثَّواء فيه[٧٢] .

ومن اللازم قول الأعشى :

أثوى وقَصَّر ليلَه ليُزَوِّدا فمضتْ وأخلف من قُتَيلةَ موعدا[٧٣]

ـ الجيم ـ

- **جَالَ** : جَالَ الصوفَ : جمعه ، وجَالَ الصوفُ : إذا أجتمع[٧٤] .
- **جَبَرَ** : جبرتُ العظمَ : أصلحتُه ، وجَبَرَ العظمُ نفسُه[٧٥] .

---

(٧٠) التاج مادة « ثمر » .
(٧١) اللسان والتاج .
(٧٢) الصحاح ومختاره واللسان والمصباح المنيروالتاج .
(٧٣) اللسان والتاج « ثوي » .
(٧٤) القاموس المحيط والتاج .
(٧٥) الصحاح واللسان والمصباح المنير والتاج .

وقد جمع العجّاج بين المتعدّي واللازم بقوله :

قد جَبَرَ الدِّينَ الالهُ فَجَبَر[٧٦]

ومن اللازم قول كُشاجم :

كيفَ لا تجبُرُ أعضـاءَ فتى كلّ عُضوٍ منه فيه ألفُ قلب[٧٧]

● **اجثألَّ** : اجثألَّ الطائرُ : نفشَ ريشَه ، واجثألَّ الريشُ نفسُه : انتفش[٧٨] .

قال الزَّبيدي[٧٩] في هذا الفعل : « إنّه لازم متعدٍ » . ولم أجد غيره من أصحاب المعجمات قال ذلك . والملاحظ على الفعل من حيث اللفظ انه فعلٌ لازم . ويؤكد هذا انه جاء على صيغة « افعلَلَّ » وهذه الصيغة لا تردُ أفعالها الا لازمة . فلا أدري أهو سهو من الزَّبيدي أم أنّه قصد التعدية المعنوية في الفعل الأول لأن « اجثألَّ الطائرُ » بمعنى « نفش ريشه » .

● **جَحَرَ** : جَحَرَ الضبُّ : دخل جُحْرَه ، وجحر فلانٌ الضبَّ : أدخله فيه[٨٠] .

● **استجَدَّ** : استجدَّ الأمرُ : حَدَثَ ، واستجدَّه غيرُه : أحدثه[٨١] .

● **جَعْجَعَ** : جَعْجَعَ البعيرُ : برك واستناخ ، وجَعْجَعَه : إذا أناخه وأبركه[٨٢] .

ومن اللازم قول رؤبة :

حتى أنَخْنـا عِـزَّه فجَعجعـا
تملأُ من عرضِ البلاد الأوسعا
توسـطَ الأرض وما تكعكعا[٨٣]

● **جَفَلَ** : جَفَلَ الظليمُ : أسرع في مشيه ، وجَفَلَتِ الريحُ الظَّليم : حرّكته وطردته[٨٤] .

---

(٧٦) الصحاح واللسان والتاج « جبر » .
(٧٧) ديوان كشاجم ٦٤ .
(٧٨) التاج .
(٧٩) التاج مادة (جثل) .
(٨٠) انظر القاموس المحيط والتاج .
(٨١) المصباح المنير .
(٨٢) انظر القاموس المحيط والتاج .
(٨٣) التاج « جعجع » .
(٨٤) انظر القاموس المحيط والتاج . والظليم الذكر من النعام .

● اجفَلَ : أجفَلَ الظليمُ : ذهب في الارض وأسرع ،وأجفله هو[٨٥] .

● جَلَبَ : جَلَبَ الشيءَ : ساقه ، وجَلَبَ هو : انساق[٨٦] .

● جلْجَلَ : جلجَلَ الشيء : تحرّك فكان لحركته صوتٌ ، وجلجَلَه غيرُه بيده : حرّكه حتى يكون لحركته صوت[٨٧] .

● جَلا : ١ ــ جلا القومُ عن الموضعِ : تفرّقوا ، وجلاهم الجَدْبُ : فرّقهم[٨٨] .

قال ابن الاعرابي : جلاه عن وطنه فجلا أي : طرده فذهب[٨٩] .

٢ ــ جلا الخبرُ للناس : وضَح وانكشف فهو جلِيٌ ، وجلوتُه : اوضحتُه[٩٠].

● اجلى : أجلى القومُ عن الموضع : تفرّقوا ، وأجلاهم الجدبُ : فرّقهم . وأجلَوا عن البلدِ ، وأجلاهم غيرُهم[٩١] .

● اجَمَّ : أجمَّ الفرسُ : تُرِكَ فلم يُركَبْ فعفا من تعبه وذهب إعياؤه ، وأجمّه هو : إذا لم يَركبْه[٩٢] .

● جَهِدَ : جَهِدَ في الأمرِ : طلب حتى بلغ غايةً في الطلب ، وجهِدَه الأمرُ : إذا بلَغ منه المشقّة[٩٣] .

● جَهَرَ : جَهَرَ الكلامُ : عَلَنَ وبدا ، وجَهَرَ فلانٌ الكلامَ : أعلنه[٩٤] .

● اجهى : أجْهَتِ الطريقُ : انكشفت ووضحت ، وأجهَتُها أنا : كشفتُها . وأجهى فلانٌ البيت : كشفه[٩٥] .

---

(٨٥) انظر اللسان والقاموس المحيط والتاج .
(٨٦) انظر القاموس المحيط والتاج .
(٨٧) انظر اللسان .
(٨٨) الصحاح والمختار واللسان والمصباح المنير والمزهر ٢٧٣/٢ والتاج .
(٨٩) اللسان والتاج (جلو) .
(٩٠) المصباح المنير .
(٩١) الصحاح والمختار واللسان والمصباح المنير والمزهر ٢٧٣/٢ والتاج .
(٩٢) انظر اللسان والقاموس المحيط والتاج .
(٩٣) انظر المصباح المنير .
(٩٤) انظر اللسان .
(٩٥) انظر اللسان والتاج .

فهرس مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

١٩٥٣ - ١٩٧٨

القسم الاول

اعـــداد

عبد الزهرة هامل غياض

مكتبة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد

تمهيـــد

لعـل « مجلة معهـد الـدراسات الاسلاميـة بمدريد » في طليعة الدوريات التي تصدر في ديار الغرب باللغة العربية . فهي مجلة نفيسة ، تعنى بنشر الموضوعات التاريخية والبلدانية والحضارية ، ذات الصلة الوثقى بالتراث العربي العظيم ، ولا سيما ما اتصل منها ببلاد الاندلس واقطار المغرب العربي .

لا ريب في ان هذه المجلة، من امهات المجلات الحرية بكل ثناء وتقدير ، لما تضمنته مجلداتها من مباحث رصينة ، كتبها جماعة من افـذاذ العلماء والباحثين من عرب ومستشرقين . ويتسم معظم تلك الابحاث بالاصالة والدقة العلميتين .

وهي الى هذا كله ، تمتاز بحسن الاخراج وجودة الطباعة ، واتقان التنسيق .

صدر مجلدها الاول في مدينة مدريد باسبانية، سنة ١٩٥٣ ، وصدر مجلدها الاخير ، أو بالاحرى آخر ماوقفنا عليه من مجلداتها ، سنة ١٩٧٨ ورقمه التسلسلي التاسع عشر . فقوام مجموعة هذه المجلة حتى اليوم ، تسعة عشر مجلداً ضخماً ، انطوت على مباحث جليلة، هي في جملتها مصادر اساسية لا يستغني عنها الباحث في مثل هـذه الموضوعات .

لقد رايت الحاجة ملحة الى ان يكون لهـذه المجلة الحافلة بالفوائد ، « فهرس هجائي » دقيق ، يعـرب موضوعاتهـا مـن الباحثين والمتتبعـين والدارسـين ؛ فصنفت هـذا الفهـرس الذي يسعدني ان اضعه اليوم بين ايدي القراء ، على صفحات مجلة « المورد » الغراء .

جعلت اسماء الكتبة والمؤلفين اساساً يقوم عليه هذا الفهرس . ورتبت تلك الاسماء على السياق الهجائي بالنسبة الى « شهرة » كل كاتب . فمحمد عبدالله عنان جعلته في مادة « عنان » واوردته بهذه الصورة :

عنان (محمد عبدالله) :

وهكذا الامر في بقية الاسماء . وذكرت بعـد ذلك ، ما له من بحوث منشورة في هذه المجلة ، مرتبة على السياق الهجائي لعنواناتها ، والحقت بعنوان المقال، رقم مجلد المجلة، وسنة صدوره، والصفحة التي يبتدى بها المقال ، والتي ينتهي فيها وذلك وفقا لما يقتضيه في الفهرسة الحديث.

وهناك مقالات ونبذ كثيرة جاءت في مجموعة هذه المجلة غفلا من اسماء كاتبيها ؛ وانما نشرت على انها من « قلم التحـرير » غير معزوة الى كاتب بعينه . فرايت ان اوردها جميعاً في باب مستقـل يجده القارىء في آخر « فهرس المؤلفين » ،مرتبة على السياق الهجائي لعنواناتها .

لقد اتبعت المجلة ، ان تورد لجل مقالاتها « ترجمة » عربية أو « ملخصاً » لها . فنوّهنا بذلك في نهاية كل مادة من مواد هذا الفهرس .

ومن الله التوفيـق

* * *

١ ـ الونسو (مانويل الونسو) :

ابن سينا واثاره الاولى في العالم اللاتيني ترجمة تاج الدين ابو زيد ١ (١٩٥٣)
ص ٤٠ ـ ٦١

٢ ـ ابن الابار :

المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق ابراهيم الابياري ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠

٣ ـ ابن ابي اصيبعة :

عيون الانباء في طبقات الاطباء ، الباب الثالث عشر في اطباء افريقية والاندلس ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧

٤ ـ ابن بصال :

كتاب الفلاحة ، نشره وترجمه وعلق عليه خوسيه ماريا مياس ومحمد عزيمان ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٠

٥ ـ ابن حزم (الاندلسي) :

■ التقريب لحد المنطق والمدخل اليه بالالفاظ العامية والامثلة الفقهية لابي محمد علي بن حزم، تحقيق د. احسان عباس ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨

■ جمهرة انساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٢٧٣ ـ ٢٧٦

■ جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى ، تحقيق د. احسان عباس والدكتور ناصرالدين الاسد ٤ (١٩٥٦)
ص ١٨٣ ـ ١٨٩

٦ ـ ابن حيان (القرطبي) :

المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تحقيق د. عبدالرحمن علي الحجي ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩

٧ ـ ابن الخطيب (لسان الدين) :

■ اعمال الاعلام ، القسم الثالث الخاص بالمغرب، حققه ونشره بعنوان المغرب العربي في العصر الوسيط د . احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٣٥٩ ـ ٣٦١

■ تاريخ اسبانيا الاسلامية ، او كتاب اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ٤ (١٩٥٦)
ص ١٩٦ ـ ٢٠١

٨ ـ ابن خلدون (عبدالرحمن) :

المقدمة من كتاب العبر في اخبار العجم والعرب والبربر ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠

٩ ـ ابن خياط (خليفة) :

تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٦٠ ـ ٢٦٢

١٠ ـ ابن سعيد (علي بن موسى) :

المغرب في حلى المغرب ج٢ ، تحقيق د. شوقي ضيف ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤

١١ ـ ابن شريفة (محمد) :

ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي حياته وآثاره ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٢١٦ ـ ٢٢١

١٢ ـ ابن صاحب الصلاة (عبدالملك) :

تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق عبدالهادي التازي ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤

١٣ ـ ابن عذارى (المراكشي) :

البيان في المغرب في اختصار ملوك الاندلس والمغرب ، تحقيق امبروسي هوسي ميراندة مع مساهمة محمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ـ١٩٦٢)
ص ٢٧٦ ـ ٢٨٠

١٤ ـ ابن قنفذ (ابو العباس احمد) :

انس الفقير وعز الحقير ، تحقيق محمد الفاسي وادولف فور ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠

١٥ ـ ابو زيد (تاج الدين) :

■ ابن سينا وآثاره الاولى في العالم اللاتيني انظر : الونسو مانويل الونسو) .

■ ثلاثة نقود لاتينية عربية من مجموعة جان دوموروجان انظر (جبيو ؟)

١٦ ـ ابو العلاء (صاعد بن الحسن) :

التشويق الطبي ، تحقيق اوتوشبيس ١٤ (١٩٦٧ ـ ٩٦٨) ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥

١٧ ـ ابو علي (الكتامي) :

نظم الجمان ج ٦ ، تحقيق د . محمود علي مكي ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ـ١٩٦٤)
ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦

١٨ ـ ابـو عمرو (الداني) :

المحكم في نقط المصحف ، تحقيق د. عزة حسن ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦

١٩ ـ انتـار (كامون) :

■ الاساليب الفنية المستمرة في الفن الاسلامي ٣ (١٩٥٥) ص ١٨٣ ـ ١٨٧

■ بضع موضوعات جمالية اسلامية (١٩٥٤) ص ٢١١ ـ ٢١٣

٢٠ ـ احسـان عباس :

■ اخبار وتراجم اندلسية مستخرجة من معجم السفر لابي طاهر السلفي (٥٧٦ هـ) ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨) ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤

■ تاريخ الادب الاندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) ص ٢٩٠ ـ ٢٩٤

■ ديوان ابن حمديس ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) ص ٢٨٠ ـ ٢٨٣

■ ديوان الرصافي البلنسي ابي عبدالله محمد بن غالب ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦

٢١ ـ احمد (مختار عمر) :

ابن منظور اللغوي ، العالم الحائر بين مصر وليبيا وتونس ١٨ (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥) ص ١٥٥ ـ ١٦٤

٢٢ ـ اربري (آرثر . ج) :

القرآن مفسرا ٦ (١٩٥٨) ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠

٢٣ ـ ارسـطو :

سر الاسرار المنسوب الى ارسطو ، الترجمةالاسبانية التي قام بها يهوذا الحريزي في القرن الثالث عشر ، نشرها لويد كاستن ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧) ص ٢٨٤

٢٤ ـ اربيـه :

ملابس المسلمين في اسبانيا منذ سقوط غرناطة حتى اخراج الموريسكيين ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) ص ٢٦٩ ـ ٢٧١

٢٥ ـ الاسد (ناصر الدين) :

مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) ص ٣٦٦ ـ ٣٧٠

٢٦ ـ الافغـاني (سـعيد) :

هل في النحو مذهب اندلسي ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ـ١٩٦٠) ص ٧٥ ـ ٨٤

٢٧ ـ الـين (و . ا) :

محاولة لاعادة تحقيق سفارة الغزال الى بلاد المجوس (الفايكنج) ، نقد وتعريف محمود علي مكـي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢

٢٨ ـ انـو عبدالعليم :

ابن ماجد الملاح ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) ص ٢٢٩ ـ ٢٣٤

٢٩ ـ الاوسي (حكمت علي) :

القواعد الاساسية للغة الاسبانية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥

٣٠ ـ اومان (جيوفاني) :

نبذة ببليوغرافية عن الجغرافي العربي الادريسي ومؤلفاته ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) ص ٣٩٢ ـ ٣٩٤

٣١ ـ الاهواني (عبدالعزيز) :

■ امثال العامة في الاندلس ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) ص ٤١١ ـ ٤١٣

■ ثلاثة رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ٣ (١٩٥٥) ص ١٧٠ ـ ١٧٢

■ الزجل في الاندلس ، نقد وتعريف حسين مؤنس (١٩٥٧) ص ٢٧٩

■ سيرة الاستاذ جوذر ، تحقيق د. محمد كامل حسين والدكتور محمد عبدالهادي شعيرة ٣ (١٩٥٥) ١٧٣ ـ ١٧٤

■ صلة الصلة لابن الزبير ، الذيل والتكملة لابن عبدالملك ٣ (١٩٥٥) ص ١ ـ ١٦

■ طبقات النحويين واللغويين لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ٣ (١٩٥٥) ص ١٦٥ ـ ١٦٨

■ على هامش ديوان ابن قزمان ١٧ (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣) ص ١٨٣ ـ ٢٤٥ ، ١٨ (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥) ص ١٧ ـ ٧٧ ، ١٩ (١٩٧٦ـ١٩٧٨) ص ٢١ ـ ٦٠

■ مجلة معهد المخطوطات العربية ٣ (١٩٥٥)
ص ١٧٤ — ١٧٥

■ مقدمتان في علم القران ، تحقيق ارثر جفري ٣ (١٩٥٥) ص ١٦٨ — ١٧٠

٣٢ — باربر (نيفيل) :

■ اثر القوة البحرية على تاريخ اسبانيا الاسلامية ١٤ (١٩٦٧ — ١٩٦٨)
ص ٢١٦ — ٢١٨

■ اخبار الاندلس في المدونات الانجليزية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ١٣ (١٩٦٥ — ١٩٦٦)
ص ٢٧٣ — ٢٧٦

٣٣ — بارت (رودى) :

الرمز في العقيدة الاسلامية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ — ٨ (١٩٥٩ — ١٩٦٠)
ص ٢٧٦

٣٤ — باروخا (خوليو كارو) :

الموريسكيون في اراضي مملكة غرناطة نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٤ — ٢٨٥

٣٥ — بالرويين (محمد) :

نزعة التجديد عند ابن رشد ١٤ (١٩٦٧ — ١٩٦٨)
ص ٨٧ — ٩٧

٣٦ — بدوي (عبدالرحمن) :

■ ابن سبعين والذكر ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٥٤

■ كتاب الاحاطة لابي محمد عبدالحق بن سبعين المرسي الاندلسي ٦ (١٩٥٨)
ص ١١ — ٣٤

■ رسائل جديدة لابن باجة ١٥ (١٩٧٠)
ص ٧ — ٥٤

■ رسالة النصيحة او (النورية) لابن سبعين ٤ (١٩٥٦)
ص ١ — ٤٥

■ عهد ابن سبعين لتلاميذه ٥ (١٩٥٧)
ص ١ — ١٠٣

■ مؤلفات ابن خلدون ١٣ (١٩٦٥ — ١٩٦٦)
ص ١٨٣ — ١٨٦

■ وحدة الوجود المطلقة عند ابن سبعين ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٣٥

٣٧ — بروفنسال (ليفي) :

■ نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ترجمة حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ١٩٣ — ٢٢٤

■ نظرات في الدراسات الخاصة بالغرب الاسلامي ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٠٤ — ٢٠٦

٣٨ — البلاذري (احمد بن يحيى) :

انساب الاشراف للبلاذري ح ١ تحقيق د . محمد حميدالله ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ — ٨ (١٩٥٩ — ١٩٦٠)
ص ٢٦٢ — ٢٦٤

٣٩ — بلاشير (ريجيس . ج) :

منتخبات من اثار الجغرافيين في القرون الوسطى ٦ (١٩٥٨) ص ٢٨٥ — ٢٨٦

٤٠ — بلباس (ليو بولدو توريس) :

■ الابنية الاسبانية الاسلامية ، ترجمة علية ابراهيم العناني ١ (١٩٥٣)
ص ٩٧ — ١٢٨

■ مظاهر المدن الاسبانية الاسلامية ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٠٦ — ٢١١

٤١ — بيدال (رامون منندث) :

■ اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام ترجمة لطفي عبدالبديع ١ (١٩٥٣)
ص ١ — ٢٤

■ اسبانيا وادخال العلوم العربية الى الغرب ٣ (١٩٥٥)
ص ١٨٧ — ١٩١

■ انشودة رولان والمذهب التقليدي الحديث ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٠١ — ٣٠٤

٤٢ — بيرلمو (خوان دى) :

ترجمة اسبانية للقران الكريم ، نقد وتعريف محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ — ١٩٧٨)
ص ١٢٤ — ١٤٠

٤٣ — بيرنيط (خوان) :

هل هناك اصل عربي اسباني لفن الخرائط البحرية، ترجمة مختار العبادي ١ (١٩٥٣)
ص ٧١ — ٩٦

٤٤ — بيرس (هنري) :

مراجع اللهجات العربية الجزائرية والصحراوية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ — ٨ (١٩٥٩-١٩٦٠)
ص ٢٩٠

٤٥ — التازي (عبدالهادي) :

■ اعراس فاس ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ — ٨ (١٩٥٩ — ١٩٦٠)
ص ٤٠٠ — ٤٠١

■ نظرية جديدة في تاريخ بناء جامعة القرويين ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٧٧ — ٢٨١

٤٦ ـ التجاني (ابو محمد عبدالله بن محمد) :

رحلة التجاني ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٦(١٩٥٨)
ص ٢٦٤ ـ ٢٩٥

٤٧ ـ التطواني (محمد بن تاويت) :

دولة الرستميين اصحاب تاهرت ٥ (١٩٥٧)
ص ١٠٥ ـ ١٢٨

٤٨ ـ التفتازاني (ابو الوفاء الغنيمي) :

■ ابن عباد الرندي ، حياته ومؤلفاته ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٢١ ـ ٢٥٨

■ ابن عطاءالله السكندري ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٤٠١ ـ ٤٠٢

٤٩ ـ تنج (داوود س . م) :

الحضارة الاسلامية في الصين ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٢٨ ـ ٣٢٤

٥٠ ـ تيراس (ميشل) :

اعمال التحصينات الاموية في قشتالة ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢١٨ ـ ٢١٩

٥١ ـ جانسين .

كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات للهروي ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٧٥

٥٢ ـ الجربي (محمد ابو راس) :

مؤنس الاحبة في اخبار جربة ، تحقيق علية محمد المرزوقي ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩

٥٣ ـ جمال محمد محرز :

■ قطعتان من السجاد المملوكي بمتحف غرناطة الاثري ٢ (١٩٥٤)
ص ١٧٤ ـ ١٩٠

■ مصحف مذهب من العصر الغرناطي بخزانة كتب الفقيه محمد بن داوود بتطوان ٢
ص ١٤١ ـ ١٤٧

٥٤ ـ الجلالي (محمد بن خضر الرومي) :

كتاب التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة ٣ (١٩٥٥)
ص ١٤٩ ـ ١٥٧

٥٥ ـ جواشون (ا . م) :

قصة حي بن يقظان مع تعليقات من كتابات ابن سينا ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥

٥٦ ـ جودة (عبدالرحمن هلال) :

■ رسالة في الحدود للقاضي ابي الوليد الباجي ٢ (١٩٥٤)
ص ١ ـ ٣٧

■ مقدمة لوصية القاضي ابي الوليد الباجي لولديه ٣ (١٩٥٥)
ص ١٧ ـ ٤٦

٥٧ ـ جيبسو (أ .) :

■ تاريخ الدول الاسلامية في فارس من سنة ١٧٢٢ الى سنة ١٧٩٧ ـ ٧٥ سنة من الاضطرابات في ايران ٧ـ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٥٠٢ ـ ٥٠٤

■ ثلاثة نقود لاتينية عربية من مجموعة جاك دومورجان ، ترجمة تاج الدين ابو زيد ١ (١٩٥٣)
ص ٦٢ ـ ٧٠

■ النقود اللاتينية العربية ٢ (١٩٥٥)
ص ١٩٤ ـ ١٩٦

٥٨ ـ حسن حسني عبدالوهاب :

■ الامام المازري ٤ (١٩٥٦)
ص ١٨٩ ـ ١٩٦

■ ورقات مكتبة المنار ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٤٤ ـ ٢٤٧

٥٩ ـ حشيمة (كمين) :

لويس شيخو وكتابه المسيحية والادب المسيحي في بلاد العرب قبل الاسلام ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٠٥ ـ ٢٢٠

٦٠ ـ الحكيم (توفيق) :

شهرزاد بالاسبانية ، نقد وتعريف محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ١٥٤ ـ ١٥٦

٦١ ـ خايمة (موليت) :

المخطوط اللاتيني العربي حول تقسيم جزيرة ميورقة) (١٩٥٦)
ص ٢١٧ ـ ٢١٩

٦٢ ـ خايمة لويس (بروس) :

ملاحظات حول سكة النقود الاسلامية بالاندلس ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦

٦٣ ـ خشتو (بوسك بيلا) :

الوثائق العربية المحفوظة في كاندرالية وشقة ٥ (١٩٥٧)
ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦

٦٤ ـ خفاجه (محمد صقر) :

بحث الدراسات اليونانية والرومانية في مصر الحديثة ٣ (١٩٥٥)
ص ١٥٦ ـ ١٦٤

٦٥ ـ خلدون نويهض :

بلاد العرب ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨

٦٦ ـ خينث (خوان بيرنيت) :

■ القاب اسبانية ذات اصل عربي في شرق الاندلس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٤٢٣ ـ ٤٢٥

■ الاندلسيون المسلمون ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤١٧ ـ ٤٢٠

■ الحضارة الاسبانية ـ العربية في الشرق والغرب ، نقد وتعريف محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨) ص ١٥٧ ـ ١٥٩

■ نص جديد هام عن تاريخ الاندلس حتى القرن الحادي عشر ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧

٦٧ ـ دفونتس (البروجالس) :

اثر اللغة العربية في النثر الاسباني في العصور الوسطى فيما يتصل بتركيب الجمل والاسلوب نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨

٦٨ ـ الدوري (عبدالعزيز) :

■ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ـ١٩٦٠)
ص ٣٧٣ ـ ٣٧٥

■ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٥٨ ـ ٢٦٨

٦٩ ـ رامون (لل) :

كتاب الرد على اليهود ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٣

٧٠ ـ رودلف (هانز سنجر) :

قائمة باسماء الاماكن والبلدان الواردة في كتاب الصلة لابن بشكوال (١٩٧٠)
ص ١٥١ ـ ١٩٦

٧١ ـ روزنتال (فرانتس) :

مقدمة ابن خلدون ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠

٧٢ ـ رونارت (ستيفن وناندي) :

دائرة معارف موجزة للحضارة العربية ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧

٧٣ ـ رويث (خوسية باسكث) :

■ تقويم غرناطي من القرن الخامس عشر مجهول المؤلف ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣

■ رواية عربية غربية لقصة السبعة الذين ناموا في الكهف في افيسوس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ـ١٩٦٠)
ص ٥٠٠ ـ ٥٠٢

٧٤ ـ الريس (ضياءالدين) :

عبدالملك بن مروان موحد الدولة العربية ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩

٧٥ ـ الزاوي (طاهر احمد) :

اعلام ليبيا ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤

٧٦ ـ زبيس (سليمان مصطفى) :

القباب التونسية في تطورها ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦

٧٧ ـ زكي (عبدالرحمن) :

■ انواع السيوف الاسلامية ومميزاتها عند المؤلفين العرب (١٩٥٦)
ص ٤٧ ـ ٥٨

■ تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقية الغربية ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ـ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧

■ حركة الاصلاح الديني في غرب افريقيا ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) ص ١٢٩ ـ ١٦١

■ السيف في صدر الاسلام ٢ (١٩٥٤)
ص ١٥٠ ـ ١٥٨

■ العلم والعلماء في دولة المماليك البحرية المصرية دراسة المعادن والاحجار الكريمة ١٥ (١٩٧٠)
ص ١١٣ ـ ١٣٢

■ مراجع في تاريخ العرب الحربي ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ١٦٥ ـ ١٩٨

■ النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الاسلامية ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٢٧ ـ ٢٤٠

٧٨ ـ زمامة (عبدالقادر) :

المؤرخ الاديب ، ابو الوليد ابن الاحمر ١٥، (١٩٧٤ـ ١٩٧٥) ص ١٦٥ ـ ٢٠١ ، ١٩، (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨) ص ٨٣ ـ ١٣٠

٧٩ ـ زيدان (عبدالرحمن) :

العز والصولة في معالم نظم الدولة ، نشره عبدالوهاب بن منصور ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٢٩٧ ـ ٤٠٠

٨٠ ـ سالم (عبدالعزيز) :

■ اضواء على مشكلة تاريخ بناء اسوار اشبيلية في العصر الاسلامي ١٥، (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥)
ص ١٢١ ـ ١٥٣

■ اضواء على مشكلة تاريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة ١٥ (١٩٧٠) ص ٥٥ ـ ٩٣

■ بعض المصطلحات للعمارة الاندلسية المغربية ٥ (١٩٥٧) ص ٢٤١ ـ ٢٥٣

■ صور من المجتمع الاندلسي في عصر الخلافة الاموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ٦١ ـ ٨١

٨١ ـ سانشيث (البورنوث كلاوديو) :

تحقيقات عن كتاب فتح الاندلس ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤٨٩ ـ ٤٩١

٨٢ ـ ستتكفتش (جاروسلاف) :

■ تأملات في المسرح العربي الحديث ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٢٥ ـ ٣٢٩

■ مشاكل النثر العربي الحديث وظواهره ١١ـ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٣٠ ٤ـ ٤٣٠

٨٣ ـ شاخت (يوسف) :

مقدمة لدراسة الشريعة الاسلامية ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٢٢١ ـ ٢٢٥

٨٤ ـ شارل (بللا) :

ديوان ابن شهيد الاندلسي ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٣٦١ ـ ٣٦٤

٨٥ ـ شبولر (برتولد) :

جداول فستنفلد ومالر المقارنة لحساب التواريخ الهجرية والميلادية مع جداول لتحويل التواريخ المسيحية الشرقية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
٢٧٨ ـ ٢٨٠

٨٦ ـ شبيس (اوتو) :

■ الاثار الثقافية الشرقية في الحضارة الغربية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٣٧٧

■ طب الاسنان عند العرب ١٤ (١٩٦٧ـ١٩٦٨)
ص ١٩٩ ـ ٢٢٠

٨٧ ـ شتايجر (آرنالد) :

■ التاثيرات والمصادر العربية في مؤلفات الفونسو العاشر الحكيم ٣ (١٩٥٥)
ص ١٩٧ ـ ١٩٩

■ الدور الروحي للاسلام في تاريخ اسبانيا في العصور الوسطى ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٢٢ ـ ٣٢٨

٨٨ ـ شرجي (عبدالرحمن) :

الايديولوجية الاسلامية ، الابعاد النفسية التربوية ، نقد وتعريف محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ١٥٦ ـ ١٦٠

٨٩ ـ شكري فيصل :

روح القدس في محاسبة النفس لمحيي الدين بن عربي ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٨ ـ ٨٦

٩٠ ـ الشيال (جمال الدين) :

■ الجبرتي ومدرسته ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥

■ مجموعة الوثائق الفاطمية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦

■ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب لابن واصل ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢

٩١ ـ الشيبي (كامل مصطفى) :

الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨

٩٢ ـ الصابىء (ابو الحسين هلال بن المحسّن) :

رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠

٩٣ ـ الصوفي (خالد) :

بنو جهور اصحاب قرطبة ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٢٦

٩٤ ـ ضيف (شوقي) :

العصر الاسلامي ح ٢ من تاريخ الادب العربي ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ١٩٠ ـ ١٩٤

٩٥ ـ الطالبي (محمد) :

الامارة الاغلبية ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦

٩٦ ـ الطرطوشي (ابو بكر) :

الحوادث والبدع ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٣٨٩ ـ ٣٩٣

٩٧ ـ الطنجي (محمد بن تاويت) :

جذوة المقتبس للحميدي ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٧٥ ـ ٢٨٣

٩٨ ـ طوقان (قدري حافظ) :

النزعة العلمية في التراث العربي ٣ (١٩٥٥)
ص ٧٧ ـ ٩٦

٩٩ ـ عادل يعقوب :

قراءات من العربية المعاصرة ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٢٨٠ ـ ٢٨٣

١٠٠ ـ العبادي (احمد مختار) :

■ الاعياد في مملكة غرناطة ١٥ (١٩٧٠)
ص ١٢٣ ـ ١٤٩

■ تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان ١٢ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٧ ـ ١٢٦

■ سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ٥ (١٩٥٧)
ص ١٩٣ ـ ٢٢٦

■ فترة مضطربة في تاريخ غرناطة ، كما يصفها شاهد عيان ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٤٣ ـ ٧٢

■ محمد الغني بالله ملك غرناطة ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) ص ٤٣٢ ـ ٤٤٤ ، ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) ص ٢٦٩ ، ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨) ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣

■ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس ، مجموعة من رسائله ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨

■ مقامة العيد لابي عبدالله الازدي ٢ (١٩٥٤)
ص ١٥٩ ـ ١٧٣

■ وصف الاندلس لمحمد بن علي بن الشباط المصري التوزري ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٩٩ ـ ١٦٣

■ هل هناك اصل عربي اسباني لفن الخرائط البحرية انظر (بيرنيط خوان)

١٠١ ـ عبدالعزيز بن عبدالله :

■ العربية لغة العلم والحضارة ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٥٥ ـ ٢٦٢

■ المرأة المراكشية في الحقل الفكري ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٥٩ ـ ٢٧٦

١٠٢ ـ العذري (احمد بن عمر) :

نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ، والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق د. عبدالعزيز الاهواني ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) ص ٢١٠ ـ ٢١٢

١٠٢ العسوس (احمد بن حسين) :

النهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ح ١ نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠

١٠٤ عفيف تسرك :

مملكة سرقسطة في القرن الحادي عشر الميلادي ، نقد وتعريف محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ١٤٥ ـ ١٤٨

١٠٥ ـ العلي (صالح احمد) :

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠

١٦٠ ـ عنان (محمد عبدالله) :

■ اربع وثائق دبلوماسية من امراء المغرب الاوسط الى الامبراطور شارلكان في اوائل القرن السادس عشر ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ٥ ـ ٢٠

■ اكتشاف السفر الخامس من المقتبس لابن حيان ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ١٢٧ ـ ١٣٧

■ ثلاث رسائل دبلوماسية من البلاط المغربي الى البلاط الاسباني في اوائل القرن السابع عشر الميلادي ١٨ (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥)
ص ٥ ـ ١٦

■ رواية مصر عن المغرب والاندلس في اواخر القرن التاسع الهجري ١٥ (١٩٧٠)
ص ٩٥ ـ ١١١

■ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠

- من تراث الادب الاندلسي الموريسكي ١٦ (١٩٧١) ص ١١ - ١٦
- وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ٢ (١٩٥٤) ص ٢٨ - ٤٥

١٠٧ - العناني (عليلة ابراهيم) :

- الابنية الاسبانية الاسلامية انظر (بلباس ليوبولدو توريس)
- ثلاثة منسوجات من الطراز الغرناطي ٢(١٩٥٤) ص ٢١٣

١٠٨ - غربال (محمد شفيق) :

- تكون مصر ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨) ص ٢١٣ - ٢١٤
- سير الآراء والحركات في تاريخ الاسلام ٦ (١٩٥٨) ص ٣٢١ - ٣٢٢

١٠٩ - غومس (غرسية اميليو) :

- كتاب الايام ومكانه في تاريخ النثر العربي ، ترجمة حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤) ص ٢٤٠ - ٢٥٢
- الخرجات المستعربية ويهود الاندلس ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧) ص ٢٨٨
- قصيدة سياسية لابن طفيل لم تنشر ، ترجمة احمد هيكل ١ (١٩٥٣) ص ٢٥ - ٣٢
- منتخبات من شعر ابن الزقاق ٤ (١٩٥٦) ص ٢٠٤ - ٢٠٦
- يوميات نائب في الارياف ومكانه في الادب المصري المعاصر ، ترجمة محمود علي مكي ٤ (١٩٥٦) ص ١٥٣ - ١٦٧ و ٢٠٦ - ٢٠٨

١١٠ - الفارابي (ابو نصر) :

فصول المدني، تحقيق د . م . دنلوب ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠) ص ٣٦٤ - ٣٦٦

١١١ - فارس (نبيه امين) :

دراسات عربية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠) ص ٣٧١ - ٣٧٢

١١٢ - الفاسي (محمد)

- ابن البناء العددي المركشي ٦ (١٩٥٨) ص ١ - ٩
- الرحالة الشهير ابو عبدالله محمد العبدري ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢) ص ١ - ١٤

١١٣ - فتحي عثمان :

الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨) ص ٢٥٠ - ٢٥٢

١١٤ - فرانشيسكو :

مقالات شرقية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠) ص ٢٨٦ - ٢٨٨

١١٥ - فردريك :

قراءات من العربية المعاصرة ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٣ - ١٩٦٤) ص ٢٨٠ - ٢٨٣

١١٦ - فرناندو (بلدراما مرتينث) :

كناش الحائك او مجموعة اغاني مغربية من القرن الثاني عشر الهجري ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦) ص ١٩٤ - ١٩٧

١١٧ - فرناندو (دي لاجرنخا سانتا ماريا) :

- بيع جارية في السوق كما ورد في مقامة لابي البقاء الرندي ١٤ (١٩٦٥ - ١٩٦٦) ص ٢٧٢ - ٢٧٣
- تحفة المغترب ببلاد المغرب ١٧ (١٩٧٢-١٩٧٣) ص ٥ - ١٨١
- النثر في كتاب العذرى ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦) ص ٢١٢ - ٢١٣

١١٨ - فون جرونباوم (غوستاف) :

شعراء عباسيون ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠) ص ٢٨٨ - ٢٨٩

١١٩ - الفهري (محمد البشير) :

قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢) ص ٤٠١ - ٤٠٣

١٢٠ - فير (هانز) :

قاموس للغة الكتابة العربية المعاصرة ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠) ص ٢٦٧ - ٢٦٩

١٢١ - فيشر (سيدني) :

تاريخ الشرق الاوسط ٦ (١٩٥٨) ص ٢٨٧ - ٢٨٩

١٢٢ - فيشر (كارول) :

الشرق الاوسط في ازمة ، عرض تاريخي مدعم بالوثائق ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠) ص ٢٨٠ - ٢٨٦

١٢٣ ـ فييت (جاستون) :

مقدمة للادب العربي ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٢٢٦ ـ ٢٢٩

١٢٤ ـ قدورة (يوسف) :

قراءات من العربية المعاصرة ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٢٨٠ ـ ٢٨٣

١٢٥ ـ كانتارينو (بيثينتي) :

بين الرهبان والمسلمين ، الصراع الذي تمخضت عنه اسبانيا، نقد وتعريف محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ١٢١ ـ ١٢٤

١٢٦ ـ كانتون (سالتشت) :

الرحالة الاسبانيون في المشرق ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٣٧ ـ ٢٤٢

١٢٧ ـ كانتيرا (فرانثسكوا) :

الاغنية المستعربية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٦

١٢٨ ـ كراتشكوفسكي (اغناطيوس) :

تاريخ الادب الجغرافي العربي القسم الاول ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٣٦٧ ـ ٣٦٩

١٢٩ ـ كرينسكي (فريد) :

الشرق الاوسط في ازمة عرض تاريخي مدعم بالوثائق نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٢٨٠ ـ ٢٨٦

١٣٠ ـ كلابازو (خوستيل) :

مكتبة الاسكوريال ومخطوطاتها العربية ، نقد وتعريف محمد عيسى ، ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ١٥٢ ـ ١٥٤

١٣١ ـ كنون (عبدالله) :

- ■ ابو البقاء الرندي وكتابه الوافي في نظم القوافي ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٠٥ ـ ٢٢٠
- ■ التيسير في صناعة التفسير للشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ١ ـ ٤٢
- ■ ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ١ (١٩٥٣)
ص ٣٣ ـ ٣٩
- ■ مالك بن انس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٦٣ ـ ٢٧٤

١٣٢ ـ كونتش (باول) :

اثر التراث العربي في اللغة الالمانية ١٦ ، ١٩٧١)
ص ٣٥ ـ ٤٧

١٣٣ ـ كير (هـ . مالكولم) :

الاصلاح الاسلامي ، النظريات السياسية والقانونية لمحمد عبده ورشيد رضا ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ١٩٧ ـ ٢٠٣

١٣٤ ـ لاكرا (خوسية ماريا) :

وثائق لدراسة حركة الاسترداد والاسكان في وادي ابره ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٠٠ ـ ٣٠١

١٣٥ ـ لطفي عبدالبديع :

- ■ اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام انظر (بيدال رامون منندث)
- ■ التروبا دور غرسية فرننذث ، البيئة الاسلامية في حياته وشعره ٢ (١٩٥٤)
ص ٨٥ ـ ٩٢

١٣٦ ـ لندس (ا . داو) :

المدارس الامريكية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣-١٩٦٤)
ص ٣٨٥ ـ ٣٨٨

١٣٧ ـ لوثينا (سيكودي) :

- ■ الحملات الشمالية على غرناطة خلال سنة (١٤٣١) ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٤٧ ـ ٢٥١
- ■ الحموديون ملوك مالقة والجزيرة الخضراء ٤ (١٩٥٦)
ص ٢١٦ ـ ٢١٧
- ■ غزوات المنصور ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٢١٤ ـ ٢١٥
- ■ قصور المعتصم بن صمادح ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٢١٥ ـ ٢١٦
- ■ وثائق عربية غرناطية تتعلق بهبات ٤ (١٩٥٧)
ص ٢١٥ ـ ٢١٦
- ■ وثائق عربية غرناطية لم تنشر ، نقله الى العربية ونشره بتوقيع م . ع . م . ٤ (١٩٥٦)
ص ١٦٩ ـ ١٨١
- ■ الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٨٥ ـ ١٠٨

١٣٨ ـ لومبا (خواكين) :

جمال الطبيعة عند ابن حزم ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢

١٣٩ ـ لويس (انطونيو دي بيجا) :

هملكار باركا مؤسس اسبانيا ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٥٠٥

١٤٠ ـ ماجد (عبدالمنعم) :

■ اصل حفلات الفاطميين في مصر ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٥٣ ـ ٢٥٧

■ مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤

١٤١ ـ مارتينث (نيقولا لوبث) :

اليهود المتنصرون في قشتالة والتحقيق في ايام ايزابلا الكاثوليكية نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦

١٤٢ ـ مايسو (دافيد جندالو) :

العرب اساتذة اليهود في اسبانيا في العصور الوسطى ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٢٧ ـ ٢٩

١٤٣ ـ محمد داود :

مختصر تاريخ تطوان ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧

١٤٤ ـ محمد عيسى :

■ كتب جديدة صدرت مؤخرا ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ١٦٠ ـ ١٦١

■ مجلة اوراق ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ١٦٢ ـ ١٦٣

١٤٥ ـ محمود قاسم :

اصول الرومانتيكية عند محيي الدين بن عربي ١٦ (١٩٧١)
ص ٢١ ـ ٣٤

١٤٦ ـ المدني (احمد توفيق) :

كتاب الجزائر ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٣٦٩ ـ ٣٧٢

١٤٧ ـ المراكشي (ابو عبدالله محمد) :

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق د. احسان عباس ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ١٨٧ ـ ١٩٠

١٤٨ ـ مصطفى عوض :

فن التوشيح ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤١٣ ـ ٤١٧

١٤٩ ـ مصطفى غازي :

■ ابن دحية في المغرب ١ (١٩٥٣)
ص ١٦١ ـ ١٧٤

■ ديوان ابن خفاجة ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٣٨٦ ـ ٣٨٩

١٥٠ ـ مصطفى الكوش :

وثائق لدراسة تاريخ المغرب ـ مراسلات مولاي الحسن الاول (القسم الاول) ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤٠٨ ـ ٤١١

١٥١ ـ المغربي (علي بن سعيد) :

بسط الارض في الطول والعرض ، تحقيق د . خوان برنيط خينيس ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٠٥ ـ ٣٠٧

١٥٢ ـ المكناسي (احمد) :

■ خريطة المغرب الاركيولوجية ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨

■ مدينة ليكسوس الاثرية ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) ص ٤٠٤ ـ ٤٠٦

■ وثائق لدراسة تاريخ المغرب ـ مراسلات مولاي الحسن الاول (القسم الاول) ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤٠٨ ـ ٤١١

١٥٣ ـ مكي (محمود علي) :

■ احكام السوق ليحيى بن عمر الاندلسي ٤ (١٩٥٦)
ص ٥٩ ـ ١٥١

■ التأثيرات الشرقية في الاندلس ومدى اثرها في تكوين الثقافة الاندلسية ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ـ١٩٦٢)
ص ٦٢ ـ ٤٩٩

■ التشيع في الاندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الاموية ٢ (١٩٥٤)
ص ٩٣ ـ ١٤٩

■ ثورة عبيدالله بن المهدي في مدريد ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣

■ دراسات عن التيارات الثقافية المشرقية في الاندلس واثرها في تكوينه الثقافي ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٤٢١ ـ ٤٢٣

■ مصر والمصادر الاولى للتاريخ الاندلسي ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٢٦ ـ ٢٣٢

■ وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ١٠٦ ـ ١٦٨

■ وثائق عربية غرناطية لم تنشر انظر (لوليسا سيكودي)

■ يوميات نائب في الارياف ومكانه في الادب المصري المعاصر انظر (غرسية اميليو غومس)

١٥٤ ـ مليلس (خوسية ماريا) :

علماء الفلاحة الاندلسيون ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٥١ ـ ٢٥٤

١٥٥ ـ المنجد (صلاح الدين) :

دمشق في نظر الاندلسيين ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٥ ـ ٦١

١٥٦ ـ المنوني (محمد) :

ظاهرة تعريبية في المغرب ايام السعديين ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٢٢٩ ـ ٢٥٨

١٥٧ ـ مؤنس (حسين) :

■ اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر لابي العباس احمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريشي ٥ (١٩٥٧)
ص ١٢٩ ـ ١٩١

■ الاشارات الجغرافية في كتابات ابن الخطيب ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٢٧٧ ـ ٣٢٨

■ الاصول المطبوعة التي تحييها مكتبة المثنى ببغداد ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٣٧٥ ـ ٣٧٨

■ كتاب الايام ومكانه في تاريخ النثر العربي انظر (غرسية اميليو غومس)

■ تصنيف العلوم كما يراه ابن حزم ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥

■ تعليق على نص عبيدالله ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٢٥ ـ ٢٣٩

■ التقسيم السياسي الاداري للاندلس ٥ (١٩٥٧)
ص ٣١٨ ـ ٣٢٦

■ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، بعد الادريسي ، الجغرافية وتطور التاريخ العالمي ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ١٤٣ ـ ٢٧٦

■ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، الشريف الادريسي قمة علم الجغرافية عند المسلمين ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٢٥٧ ـ ٣٧٢

■ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، معاصرو الادريسي ١١ ـ ١٢ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤)
ص ٧ ـ ١٤٢

■ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس، من البداية الى الحجاري ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ١٩٦ ـ ٢٥٦

■ الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة لابي الحسن علي بن يوسف الحكيم ٦ (١٩٥٨)
ص ٣٦ ـ ٢٠٤

■ رواية جديدة عن فتح الاندلس ، نقد وتعريف محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)
ص ١٤١ ـ ١٤٤

■ رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس ، دعوة الى ترديد النظر في الموضوع ١٨ (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥)
ص ٧٩ ـ ١٣٠

■ سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وايامهم في الاندلس ٢ (١٩٥٤)
ص ٥٥ ـ ٨٤

■ عبدالرحمن الناصر ودوره في تاريخ اسبانيا ٩ ـ ١٠ (١٩٦١ ـ ١٩٦٢)
ص ٤٩٩ ـ ٥٠١

■ عود الى المراجع العربية لتاريخ السيد ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩

■ مجلة البحث العلمي ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩

■ مجلة اللسان العربي ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨

■ المرابطون ـ موجز تاريخي ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢١٤ ـ ٣١٦

■ مستدرك على نص كتاب ضوابط دار السكة لابي الحسن علي بن يوسف الحكيم ١٤ (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)
ص ٢٣١ ـ ٢٤١

■ ندوة تعليم اللغة العربية لغير العرب ، المعقودة في دار معهد الدراسات الاسلامية في مدريد لسنة (١٩٥٦) ٧ ـ ٨ (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠)
ص ٣٤٧ ـ ٤٩٥

■ نص جديد عن فتح العرب للمغرب انظر (بروفنسال ليفي)

■ نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ٣ (١٩٥٥)
ص ٩٧ ـ ١٤٠

■ وصف جديد لقرطبة الاسلامية ١٣ (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦)
ص ١٦١ ـ ١٨١

حول ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد بديع شريف

طبع دار المعارف بمصر

١٩٧٧ ، ١٩٧٨

بقلم الدكتور

يونس أحمد السامرائي

جامعة بغداد ـ كلية الاداب

قسم اللغة العربية

القسـم الثاني

٢٧٩ ـ ص٣٦٥ بيت (٩) :

[اسألي ياشـر كتبي عني

لاينبيء ســائلا كخبير]

جاء الفعل (ينبيء) بتخفيف الباء ، ولا يستقيم الوزن ، والصواب : تشديده مع جزم الفعل .

٢٨٠ ـ ص٣٦٥ بيت (١٠) :

[أن فيهـا احتراقا ومحـوا

من بكا عيني وحر زفـيري]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ولا يستقيم على المديد وهو وزن الابيات التي فيها هذا البيت الا بجعل (فيها) (فيهن) .

٢٨١ ـ ص٣٦٧ بيت (٧) :

[خذ من حياتي ياشوقي وما ترك البـ

ـين المشط فما في الحيا وطـر]

كذا جاء البيت وهو مختل الوزن .

٢٨٢ ـ ص٣٦٨ بيت (٩) :

[قتلت عينـاك نفســا كريمـة

فلا تامني ان مت سطوة ثايـر]

كذا جاء الصدر ، وهو مختل الوزن ، ولعل الاصل: (لقد قتلت) . والجدير بالذكر ان هذا البيت مع اخر زيادة من السفينة ، وقد سقط منهما الوزن .

٢٨٣ ـ ص٣٦٩ القصيدة (٢٥٦) تتألف من (٣٣) بيتا وهي زيادة من السفينة .

يقول المحقق في الهامش : (وردت هذه القصيدة العصماء في السفينة وفيها وصف وغزل فاثرت وضعها في باب الغزل . ولم اعثر عليها في مخطوط اخر . ولغتها واسلوبها لايدعان شكا في انها لابن المعتز كما جاءت في رواية المخطوطة) .

يبدو ان المحقق استند الى شيئين في نسبة هذه القصيدة الى ابن المعتز : (اللغة والاسلوب) ، اضافة الى كونها وردت في السفينة .

ويخيل الينا ان هذه القصيدة ، او على الاصح ما انطوت عليه من تشبيهات ساذجة وصناعة بديعية متكلفة ، وتكرار في بعض ابياتها ، واستعمالات لايمكن ان تصدر عن ابن المعتز ما يدفع نسبتها عن ابن المعتز ، وكنا نود ان يحاول المحقق على الاقل ان يبدي بعض التحفظ في قبولها بله نعتها (بالعصماء) .

وسنجتزي ببعض الابيات التي تدل على ما

اشرنا اليه وسنرقم هذه الابيات بحسب تسلسلها في القصيدة :

٥ ــ وفي (التصابي) (للصبى) (صبابة)
وللهوى منا قلوب ونظر

٦ ــ لا (يخطر) الهم اذا ما (خطرت)
حوادث الدهر بنا مع من (خطر)

٧ ــ لله ذاك العيش والعمر الذي
(عاصرت) في ايامه (عصر) (العصر)

١٥ــ كانما البنفسج الغض حكى
(قرص) محب في الخدود قد ظهر

١٦ــ كانما اترجها وصايف
او مدنف (خلف) غرام وفكر

١٨ــ كانما السوسان في اختلاطه
(شيب على تلك الثياب قد نشر)

١٩ــ كانما ناعورة غنت لنا
(معدد) يبكي على الف هجر

٢٠ــ كانما الدولاب في ترجيعه
عصابة تتلو المزامير سحر

٢٣ــ كانما صوت قنانيها حكى
مقهقها يعجب من شيء نظر

٢٦ــ كانما (طاراتنا) اذ نقرت
(اجراس) اجمال تسير في السحر

٢٧ــ كانما المزمار في ترجيعه
عصابة في الفجر يتلون الزمر

٢٨ــ كانما الشيز حكى بحسنه
ضفادعا تسرح في ضوء القمر

٣٠ــ كانما البدر وقد لاح لنا
وجه امرىء من الغلاف قد ظهر

١ ــ ان ابن المعتز من اصحاب البديع ، ولكن هل في شعره شيء مما جاء في هذه الابيات الثلاثة الاولى (٥،٦،٧) من التكلف ، والسذاجة والثقل ؟ .

٢ ــ هل استعمال (قرص الخدود) من تعبيرات ابن المعتز ، وشعره في الغزل كثير فهل بمقدور المحقق ان ياتي (بمثال اخر) يدلل فيه على هذا القرص ؟ اكبر الظن ان هذا الاستعمال متاخر جدا عن عصر ابن المعتز والسفينة من القرن التاسع الهجري ، كما يقول المحقق .

٣ ــ المشبه به الاول في البيت (١٦) وهو (الوصائف) غير واضح ، فباي شيء يشبه الاترج الوصائف ؟ في اللون ، او في الشكل ، او في شيء اخر ؟ .

ثم ما المقصود بالمشبه به الثاني (المدنف خلف غرام وفكر) ؟ فهل اصل (خلف) (حلف) بالحاء المهملة ؟ .

٤ ــ المشبه به في البيت (١٧) (السوسان في اختلاطه) غير واضح الدلالة ، فباي شيء مختلط ؟ والمشبه به لايمكن ان يصدر عن شاعر اشتهر بهذا اللون من التعبير ؟ فما وجه الشبه بين السوسان المختلط بالشيب المنثور على تلك الثياب ؟ فكيف ينثر الشيب ؛ وما هي تلك الثياب التي نثر عليها هذا الشيب ؟

٥ ــ والمشبه به في البيت (١٩) وهو (المعدد) هل هو من تعبيرات ابن المعتز واسلوبه ، ومن ثم فما الذي يشبه به صوت (ناعورة) ؟

٦ ــ البيتان (٢٠،٢٧) هل بينهما اختلاف في اللفظ او المعنى ؟ وهل مثل هذا التكرار مما يؤلف لدى ابن المعتز ؟ والغريب ان المحقق لم يشر الى هذا التكرار في الهامش ؟

٧ ــ والبيت (٢٣) هل فيه مما عرف عن ابن المعتز من التشبيه الدقيق في مثل هذا النوع من التشبيه ؟ وهل ينبغي على من يعجب بشيء ان يقهقه ؟

لقد استعمل ابن المعتز (القهقهة) في شعره اكثر من مرة ولكنها لم تكن مثل التي جاءت هنا هزيلة ضعيفة قلقة ، كقوله :

وكأن ابريق المدامة بيننا
ظبي على شرف اناف مدلها
لما استحثته السقاة حنى لها
فبكى على قدح النديم وقهقها
(٢٩٨١–٢٩٩)

وقوله :

فيا ساقيي اليوم عودا كامسنا
بابريق راح في الكؤوس مقهقه

٨ ــ والبيت (٢٦) اشتمل على لفظة (طاراتنا) ، وانها اذا نقرت اشبهت (اجراس اجمال تسير في السحر) . لقد نعت المحقق وهو على حق ابن المعتز بانه كان يجتبي من الالفاظ احسنها وافصحها وارقها ، وقل ما استعمل اللفظ النازل او العامي الرذيل

المبتذل . ومن الجدير بالذكر ان صاحب شفاء الغليل يشير في ص ١٨١ الى الطار هذا ويشرحه بقوله : (الطار : بمعنى الدف عامية رذلة مبتذلة) . ثم نود ان نسأل المحقق : هل بامكانه تزويدنا بنموذج اخر من شعر ابن المعتز ، وهو كثير في ثنايا ديوانه يدل على ان الجمال التي كانت تسير في السحر ذات اجراس ؟

٩ ــ وهذا التشبيه العجيب في البيت (٢٨) وهو تشبيه الشيز (وهو كما جاء في الالفاظ الفارسية المعربة ١٠٥ ــ ١٠٦ خشب اسود تعمل منه القصاع والامشاط وقيل هو الساسم وقيل خشب الجوز وقيل الابنوس) بالضفادع ، والى هنا فوجه الشبه على بعده ونفاره مقبول ، ولكن الشيء الذي لايمكن ان يتفوه به ابن المعتز او يتورط بقوله هو ان هذه الضفادع (تسرح) في ضوء القمر ؟

١٠ ــ واخيرا البيت الاخير وهو تشبيه القمر بوجه امرىء من (الغلاف) قد ظهر ، فاي غلاف هذا الذي ظهر منه وجه امرىء ؟

اكبر الظن ان هذه القصيدة منحولة على ابن المعتز ، وان بعضهم قد وقف على ارجوزته في ذم الصبوح التي تناولت في جملة ما تناولته وصف بستان وما اشتمل عليه من صنوف الزهور والاشجار ، وقد اكثر فيها الشاعر من التشبيهات الجميلة الرائعة التي لاتجد فيها على كثرتها تشبيها ضعيفا ، او عبارة مهلهلة او كلمة مبتذلة قلقة وبالامكان الرجوع اليها في (٢-٣-٠ وما بعدها) .

٢٨٤ ــ ص ٣٦٩ بيت (١٢) :

[كانما نرجسها نواظر
ترفو وقد ارقها طول السهر]

(ترفو) كذا بالفاء ولعلها بالنون .

٢٨٥ ــ ص ٣٧١ بيت (١٠) :

[وما تناسيت الا وجدت له
من داخل القلب صوارا يصوره]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ، ولعل الاصل : (وما تناسيت الا قد وجدت له) .

والجدير بالذكر ان البيت من جملة اربعة ابيات زيادة من السفينة وقد سقط الوزن

٢٨٦ ــ ص ٣٧٢ المقطوعة (٢٦٣) :

[القلب مشغول بجارية
ملكت اسيرا غير منتصر
اشكو اليها طول جفوتها
فتقول طرفك عارم النظر
هويتك لم اكتسب لذة
بعار ولم اعد شأ والنظر
فلما رايتك خوافة
تشوبين صفو الهوى بالكدر
. . . . . .]

١ ــ جعلت ابيات هذه المقطوعة ذات الرقم (٢٦٣) سبعة ابيات . وقد سقط وزنها على عادة المحقق في الزيادات .

٢ ــ علق المحقق على هذه المقطوعة بابياتها السبعة بقوله : (وردت في كب ، كوبنهاجن ، ولم اعثر عليها في مخطوط اخر) .

٣ ــ الصحيح ان هذه المقطوعة مقطوعتان تتألف الاولى منهما من البيتين :

(القلب ... واشكو ...) ووزنها من (الكامل) . وتتألف الثانية من خمسة ابيات ابتداء من البيت المبدوء بكلمة (هويتك) الخ . . ووزنها من (المتقارب) . وقد مر بنا مثل هذا التخليط ايضا .

٤ ــ (خوافة) كذا ولعل الاصل (خوانة) بالنون .

٢٨٧ ــ ص ٣٧٣ المقطوعة (٢٦٨) والتي اولها :

[وغنت فاغنت عن المطربين
وارتج بالطرب المجلس]

١ ــ كررت في باب الوصف ص ١٨٨ ولم يفطن الى ذلك المحقق .

٢ ــ جاءت (وارتج) بهمزة وصل وتشديد الجيم في الموضعين ، ولا يستقيم مع هذا الضبط ، والصواب : ان الهمزة للقطع وتخفيف الجيم ارتج : هاج ، من ارتج البحر .

٢٨٨ ــ ص ٣٧٤ بيت (١) :

[ياساهرا ماذاق طعم الكرى
من طول احزان ووسواس]

ضبطت (وسواس) بضم الواو ، والصواب : كسرها .

٢٩٩ ــ ص٢٧٤ بيت (٣) :

[لاتلحني فقلبي عنك في شـغل

وانظر الى ما جنت عيني على راسي]

١ ــ كذا الصدر وهو مختل الوزن ، والصحيح (لا تحلني ان قلبي عنك في شغل) . والغريب ان في الهامش رواية يستقيم بها الوزن وهي (ان مثلي) لم يلتفت اليها المحقق .

٣٠٠ ــ ص٢٧٤ بيت (٧) :

[الا قولوا لمـن يعـدو

الى ميدان اسناس]

(اسناس) كذا والصواب : (اشناس) بالشين ، (وهو قائد تركي مشهور خدم المأمون والمعتصم وكان احد قواده في فتح عمورية ، وكانت له دار معروفة في سامراء ، توفي سنة ٢٣٠هـ (انظر : الطبري الفهارس) .

٣٠١ ــ ص٢٧٤ بيت (٨) :

[ايا احسن مـن يرمي

بسهم وجـه برجاس]

ضبطت (برجاس) بكسر الـراء ، والصـواب : (ضمها) . وانظر مثل هذا ايضا : [٤٥٦/٢ بيت (٣)] .

٣٠٢ ــ ص ٢٧٤ بيت (٩) :

[ويـا باكـورة الورد

يا را مشـــنت الاسي]

١ ــ كذا جاء العجز ، والصواب : (ويارامشنة الاسي) .

الرامشنة : كما قال الصولي اس لها راسان (شفاء الغليل ١٣٤)

٣٠٣ ــ ص٢٧٥ بيت (١) :

[ايا ويلي وعولي من مكاسك

. . . .]

ضبطت (مكاسك) بفتح الميم والصواب : كسرها ؛ وانظر كذلك ص٤٨٩ بيت (١٣)

٣٠٤ ــ ص٢٧٥ بيت (٦) :

[نعم ونعم قد عثرت خذ بيـدي

ولاتـدعنـي ولا تقـل تعسـا]

كذا الصدر وهو مختل الوزن والصواب : (نعم نعم قد عثرت ...) والعجيب ان المحقق قـد اغفل رواية يستقيم بها الوزن ذكرها في الهامش وهي : (اواه ياسيدي فخذ) ، واصر على رواية كوبنهاجن .

٣٠٥ ــ ص٢٧٦ بيت (١) :

[دع نديمـا قد نای وحبس

واسقني واشرب عقارا كالقبس]

كذا جاء الصدر ، وهو مختل الوزن ، والصـواب : (قد تناءى) . والعجيب ان المحقق اختار رواية كوبنهاجن التي اختل بها الوزن ، واهمل الرواية الصحيحة وهي :

(تناءى) التي روتها خمس نسخ كما في الهـامش (ص ل م ط د) . والحق اننا لانعرف السبب الذي دعا المحقق الى هذا الاصرار العجيب في روايـة كوبنهاجن المغلوطة واهمال سواها مما يستقيم بها الوزن . وهو عمل لايمكن ان يعتد به في منهج تحقيق النصوص الذي يهدف الى الافادة من روايات النسـخ الصحيحة .

٣٠٦ ــ ص ٢٧٦ بيت (٥) :

[اني اذا لم اجـد يوما من ارسـله

وضاق بي منتهى امري وملتمسي]

وردت (ارسله) بهمزة قطع ولا يستقيم معهـا الوزن ، والصواب ان تكون للوصل . والجدير بالذكر ان عجز البيت الثاني من هذه المقطوعة جاء على هذا النحـو :

(ياليت شعري هل ياتيكم نفـس) ، وضـبطت (نفس) بضم السين وهو لاينسجم مع قافية البيت الاول ، والصواب (نفسي) .

٣٠٧ ــ ص٢٧٦ بيت (٧) :

[يعثر باسمي فان هم فطنـوا

ازاد عليهـا مخافـة تعسـا]

(ازاد) كذا ولا يستقيم معها الوزن ، والصـواب (زاد) . والجدير بالذكر ان هذا البيت من جملة ثلاثة ابيات زيادة من كوبنهاجن وقد سقط وزنها .

٣٠٨ ــ ص٢٧٨ البيتان (٣-٤) :

[قمـــر في الظاهر غضـب

ـــان في الباطـن راضـي

ومتـى ينتصـف الظلـــوم

والظلـــم قـــاضي]

كذا جاء البيتان وهما مختلا الوزن . وهما مـن جملة اربعة ابيات زيادة من السفينة وقد سـقط وزنهـا .

(الظلم) كذا ولعلها (الظالم) ليستقيم الـوزن .

وواضح ان الواو والميم من (المظلوم) في البيت الثاني ينبغي ان يقعا في العجز .

٣٠٩ ـ ص ٣٧٩ المقطوعة (٢٨٦) :

[خطوات الهوى اصابت فؤادي

فرمـاني للحظـه تعريض

ومريض الجفون من غير سقم

لهف نفسي على الصحيح المريض]

جاءت قافية البيت الاول مضمومة وقافية الثاني مكسورة ، ولم يشر المحقق الى هذا الاقواء .

٣١٠ ـ ص ٣٨٢ بيت (٧) :

[عليك بذا وذا واقطع وواصل

وفارق كل من كنت معه]

كذا جاء العجز وهو مختل الوزن ، والغريب ان في الهامش رواية يستقيم بها الوزن وهي (قد كنت معه) لم يتخذها المحقق على العادة .

٣١١ ـ ص ٣٨٤ هامش (٨) : [ورد بيتان بعد هذين البيتين عليهما ظاهرة الانتحال فآثرت بقاءهما في المخطوط لتفاهة المعنى] .

الجدير بالذكر ان البيتين اللذين اسقطهما من الديوان كانا في الغزل بالمذكر ، ومعلوم ان في شعر الرجل شيئا من هذاالغزل ،وكانالاجدر بالمحقق ان يسقط هذا الغزل ايضا . ثم هل يحق لمن يتصدى لعملية التحقيق ان يسقط ما يشاء ويثبت ما يريد ، وهل تفاهة المعنى دليل على الانتحال ، وهل يفترض في الشاعران يكون في مستوى واحد من السمو والمتانة والابداع ؛ اليس في شعر اغلب الشعراء ان لم يكن كلهم شيء من التفاهة والاسفاف في اللفظ والمعنى ؟ فهل يمكن على هذا الاساس ان تسقط اشعارهم هذه ؟ .

ان اهم ما ينبغي على المحقق ان يضعه نصب عينيه في هذه العملية هو التقيد بالنصوص واثباتها كما هي دون تغيير او تبديل او حذف او زيادة ، ويحضرني في هذا الصدد بعض اقوال من تصدوا لهذا العمل العلمي الدقيق . فقد جاء في مقدمة المصايد والمطارد قول المحقق : (ولم تخل مع هذا الجهد من بعض الهفوات ، اوالاغلاط فاضطررنا الى ان نقدمها كما هي دون ان نتصرف فيها او نحرف نصوصها فان هذا ليس من الامانة العلمية في شيء) ص١٤ .

وجاء في مقدمة كتاب الديارات قول المحقق : (بقي علينا ان نشير الى ان في متن الكتاب ، حكايات وتعابير والفاظ مدارها في الغالب على الجواري والتغزل بالرهبان والراهبات .

وكنا حين نمر بها ، بين ان نسقطها من الكتاب ، او ان نثبتها على ما وردت فيه ، وقد رأينا ان الابقاء عليها ضرورة تحتمها الامانة ، لان المنشور نص قديم لاسبيل الى التصرف به . فان غيرنا النص ابعدناه عن اصله . وقد رأينا غير واحد من الكتاب والادباء يذهب هذا المذهب في نشر المصنفات القديمة : منهم الدكتور زكي مبارك ... ومنهم صديقنا الاديب البحاثة الدكتور صلاحالدين المنجد ؛ قال في هذا الصدد ، وقد استطلعنا رأيه : (اما طي ما ورد في كتاب الديارات من (ادب مكشوف) فاعيذك أن تصغي الى من اشار بذلك عليك ؛ فشأن الكتاب يظهر في تلك الصورة الصادقة التي يقدمها لنا عن الحياة الاجتماعية في ايام العباسيين تلك الحياة التي كانت مزيجا من التقى والفجوروالهووالسرور والزهد والنسك والغنى والفقر والبذخ والجوع والفقر ، والتي كان فيها من الحرية والانطلاق في وصف احاسيس النفس ورغباتها وشهواتها الشيء الكثير ، لقد كانوا كذلك ، ولقد قالوا ذلك الشعر الذي يريد بعضهم طيه ، ولقد عاشوا تلك الحوادث التي وقعت لهم ...) ص١٦ .

٣١٢ ـ ص٣٨٥ المقطوعة (٣٠٩) التي تتألف من ستة ابيات والتي منها :

[يا من اقدمه على

كل الانام واصطفى

واراه من وجدي به

كالبدر او كالمكتفي

والمقطوعة (٣١٠) والتي تتألف من ستة ابيات ايضا وقد اشتملت على بيتين منسوبين لابن المعتز ولغيره وهما :

ميزت بين جماله وفعاله

فاذا الملاحة بالخيانة لاتفي

والله لا كلمته ولو انه

كالشمس او كالبدر اوكالمكتفي]

اقول :

١ ـ ان الملاحظة او الهامش الذي وضع للمقطوعة الاولى والذي تحدث فيه المحقق عن البيتين المنسوبين لابن المعتز وقصتهما كان ينبغي ان يكون للمقطوعة الثانية التي ورد البيتان بنصهما فيها .

٢ ـ اكبر الظن ان المقطوعتين ليستا من شعر ابن المعتز وانما هي لمتأخرين سمعوا بالبيتين وقصتهما فاحب بعضهم في الاولى ان يشير اشارة خفيفة الى البيتين وحاول اخر ان يضمن البيتين كما في المقطوعة الثانية .

٣ ـ ان هناك مصادر اقدم من مخطوطة كوبنهاجن جاء فيها البيتان او ثلاثة ابيات (في بعض الروايات) ولم تذكر شيئا اخر عنهما . منها الديارات للشابشتي وتحفة الامراء للصابي .

٤ ان المحقق نقل القصة والابيات من معجم الادباء وكان الجدير به ان يجعل المصدر الديارات او تحفة الامراء لانهما اقدم زمنا من معجم الادباء .

٥ ـ كان على المحقق ان يتحفظ على الاقل في نسبة المقطوعتين الى ابن المعتز ، ولكنه لم يفعل لسبب واحد مهم وخطير جدا وهو الثقة المتناهية في رواية كوبنهاجن او السفينة ، وهو امر لايقره منهج تحقيق النصوص ونشرها كما أشرنا .

٣١٣ ـ ص٣٨٧ بيت (٤) :

[وانت صب والدار جامعة
والعيش والرسل تختلف]

كذا جاء العجز مختل الوزن . وقد سقط منه كلمة .

٣١٤ ـ ص٣٨٩ البيتان (٢ ، ٣) :

[الموت من شره العينين مذاق
في عينيه عقرب ما ان لها راق
ليست لها نظرة الا واولها
عهد واخرها غدر بعشاق]

١ ـ (في عينيه) كذا ولايستقيم معها الوزن والصواب (في عينه) .

٢ ـ (لها كذا والمفروض ان تكون (له) لينسجم الضمير مع البيت الاول ، والغريب ان في الهامش رواية (له) لم يفطن اليها المحقق .

٣١٥ ـ ص٣٨٩ بيت (٥) :

[لج الفراق فويح من عشقا ......]

ضبطت (عشقا) بفتح الشين والصواب : كسرها .

٣١٦ ـ ص٣٩٢ بيت (٤) :

[يا نفس موتي بعدهم
كذا يكون الاشتياق]

كذا جاء العجز وهو مضطرب الوزن والصواب (فكذا يكون ...)

٣١٧ ـ ص ٣٩٥ بيت (٣) :

[الم تبك من بين الحبيب المفارق
وصوت غراب بالذي خفت وامق]

(وامق) كذا ولامعنى لها والصواب (ناعق) .

٣١٨ ـ ص ٣٩٥ بيت (٤) :

[الا ان بالقاطول والدير بلدة
لذيذة شم الريح في كل شارق]

رودت (بلدة ولذة) بالرفع ، والصواب النصب .

٣١٩ ـ ص٣٩٥ بيت (٩) :

[وكيف بفا وجه مليح وطرة
يروح ويغدو خلفه الف عاشق]

(بفا) كذا وهو تحريف والصواب (يفي)

٣٢٠ ـ ص٣٩٥ بيت (١٢) :

[سقيا ورعيا لمن هويت
ولا سقيا ورعيالحاسدعشاقه]

كذا كتب البيت والصواب ان (ولا) تقعفيالصدر. والبيت بعد ذلك مختل الوزن . وهو من جملة ابيات زيادة من كوبنهاجن وسقط وزنها .

٣٢١ ـ ص ٣٩٦ بيت (٨) :

[وجفون عينيك قد نثرن البكا
فوق المدامع لؤلؤا وعقيقا]

(عينيك ، كذا ولا يستقيم معها الوزن ، والصواب (عينك)

٣٢٢ ـ ص ٤٠١ بيت (٥) :

[ياليت حالي في الحب
ياشر كحالك]

(ياشر) كذا ولا يستقيم معها الوزن ، والصواب (ياشرير)

٣٢٣ ـ ص ٤٠٦ المقطوعة (٣٦٩) :

[نفسي فداء على انه رشا
يدمي القلوب بسهم ريش بالكحل
لما رات وجهه شمس الضحى انفا
تسترت بقناع الغيم من خجل]

كان المفروض ان تعد هذه المقطوعة منحولة ايضا على غرار ما قيل عن امثالها من التغزل بالغلمان . ويبدو ان الذي غفر لها هذا الانتحال هو انهما في (السفينة) لافي رواية (الصولي) .

٣٢٤ ـ ص٤٠٧ بيت (٤) :

[هو هو لست انتهى
لكم الناس وهولي]

(هو هو) كذا ، ولا ندري ما اعرابها ؟ فهل اصلها (وهوهوا) . والجدير بالذكر ان هذه المقطوعة زيادة من كوبنهاجن .

٣٢٥ ـ ص ٤٠٨ بيت (٣) :

[نظر ابن فاطمة الرضي
ماء الفرات بكربلا]

ضبطت (الرضى) بتشديد الياء وكسرها فاختل الوزن ، والصواب تخفيفها . واكبر الظن ان المقطوعة التي منها هذا البيت ليست من شعر ابن المعتز ولا اسلوبه ، وهي من زيادات السفينة .

٣٢٦ ـ ص ٤٠٩ بيت (٤) :

[انا بالحب مقر لكم
هو ما شيتم فافعلوا]

كذا جاء العجز وهو مختل الوزن ، والصواب : (وهوهوا ما شئتم فافعلوا)

٣٢٧ ـ ص ٤٠٩ بيت (٥) :

[لي جهلي ولكم عقلكم
اشهد انكم اعقل]

كذا جاء العجز وهو مختل الوزن والصواب (اشهدوا انهم اعقل)

والغريب ان الرواية التي يستقيم بها الوزن جاءت في الهامش ولم يؤخذ بها .

٣٢٨ ـ ص ٤١٠ بيت (١١) :

[ايا عجبا شمس النهار بها
تموت الليالي يستقل بها الرجل]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ، ولعل الاصل (ايا عجبا شمس النهار (التي) بها) .

والجدير بالذكر ان المقطوعة من الزيادات التي لم يشر المحقق الى مصدرها وقد سقط وزنها .

٣٢٩ ـ ص ٤١١ بيت (٩) :

[وظل يعذله لا كان عاذله
لو يعلمون الذي يلقى لما عذلوا]

(عاذله) : كذا والصواب (عذله) بدليل يعلمون . والجدير بالذكر ان رواية (عذله) وردت في الهامش .

٣٣٠ ـ ص ٤١٢ بيت (٩) :

[ارحميني ياشر بالله في اللـ
ـه ان تركت المحب انت فمن له]

كذا جاء البيت والصحيح ان الصدر : (ارحميني ياشر بالله في الله) ليستقيم الوزن والقافية .

٣٣١ ـ ص ٤١٣ المقطوعة (٣٩٣) تتألف من اربعة ابيات اولها :

[لبست صفرة فكم فتنت
من اعين اذ رأينها وعقول]

١ ـ كذا جاء البيت ، وواضح ان (من) يجب ان تكون في الصدر

٢ ـ كرر البيتان الاول والثاني من هذه المقطوعة في باب الوصف (٢/٢٠٢) على انهما قطعة قائمة بذاتها ، ولم يفطن المحقق الى هذا التكرار .

٣ ـ جاء عجز البيت في باب الوصف بدون (اذ) فاختل الوزن .

٣٣٢ ـ ص ٤١٣ بيت (٩) :

[ومليح مقرطق
احور العين اكحل]

وردت (مليح ومقرطق) بالجر ، و (احور) بالرفع والصواب انه بالجر ايضا .

٣٣٣ ـ ص ٤١٥ بيت (٦) :

[ياصاحبي عرج على الرسم
بالاحمدي سقيت من رسم]

جاءت (الاحمدي) بدون تشديد الياء وجرها ولا يستقيم الوزن الا بهما .

٣٣٤ ـ ص ٤١٦ بيت (٦) :

[والله ما للعيش بعدكم
ومجالس اللذات من طعم]

ضبطت (بعدكم) بضم الكاف ولا يستقيم الوزن الا بضم الميم ايضا .

٣٣٥ ـ ص ٤١٦ بيت (٧) :

[ما تأمرين بهائم قلق
منع الشفا قلج في السقم]

(الشفا) كذا بالقصر ولا يستقيم معها الوزن والصواب (الشفاء) . والغريب ان المحقق اشار في الهامش الى (الشفا) بالقصر ايضا ؛ مما يدل على انه لم يفطن الى اختلال الوزن .

٣٣٦ ــ ص ٤١٦ بيت (٨) :

[ابجـد حكـم ما فعلت بــه
ام ذاك هزل منك في الحكـــم]

ضبطت (بجد) بتنوين الجر فاخل الوزن والصواب اضافتها الى حكم .

٣٣٧ ــ ص ٤١٦ بيت (٩) :

[ياشر عذبتني زمنـــا
فالان حسبك في من الم]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ، والصواب : (ياشر قد عذبتني زمنا) .

وجاءت (في) في العجز بلا تشديد للياء ولا فتحها ولا يستقيم الوزن الا بهمـا .

٣٣٨ ــ ص ٤٢٠ بيت (٨) :

[تميت وتحيي ففي وصـلها
حياتي في هجـرها مأتمـي]

كذا العجز وهو مختل الوزن والصواب (حيـاتي وفي هجرها مأتمي) . والمقطوعة التي فيهـا هـذا البيت زيادة من كوبنهاجن وقد سقط وزنهـا .

٣٣٩ ــ ص ٤٢١ بيت (١١) :

[هانيـك دار شر لا يغـيرهــا
كر الخطوب وطول العهد والقدم]

(شر) كذا ولا يستقيم بهـا الـوزن والصـواب (شرير) .

٣٤٠ ــ ص ٤٢٣ المقطوعة (٤٢٦) :

[نـام عـن ليلى ولم انـم
نهب كف الوجد والســقم
في سـبيل العاشـقين هوى
لـم انل منه سـوى التهم]

يقول المحقق في هامش (١) عن هذين البيتين : (وردا في السفينة ولم اعثر عليهما في مخطــوط اخر) . والعجب العجاب انهما من قصـــيدة في باب الشراب (٣٠٦/٢) .

٣٤١ ــ ص ٤٢٤ بيت (٦) :

[ياشر جودي بالهوى او ضـني ...]

ضبطت (ضني) بضم الضاد والصواب : كسرها .

٣٤٢ ــ ص ٤٢٦ بيت (٨) :

[يعـــود كمـا كان
لبل المحب ليـلان]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن والصـــواب : (يعود لي كما كان) .

٣٤٣ ــ ص ٤٢٨ بيت (١) :

[ليس للعبد بدفـان شـــئـ
ـــت فاكرمه سيدي او اهنـه]

جاءت همزة (فاكرمه) وصلا ، والصحيح انهـا للقطـــع .

٣٤٤ ــ ص ٤٣٠ بيت (٢) :

[وطول عتـاب في التلاقي يريبني ..]

وردت (طول) بالجر والصواب : الرفع .

٣٤٥ ــ ص ٤٣١ بيت (٩) :

[قـل ليعقوب فدبناك بنـا
ما نـرى غيرك شيئا حسنا]

وردت (يعقوب) بتنوين الجر ، والاسم ممنــوع من الصرف .

٣٤٦ ــ ص ٤٣٢ المقطوعة (٤٥٦) والتــي اولهـــا :

[امـا وقد بانوا ولم تـبن
نفسي فما احسنت في الحزن]

جاءت قافيتها ساكنة ، والصحيح : انها مكسورة لكي يستقيم الوزن ، وجاءت (احسنت) بسكون التاء والصحيح : كسرها .

٣٤٧ ــ ص ٤٣٢ بيت (٣) :

[ياربـع واستبدلـت بعدهـم
وسـكنت بعدهـم الى سـكن]

ضبطت (بعدهم في الموضـعين بسـكون المـيم ، ولا يستقيم الوزن الا بضمها .

وضبطت (سكنت) بسكون التاء ، والصـــواب فتحهـا .

٣٤٨ ــ ص ٤٣٢ بيت (٧) :

[تطـــالبني بديـن
ليس للعشاق ديـن]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ، والبيت مـع اخر زيادة من كوبنهاجن وسقط وزنهما .

٣٤٩ ــ ص ٤٤٠ بيت (٤) :

[عودي اليه عودي اليـه
فمنذ اطرفت لم تريـه]

كذا الصدر وهو مختل الوزن والصحيح : (عودي اليه عودي)

مطبوعـات تراثيــــــة

بقلــم

صادق هامــل

دار الجاحظ للنشر ـ بغداد

- ١ -

كتاب العين

من مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام لسنـة ١٩٨٠ـ١٩٨١ [سلسلة المعاجم والفهارس ـ ٤٣]

صدرت الاجزاء الاربعة الاولى من كتاب العين لابي عبدالرحمن الخليـل بن احمد الفراهيـدي (١٠٠ـ١٧٥هـ) بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي .

والمعروف ان الخليـل صنف اول معجـم في العربية ، اعتمد فيه على طريقة التقليب ، واستطاع بذلك معرفة المستعمل والمهمل من العربية فاخذ المستعمل وترك المهمل وقد سمى كتابه بالعين لانـه ابتدأ بصوت العين واتبع نظاماً خاصاً ابتدعه (وهو غير النظام الابجدي والالفباء الهجائي) فالاصوات اللغوية عند الخليل هي :

ع ح هـ خ غ ، ق ك ، ج ش ض ، ص س ز ، ط د ت ، ظ ث ذ ، ر ل ن ، ف ب م ، و ا ى الهمزه .

وهو بطريقته هذه يضع البداية الاولى لعلـم الاصوات في العربية وعلى وجه الخصوص مقدمـة العين ، فهي على ايجازها ، تعد اول مادة في علـم الاصوات دلت على اصالة الخليل وريادته في هـذا العلم .

وطريقته في ترتيب الكتاب انه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف نحـو : ا ب ، ا ع ، ا غ ، فاستدل ان العين ادخل الحروف في الحلق فجعلها اول الكتاب ثم ما قرب منها الارفع فالارفع حتى اتى على آخرها وهو الميم .

ويبين الخليل ان كلام العرب مبني على اربعة اصناف : الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ثم يعرض لكل واحد من هذه الاصناف ويمثل له .

فمقدمة العين مادة غزيرة في علم الاصوات وعلم وظائف الاصوات لذلك فهي تعد من اهم الوثائق في علم اللغة التاريخي لتقدمها ولان الخليل مبتـدع ومؤسس لم ياخذ علمه عن معاصر او سابق له .

بعد مقدمة المحققين عن منزلة كتاب العين في تاريخ علم اللغة تأتي الموضوعات التالية : منزلة العين في المعجمات العربية ، طريقة الكشف عن الكلمات في العين ، وصف نسخ كتاب العين حيث اعتمد المحققان على ثلاث مخطوطات : الاولى نسخة السيد حسن الصدر وهي مصورة ومكتوبة بخط نسخي واضح تاريخها ١٠٥٤ هـ ، وتقع في ٤٣٢ لوحة وقد اعتبرت النسخة الام .

الثانية نسخة طهران وتقع في ٢٥٠ ورقـة تاريخها سنة ١٠٨٧ هـ مكتوبة بخط نسخي جميل .

الثالثة نسخة مكتبة المتحف وهي مكتوبة بخط

فارسي واضح ، النسخة المقتناة مصورة وتقع في ٤٠٠ لوحة ، مقسومة نصفين متعادلين تقريبا ، الاول في ثلاث مئة لوحة والثاني في ١٩٨ لوحة .

واضاء المحققان ايضاً منهجهما في التحقيق ووضعا بعض الصور لصفحات نسخ المخطوطة . وقد جاءت المقدمة في ٤٤ صفحة ويأتي بعد ذلك النص ويستغرق ٣٢٢ صفحة في جزئه الاول حيث يتضمن مقدمة الكتاب [والمضاعف [باب العين مع الحاء والهاء والخاء والغين) وباب الثنائي الصحيح وباب الثلاثي الصحيح] .

ثم يأتي ثبت المواد اللغوية في الجزء الاول .

ويقع الجزء الثاني في ٣٥٠ صفحة : وفيه باب العين والطاء وما يأتي معها وباب العين والدال ، والعين والتاء، والعين والظاء، والعين والذال والعين والثاء والعين والراء والعين واللام والعين والنون والعين والفاء والعين والباء . ثم باب الثلاثي المعتل وفيه : العين والهاء والعين والخاء والعين والقاف والعين والكاف والعين والجيم وباب العين والشين والعين والضاد والعين والصاد والعين والسين والعين والزاي والعين والطاء ومايأتي مع كل باب من الحروف المستعمله معه . ثم فهرس المواد اللغوية للجزء الثاني .

ويقع الجزء الثالث في ٤١٤ صفحة ، ويبدأ بحرف الحاء ومايأتي معه من الحروف والثلاثي الصحيح من حرف الحاء والثلاثي المعتل واللفيف من الحاء ، وابواب الرباعي والخماسي من الحاء ثم حرف الهاء باب الثنائي وباب الثلاثي الصحيح منه . وذكر حرف الهاء باب الثنائي وباب الثلاثي الصحيح منه. وذكر حرف الهاء مع كل حرف ورد له استعمال في كلام العرب ، ثم ثبت المواد اللغوية للجزء الثالث .

ويقع الجزء الرابع في ٤٧٢ صفحة ، يبدا بباب الهاء والسين والدال معهما ؛ وينتهي بباب الغين والتاء ، ثم ثبت المواد اللغوية للجزء الرابع . هذا وهناك اجزاء اخرى من كتاب العين هي قيد الطبع والتحقيق .

* *

- ٢ -
الخراج وصناعة الكتابة

ضمن سلسلة كتب التراث (١١٠) من مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام لسنة ١٩٨١ صدر كتاب (الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي .

كانت المقدمة عن المؤلف : قدامة بن جعفر (اصله ، حياته ، مؤلفاته) ثم كتاب الخراج : (اهميته ،وصف المخطوط : فللكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة كوبرلي بالاستانة ؛ مكتوبة بخط نسخي من القرن التاسع عشر ، وخطها جميل وواضح وغير منقوط .

واستنسخ شارل شيفر المجلد الباقي من كتاب قدامة ، وهذه النسخة موجودة بدار الكتب الوطنية بباريس برقم ٥٩٠٧ ويحمل المخطوط نفسه عنوان كتاب صنعة الكتابة لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفي (سنة ٣٣٧هـ) .

وله نسخة مصورة (عن نسخة باريس) في المكتبة المركزية بجامعة بغداد في ٢٥٤ ورقة .

وقد قام (دي غويه) باختيار نبذ منها وطبعها في نهاية كتاب (المسالك والممالك) لابن خردا ذبة في ابريل عام ١٨٨٩ م وهو القسم المتعلق بديوان البريد والسكك والطرق والنواحي . الى المشرق والمغرب .

وصورت المنزلة السابعة المتعلقة بالضرائب في لندن سنة ١٩٦٥ م دون تحقيق ، على نسخة كوبرلي مع مقدمة باللغة الانكليزية وصدرت في كتاب يحمل عنوان (الضرائب في الاسلام) ولهذا المخطوط ثلاث نسخ مصورة في مصر :

الاولى صورت عن الاصل المحفوظ في باريس

والثانية عن نسخة الاصل في كوبرلي بالاستانة

والثالثة عن النسخة الثانية لدار الكتب المصرية وموجودة في معهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (١٠٧٦) تاريخ وهناك نسختان اخريان مصورتان عن نسخة باريس في مكتبة دار الكتب المصرية . صور عنها معهد المخطوطات في جامعة

الدول العربية نسخة واحدة . ويبين المحقق بعد ذلك مميزات المخطوط ويأتي نص الكتاب ويشتمل على عجائب الارض والبحار ، وفتح البلاد ومعرفة خراجها وترتيب الكاتب وما يحتاج اليه من الرياسة وهو مرتب على المنازل .

يبدأ الكتاب بالمنزلة الخامسة تقع في احد عشر باباً وهي في ذكر : ديوان الجيش والنفقات وبيت المال والرسائل والتوقيع والدار والخاتم والفض وفي ذكر النقود : والعيار والاوزان وديوان دار الضرب وديوان المظالم وفي كتابة الشرطة والاحداث وفي ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب .

والمنزلة السادسة من كتاب الخراج تقع في سبعة ابواب وهي : (في ان اكثر امر الارض في الهيئة والقدرة والمساحة والوضع والعمار ، في قسمة المعمورة من الارض ووضع البحار من الارض المعمورة ومسافتها والجزائر منها ، وفي الجبال التي في المعمورة منها وعددها واقرار المشهورة منها ، والانهار والعيون والبطائح التي في المعمورة واعدادها واقرار المشهور منها ، وفي مملكة الاسلام واعمالها وارتفاعها وذكر ثغور الاسلام والامم والاجبال المطيفة بها .

والمنزلة السابعة من كتاب الخراج وتقع في تسعة عشر باباً وهي : (في مجموع وجوه المال والفيء وهو ارض العنوة وفي ارض الصلح وارض العشر وفي احياء الارض واحتجارها والقطائع والصفايا والمقاسمة والوضائع ، وفي جزيه رؤوس الاموال وصدقات الابل والبقر والغنم ، وفي اخماس الغنائم وفي المعادن والركاز والمال المدفون وفيما يخرج من البحر ، وفيما يؤخذ من التجار اذا مروا على العاشر واللقطة والضالة ، وفي مواريث من لا وارث له وفي الشرب والحريم وفي اخراج مال الصدقه وفتوح النواحي والامصار .

والمنزلة الثامنة من كتاب الخراج تقع في اثني عشر باباً وهي : (في صدر هذه المنزلة والسبب الذي احتاج له الناس الى التغذي وفي السبب الذي احتاج له الناس الى اللباس والكسوة وفي السبب الذي احتاج له الناس الى التناسل من اجله والسبب الذي احتاج له الناس الى المدن والاجتماع فيها وفي حاجة الناس الى الذهب والفضة والتعامل بهما وما يجري مجراهما وفي السبب الداعي الى اقامة ملك وامام للناس يجمعهم وفي ان النظر في علم السياسة واجب على الملوك والائمة ، واخلاق الملك ومايجب ان يكون عليه منها في ذات نفسه ؛ وفي الخلال التي يبغي ان تكون مع خدام الملك والقرباء منهم وفي اسباب بين الملك والناس اذا تحفظ منها زادت محاسنه وانصرفت المعايب عنه وتمكنت نه سياسته ، وفي استيزار الوزراء وما يحتاج اليه الملوك منهم وما يلزم الملوك لهم .

وينتهي الكتاب بثبت المراجع وفهارس منوعة للامكنة والبقاع وللايات القرآنية ولاسماء الرجال للقبائل والاقوام والفرق ، وللاوزان والمساحة والمقاييس والنقود وللموظفين والعمال وللدواوين المالية والادارية وللمصطلحات المالية والادارية ولاصطلاحات عامة وللمصطلحات الجغرافية والتقويمية وفهرست الكتاب . ويقع الكتاب في ٦٢٣ صفحة . المقدمة ١٦ صفحة والنص ٤٦٩ صفحة ، والفهارس في ١٣٧ صفحة .

- ٣ -

كتاب التعليقات والنوادر

ضمن سلسلة كتب التراث (١٩٨٠ ، ١٩٨١) صدر الجزءان الاول والثاني من كتاب التعليقات والنوادر لابي علي هارون ابن زكريا الهجري ، دراسة وتحقيق الدكتور حمود عبدالامير الحمادي افتتح الكتاب بمقدمة عن كتب التراث وتحقيقها ، وموضوعات كتاب التعليقات .

يتألف القسم الاول من دراسة المؤلف وكتابه ويتكون من الموضوعات التالية :

١ - ابو علي الهجري : اسمه ، ولقبه ، وكنيته ، مولده ، وفاته ، حياته شيوخه ، تلاميذه ، مؤلفاته (التعليقات والنوادر ، منتخل الاراجيز او منتخب الاراجيز ، والعقيق) تاريخ تاليف كتاب التعليقات والنوادر ، منهج الهجري العام لكتاب

(التعليقات والنوادر) مادته العلمية ، اهمية الكتاب بين كتب النوادر الاخرى .

المخطوطات التي وصلت الينا ، فهناك مخطوطتان استطاع المحقق الحصول عليها وهي : مخطوطة دار الكتب المصرية ، وهي من الخزانة السيدية الاجلية الافضلية الجيوشية السيفية الناصرية ، وقد نقلت الى الخزانة الفائزية ، وهي خزانة الفائز بنصرالله بن القاسم عيسى وعليها توقيعات وتمليكات شتى وفيها اضطراب في الصفحات ومنسوخة بخط الثلث وبعض الصفحات لا يمكن قراءتها لاحتراق الورق واختلاط الحروف ، كما ضاع عدد من صفحات الكتاب الاولى ومنها العنوان واسم المؤلف واسناد الكتاب وروايته ، وتاريخ هذه النسخة يعود الى القرن الرابع الهجري او الخامس .

وللمخطوطة نسخة ثانية في دار الكتب المصرية ، مكتوبة بخط نسخي منتظم وهي نسخة ثانية عن نسخة دار الكتب الاولى . وتعد احسن من الاولى وتسد النقص الحاصل فيها ، يعود تاريخها الى ما بعد القرن العاشر ويذكر الاستاذ الشيخ حمد الجاسر ان للكتاب نسخة اخرى او ربما قطعة اخرى في مكتبة الجمعية الاسيوية في (كلكتة) بالهند . لم يستطع المحقق الحصول عليها رغم بذله الجهد الشديد لذلك .

ثم يأتي : منهج التحقيق ،والخاتمة . تستغرق المقدمة ٢٨ صفحة .

اما النص فقد استغرق في الجزء الاول ٢٨٩ صفحة يتضمن اشعار واراجيز وروايات على طريقة الامالي . بتدوين جميع ماسمعه الهجري من اللغويين والاعراب دون تصنيف او ترتيب وتأتي اهمية الكتاب من تسجيل المستدركات الكثيرة على الكتب المأثورة عن اليزيدي والانصاري ، واحتوائه مادة مهمة من اسماء الجبال والامكنة والمياه في جزيرة العرب اضافة الى جملة ماورد في معجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت ، فالكتاب يزودنا بمادة نادرة لا نجدها عند غيره من كبار المؤلفين ، كما انه لايتعرض الا الى ماندر من الشعر الجاهلي والاسلامي .

فالمؤلف بعد ان يأتي بالقطعة من القصيدة يشرح مافيها من غريب او نادر او يقتصر على الاختيار ، ويروي الكثير من اخبار العرب وانسابهم وما يخص المواضع والطرق والجبال والحيوان كالابل والخيل والانواء .. فنحصل من ذلك على دراسة واسعة فيِنوادر اللغة وغريبها وصنوف الادبالعربي قصيده ورجزه واخباره وانسابه ومواضعه وما يتعلق بالجزيرة العربية في مختلف جوانبها مع الاستشهاد بالآيات والامثال العربية .

اما الجزء الثاني فقد وقع النص في ٢٩١ صفحة واضاف اليه المحقق الفهارسالفنية للآياتالقرآنية والاحاديث النبوية والاعلام والقوافي والمصادر والمراجع (المخطوطة والرسائل الجامعية والمطبوعة والمجلات والمؤلفات الاجنبية) وتقع في ١٠٠ صفحة .

- ٤ -

العباب الزاخر واللباب الفاخر

ضمن سلسلة المعاجم والفهارس (٤١) صدر كتاب العباب الزاخر واللباب الفاخر للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (٥٧٧ــ٦٥٠ هـ)

وهذا الجزء يشمل (حرف الفاء) من فصل الهمزة الى فصل الياء . وقد حققه الشيخ على نسخة فريدة مكتوبة بخط المؤلف ، والتزم بنشر الحروف المكتوبة بخط الصغاني نفسه أو مقروءة عليه بشهادته واقراره على الرغم من عدم تسلسلها على النمو المالوف تجنبا من الوقوع في السهو والغلط والتصحيف والتحريف التي تصيب الناسخين ، وتجر الخطأ الى من ياتي بعدهم من النقلة والمطالعين والمحققين .

والنسخة المحققه موجودة في الخزانة الملكية برباط المغرب برقم (٢٨٣٥) ، وتحوي اضافات المؤلف في حواشي الصفحات وقد اكمل المحقق

النواقص التي اصيبت بها النسخة الاصلية نتيجة الارضة بنسخة تركية محفوظة بمكتبة ايا صوفيا رقمها (٤٧٠٤) كتبت سنة ١١٤٠ هـ .

ويتصدر النص عدة صور للمخطوطة . واستغرقت المقدمة احدى عشرة صفحة ، ويبدا النص بفصل الهمز كلمة (اثف) وينتهي بكلمة يسف من فصل الياء ، فالكتاب مرتب على مخارج الحروف .

والمحقق هنا رصع معجمه بفهارس رائعة ومفيدة يشكر عليها تضمنت الآيات القرآنية والاحاديث والاقوال المأثورة والامثال والاعلام وقوافي الشعر والرجز واللغات والمواد اللغوية ومطالب الكتاب وهو في عمله هذا يواصل سابقة الاستاذين كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي حين فهرسا المعجم المساعد للاب ماري انستاس الكرملي واضافا فائدة كبيرة الى فائدة المعجم .

واستغرق النص ٦٥٥ صفحة والفهارس ١٠٧ صفحة .

- ٥ -

المثلث

من سلسلة كتب التراث (١١١) اصدرت وزارة الثقافة والاعلام كتاب المثلث لابن السيد البطليوسي (٤٤٤هـ-٥٢١هـ) .

يقع الكتاب في قسمين بعد المقدمة الاول للدراسة والثاني لنص الكتاب المحقق والكتاب له اهمية كبيرة في تاريخ المعجم العربي لمكانته بين كتب (المثلث) فقد حدد البطليوسي مصطلح المثلث في اللغة ولعله كان اول من اضاف الى المثلث المختلف المعاني المثلث المتفق في معناه ، فقد استطاع حل مشكلة حرف الياء بايراده افعالا مضارعة بصيغة الغيبة تخضع لمصطلح المثلث ليتم عدد حروف المعجم . وقد افاض ابن السيد البطليوسي في شرح مادته اللغوية اكثر من سابقيه ولاحقيه بعبارة سهلة مستشهداً على مايورده من المعاني بالشعر والنثر المعروف لدى علماء اللغة .

يشمل القسم الاول خمسة فصول

الاول : سيرة ابن السيد

اسمه ونسبه ، ولادته ، اسرته ، نشاة ابن السيد وحياته ، المرحلة الاولى والمرحلة الثانية من رحلاته ، وفاته ، ثقافته وشيوخه ، تلاميذه

الفصل الثاني : آثاره ، مكانتها الفكريه

آثاره :

(ا) آثاره المطبوعة :

١ ـ الاسم والمسمى
٢ ـ الاقتضاب في شرح ادب الكتاب
٣ ـ الانتصار ممن عدل عن الاستبصار
٤ ـ الانصاف في التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آدائهم .
٥ ـ الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة .
٦ ـ الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل
٧ ـ رسالة كتب بها الى قبر النبي وبعث معها بشعر الى مكة .
٨ ـ شرح سقط الزند .
٩ ـ شرح المختار من لزوميات ابي العلاء .
١٠ـ الفرق بين الاحرف الخمسة
١١ـ المثلث
١٢ـ المسائل والاجوبة .

(ب) آثاره المخطوطة :

١ ـ ارجوزة في المساجلة باسم الرجل وابنه وبلده وقبيلته .
٢ ـ حكاية
٣ ـ شرح ابيات الجمل
٤ ـ شرح الخمس المقالات الفلسفية
٥ ـ طرر على الكامل للمبرد
٦ ـ المسائل .

(ج) آثاره المفقودة :

١ ـ ابيات المعاني
٢ ـ اثبات النبوات
٣ ـ الانســـاب
٤ ـ التذكرة الادبية
٥ ـ جزء فيه علل الحديث
٦ ـ الدوائـــر
٧ ـ رسالة كتب بها الى عبدالله بن محمد بن خلصة .
٨ ـ شرح ابيات المعاني
٩ ـ شرح اصلاح المنطق
١٠ـ شرح الجمل في النحو
١١ـ شرح ديوان المتنبي
١٢ـ شرح فصيح ثعلب
١٣ـ فهرسة ابن السيد
١٤ـ قصيدة في رثاء ديك
١٥ـ القراءات
١٦ـ المقتبس في شرح موطا مالك بن انس

الفصل الثالث : التاليف في المثلث

المثلث لغة واصطلاحا (والمقصود به اسلوب يتمثل في ايراد ثلاث حركات لثلاث كلمات تتشابه في الاصل والوزن وترتيب الحروف وتختلف في حركة فائها او عينها سواء اكانت هذه الكلمات بحركاتها الثلاث متفقة المعنى ام مختلفة) .

ثم درس : التاليف في المثلث ، مع المخطوطات الكثيرة في المثلث واماكن وجودها .

الفصل الرابع : دراسة في كتاب المثلث لابـن السيد

دراسة في كتاب المثلث (نقده كتاب قطرب ، دوافع التاليف منهج التاليف ، طريقة العرض (أ ـ ابواب المثلث المتفق المعاني ، ب ـ ابواب المثلـث المختلف المعاني) ، ملاحظات حول الكتاب

الفصل الخامس : مصادر الكتاب

القسم الاول [اعتماده على جهود سابقيه من علماء العربية : (أ) مؤلفات اورد اسماءها في كتابه، (ب) مؤلفات ذكر اصحابها ولم يشر اليها ، (ج) نقول عـن علماء العربية ، (د) نقوله عن الاعراب والقراء والمحدثين والاخباريين] .

القسم الثاني [شواهد الكتاب : (ا) القرآن الكريم ، (ب) الحديث الشريف ، (ج) المأثور مـن اقوال الصحابة ، (د) الاقوال والامثال والاسجاع ، (هـ) الشعر] .

ثم اعد المحقق احصائية باسماء الشعراء الذين استشهد ابـن السـيد بشعرهـم ، الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين ، والعباسيين) .

الفصل السادس: كتاب المثلث لابن السيد بين كتب المثلثات الاخرى :

اولا : كتاب المثلث لقطـرب (ت ٢٠٦هـ)

ثانيا : كتاب (المثلث) للقزاز (ت ٤١٢ هـ)

ثالثاً : كتاب (المثلث) لابن السيد (ت٥٢١هـ)

رابعا : كتاب (الاعلام بمثلث الكلام) لابن مالك (ت ٦٧٢هـ)

خامساً : كتاب (نيل الارب في مثلثات العرب) للشيخ حسن قويدر (ت ١٢٦٢هـ)

سادساً : كتاب (نفحة الاكمام في مثلث الكلام) للشيخ عبدالهادي نجا الابياري (ت ١٣٠٥هـ) .

ويستعرض مع كل كتاب الابواب التي تالف منها ذلك الكتاب وبعد ذلك يورد مادة وردت في كتب المثلث السابقة ليبين الفرق بين شرح البطليوسـي وشروح الآخـرين وهـي مادة [العَبْر والعِبْر والعُبْر] .

ثم يدرس اثر الكتاب فيما وصل الينا مـن مؤلفات وهي :

١ ـ بغية الآمال في معرفة مستقبلات الافعال لابي جعفر البلي .

٢ ـ اتفاق المباني وافتراق المعاني لابن بنين (ت ٦١٤ هـ) .

٣ ـ الاعلام بمثلث الكلام لابن مالك (ت٦٧٢هـ)

٤ ــ خزانة الادب للبغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)

٥ ــ تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)

٦ ــ نيل الارب في مثلثات العرب للشيخ حسن قويدر (ت ١٢٦٢ هـ) .

ثم يعد ملحقاً للدراسة الاحصائية الصوتية لجذور المثلث المختلف المعاني .

(أ) العمل الاحصائي ، (ب) الدراسة الصوتية في قسمين ومن ثلاث مجموعات ويتوصل في الاولى الى النتائج التالية :

(أ) الاصوات التي وردت في اوائل جذور المثلث .

(ب) الاصوات التي وردت في ثواني الجذور

(ج) الاصوات التي وردت في ثوالث الجذور

اما المجموعة الثانية فتقسم الى (الاصوات الانفجارية او الشديدة والاصوات الاحتكاكية او الرخوة) والاصوات المتوسطة ويضع لكل نوع جدولا ايضا في توزيع الاصوات .

ثم يعد جداول اخرى الاول لكلمات المثلث المختلف المعنى رتبه على حروف المعجم ، والثاني : جداول الجذور رتبها على حروف المعجم ايضا ، ثم اعد جداول مختلفة لتوزيع الجذور بحسب مواضع النطق والاوتار الصوتية وحالة ممر الهواء عند مواضع النطق .

اما القسم الثاني (منهج التحقيق فقد شمل وصف النسخ وتحقيق الكتاب ، حيث اعتمد في تحقيقه على :

١ ــ نسخة ايران وهي نسخة مكتبة ملي برقم ١/٣٢٨ ضمن مجموع وهي نسخة جيدة بقلم نسخ مقاسها ١٧٫٥ × ٢٥ سم وهي ناقصة الاول .

٢ ــ نسخة حلب وعدد اوراقها ١٢٨ ، وهي نسخة مكتوبة بقلم نسخ جيد الشكل، ولعلها نقلت من نسخة منقولة عن نسخة فاس لتشابه النسختين .

٣ ــ نسخة الخزانة الملكية بالرباط (الزيدانية) رقمها ١٢٣٩ وعدداوراقها ١١٢ ورقة مقاسها ٢٠×١٦ سم وهي منسوخة بقلم مغربي حديث سقطت منها صفحة العنوان .

٤ ــ نسخة دار الكتب رقمها ٢٢٧ لغة تيمور وهي مكتوبة بقلم مغربي تصعب قراءته عدد اوراقها (١١١) ورقة يعود تاريخها لسنة ١٣٢٠ هـ وهي نسخة كاملة اطلع عليها يوسف اليان سركيس وهي ايضا من فروع نسخة فاس .

٥ ــ النسخة الشنقيطية ، وهي نسخة بمكتبة شنقيط بدار الكتب برقم ٣ مجاميع ش ومكتوبة بقلم مغربي حديث جيد الشكل بها حزم في الاول بمقدار ورقتين ونقص في الآخر بمقدار الثلث عدد اوراقها ٥٩ ورقة .

٦ ــ نسخة مكتبة عاطف افندي رقمها ٢٧٥٤ وهي نسخة بخط نفيس جداً جيد الشكل كتبت ابواب الكتاب ومواده اللغوية بماء الذهب عدد اوراقها ٢٣٦ وعلى بعض صفحاتها طرة وقف ولعلها منقولة من احدى فروع نسخة بيل .

٧ ــ نسخة خزانة جامعة القرويين بفاس رقمها ٥٣٨/٤٠ وهي ضمن مجموع من كتابين لابن السيد ، وخطها اندلسي جميل جيد الشكل سهل القراءة كتبت ابواب الكتاب ومواده اللغوية بخط متميز عدد اوراقها ١٣٣ ورقة ناقصة من الاول بمقدار صفحة واحدة وهي نسخة موثقة مقابلة على اصل صحيح منقول عن نسخة المؤلف تاريخها سنة ٦٣٦ هـ .

٨ ــ نسخة خزانة لاله لى رقمها ٣٦١٦ نسخت بقلم نسخ عتيق بلا اعجام كتب قبل عام ٨٤١هـ وعدد اوراقها ٧٩ ورقة فيها كتاب المثلث في ٧٦ ورقة والاوراق الباقية فيها قصيدة في المقصور والممدود . وهذه النسخة تهذيب لكتاب المثلث لترتيب ناسخ الحروف وفق الترتيب المشرقي دون التزام بترتيب المؤلف مع اسقاط اغلب الشواهد الشعرية .

٩ ــ نسخة خزانة جامعة بيل رقمها ٥٦٨ خطها مغربي جيد الشكل جميل الخط سهل القراءة

عدد اوراقها ١٤٥ ورقة مع نقص في اولهـا وسقوط سبعة اوراق منها وهي اقدم نسخة عثر عليها المحقق تاريخها سنة ٥٩٤هـ .

وقد اعتمد المحقق على نسختي فاس وبيل اصلين للتحقيق تكمل احداهما الاخرى ، وباقي النسخ فروعاً لهما .

ثم يبين المحقق تحقيقه مادة الكتاب، ثم خاتمة الدراسة وقد وضع عدة صور للمخطوطات التي اعتمدها في التحقيق . هذا وقد استغرقت الدراسة ٢٩٣ صفحة .

اما نص الكتاب فقد جاء في ٢٢٠ صفحة ، يبدأ بعد مقدمة المؤلف بحرف الهمزة (باب المثلث المتفق المعاني ، باب المثلث المختلف المعاني) ثم حرف الباء (باب المثلث المتفق المعاني وباب المثلث المختلف المعاني) وحرف التاء (باب المثلث المتفق المعاني وباب المثلث المختلف المعاني) وحرف الثاء (باب المثلث المتفق المعاني والمختلف المعاني) وحرف الجيم (باب المثلث المتفق المعاني والمختلف المعاني) وحرف الحاء (باب المثلث المتفق المعاني والمختلف المعاني) وحرف الخاء (باب المثلث المتفق المعاني والمختلف المعاني) ثم فهرس موضوعات الكتاب .